

أشهر الأسرات الأدبية في مصر

بقلم
نجيب توفيق
عضو اتحاد الكتاب

الناشر: دار العرب للبستاني
٢٨ و ٢٩ شارع الفجالة - القاهرة
ت : ٥٩١٥٣١٥ - ٩٠٨٠٢٥
فاكس : ٧٧١١٤٠

اهداءات ١٩٩٨
مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع
القاهرة

أشهر الأسرات الأدبية
في مصر

بقلم
نجيب توفيق
عضو اتحاد الكتاب

الناشر: دار العرب للبستاني
٢٨ و ٢٩ شارع الفجالة ـ القاهرة
ت : ٥٩١٥٣١٥ ـ ٩٠٨٠٢٥
فاكس : ٧٧١١٤٠

الطبعة الأولى

أول يناير ١٩٩٥

رقم ايداع ٢٠٩٥ / ٩٥
I.S.B.N. 977-5383-11-0

طبع بدار الكمال للطباعة
٢٣ أ ش سنان ـ الزيتون ـ القاهرة ت : ٤٥٤٧٨٩٥



سيادة رئيس الجمهورية اللواء / محمد نجيب

يهنىء الاستاذ / نجيب توفيق بفوزه بجائزة مجمع اللغة

العربية فى ٣٠ / ٥ / ١٩٥٤



الى الوطنى الأديب الاستاذ / نجيب توفيق

مع خالص تحياتى

اهداء الاستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعى نقيب المحامين

١٩٥٥

مقدمة

فى مصر أسر عريقة امتزج حب الأدب بدماء ابنائها ولذلك نبغ فى كل منها العديد من الأدباء المشاهير الذين تركوا اثارهم الأدبية الخالدة تحدث عنهم وهؤلاء الأدباء اثروا الفكر المعاصر بانتاجهم الأدبى من شعر ونثر وانتاجهم ايضا فى فن القصة بنوعيه القصيرة والطويلة ومنهم أعلام فى الشعر المسرحى والصحافة والخطابة السياسية . ومنهم المؤرخون الذين تركوا الموسوعات التاريخية الضخمة التى أصبحت كعبة للباحثين ومنهلا للواردين .

ولابد أن نعرج فى هذه المقدمة إلى فعل الوراثة والبيئة فى هذه الأسرات المشهورة ، يولد الانسان حاملا معه صفات أبويه - مكتسبا عنهما كثيرا من الصفات الجسمية والعقلية - وحتى بعض الأمراض المستعصية إلى الجنين من الوالدين .

فالانسان كالحيوان إبن الوراثة ... ثم تبدأ المؤثرات المحيطة تؤثر فيه منذ طفولته . حتى يشب يافعا . وهكذا تعمل كل من الوراثة والبيئة عملها معا فى تكوين الانسان و انشائه . ويتأثر نشاطه وسلوكه فى المستقبل بهما .

والتربية والبيئة تنميان فيه الملكات الموروثة وتساعدانه على اكتساب خلائق جديدة ، - فقوى الانسان الذهنية اذن موهوبة ومكتسبة . فالوراثة تتحكم فى الخُلُق والخَلْق وتفرض إرادتها على أجيال الناس فيخضعون لناموسها - والوراثة الجسمانية هى التى تضرب أبناء الأسرة الواحدة على قالب واحد فيتشابهون سمات وقسمات ، فى القبح والجمال - ووراثة القوى العقلية تسير على غرار واحد - ووراثة الصفات الجسمانية تتنقل من جيل إلى جيل - ومن السلف إلى الخلف فى الأسرة الواحدة حتى تطبع كل أسرة واحدة بطابع خاص من تلك القوى والصفات. وربما تنكبت الوراثة فى تسلسلها الخط الموصول - فأفلت من تأثيرها جيل أو أكثر - بل ربما توارت عدة أجيال قبل أن تنقل سمات العبقرية من فرد إلى فرد فى الاسرة الواحدة - وذلك بعامل الوراثة .

أما عامل البيئة فعمل القين ، الذى يجلو فرند السيف ، أو عمل الجوهرى الذى يصقل الدر ويثقبه - أو عمل الصائغ الذى يصنع من خسيس المعادن انماطاً بديعة من الدمى والحلى المصقولة اللامعة المزخرفة .

وأثر البيئة فى صقل المواهب وإبرازها وإكساب الفرد صفات جديدة وأساليب من الأخلاق والتفكير معينة أمر مسلم به . حتى لقد تسرب هذا القانون إلى الأمثال السائرة - كقول الغربيين : - (قل لى من تعاشر أقل لك من أنت) . وحتى ذهب فيلسوف فرنسى إلى القول (أن قيمة الانسان من قيمة البيئة التى يعيش فيها) - وذهب فيلسوف آخر إلى إرجاع كل عمل أدبى إلى عناصر ثلاث هى العرق والبيئة والزمن .

ومن أهم الأسر الأدبية عراقة فى العصر الحديث أربعة أسرات هى الأسرة التيمورية والبستانية والأسرة الاباظية والأسرة الرافعية .

هذه الأسرات أسهم أبناؤها بقسط راجح فى النهضة الأدبية الحديثة فى مصر والشرق العربى خلال القرن التاسع عشر حتى يومنا هذا . وبكل أسرة من هذه الأسرات رصيد من الشخصيات الأدبية الممتازة لايقل عن ثلاثة - ويزيد عن ذلك فى البعض الآخر - وأكبر هذه الأسر رصيدا الأسرة البستانية . ففيها أكبر عدد من الأدباء الذين امتازوا بوفرة الإنتاج الأدبي المتعدد النواحى . وقد انفردت الأسرة التيمورية والبستانية باهتمام أبنائها بالأدب - بينما اشتهرت الأسرتان الآخرتان بالنشاط السياسى بجانب النشاط الأدبى . واستوزر من كل منها وزيرا أو أكثر - وكذلك الأسرة البستانية ، فقد تسنم أحد كبار أدبائها منصب الوزارة فى بلاط آل عثمان [1] فى أوائل القرن العشرين و هذه الأسر امتازت بالأخلاق العالية والخصال السامية والمناقب الرفيعة - وحرصت على طبع أفرادها بهذا الطابع الممتاز - من سماحة الاخلاق - وتبنى - المعايير الأخلاقية والإنسانية العالية ، فلم يعرف عن أى من أبنائها الإنزلاق إلى حمأة

---

(١) هو سليمان البستانى ، أول وزير عربى مسيحى فى الخلافة العثمانية .

الرذائل أو التورط فى مشاكل إجتماعية أو أخلاقية ، ومن كان منهم من ذوى الثراء استغل ثراءه فى خدمة المجموع – وان كان من ذوى الملكات الزراعية عامل الفلاحين معاملة انسانية واعتبرهم مواطنين مصريين لهم حق الرعاية العناية – .

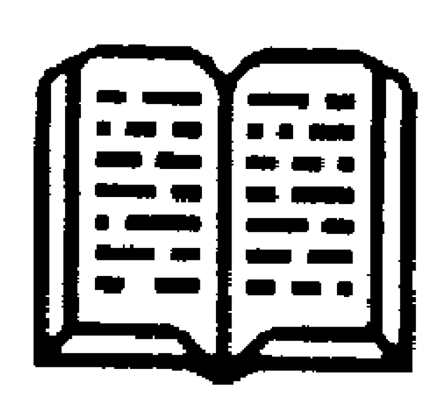
وكان أكثرهم فى غاية الكرم يحنون على الضعيف ويكرمون الضيف ويحسنون إلى المحتاج ويعلمون الجاهل ويكسون العريان ، فهى أسر ممتازة بكل معنى الكلمة وتعتبر نماذج إنسانية رفيعة للإقتداء بها والنسج على منوالها . لاسيما وان مجتمعنا المصرى فى هذه الأيام أحوج ما يكون إلى الاطلاع على صفحات مشرقة بالأصالة والتسامى بمثل سلوكية عالية . حيث أنه قد تطاحنت طبقات المجتمع فيما بينها تطاحنا مزريا ، وعمت الأثرة بين الأفراد وندر الإيثار ، وفشت روح الأنانية والنفعية وقلت عناصر التضحية والتعاون ، بدرجة عز على النفر العديد أن ينعموا بالمأوى والغذاء ونشأت طبقة من الناس يعبدون المال من دون الله وصدق عليهم قول الشاعر : –

قد أوغل الناس فى حب المال سفحا xxx وعابد المال يدعى عابد صنما

وقد نتج عن هذا التدهور الأخلاقى مشاكل خطيرة أبرزها مشكلة الإسكان والبطالة والجريمة ؟؟

لذلك جاء هذا الكتاب توعية وإرشادا لأبناء المجتمع الحالى حتى يدركوا ما كانت ومازالت تتمتع به بعض الأسر العريقة من معايير سلوكية عالية بناءة .

وعسى أن يستفيد بنهجهم ويسلك طريقهم أبناء مصر والعرب جمعاء .



الأسرة البستانية
القرن ١٦ –

مقدمة :

يبتدئ تاريخ الأسرة البستانية فى الربع الأول من القرن السادس عشر في بلدة جبلة – لبنان – حيث عاش فيها مقيم أبو محفوظ وأولاده وإخوته .

وجبله هى فرضة على بحر الروم من لواء اللاذقية ، تبعد عن اللاذقية إلى الجنوب الشرقي نحو إثنى عشر ميلا ، وفى الربع الأول من القرن ال ١٦ تعرضت الأسرة إلى مظالم من الطبقة الحاكمة ، ولم يكن لها حول ولا طول ، كما لم تألف الخنوع وتنفير الحياة ، ففضلت الرحيل عن جبلة على الإقامة بها تحت نير المذلة والهوان ، وألقوا عصا التيار فى ضهر صفراء ، ثم انتقلوا منها إلى بقرقاشا (كلمة سريانية معناها البرد القارس) وأقاموا بها يعيشون على الزراعة ، وكانت أراضيهم الزراعية تقع في بقعة تسمى البستان وأصبح هذا الاسم علما على الأسرة ، فسمي كل فرد ينتمى إليها بالبستانى .

أقامت الأسرة فى بقرقاشا حتى عام ١٥٦٠ ، ونزحت بعدها إلى بلدة دير القمر واستقر بها مقيم مع أولاده محفوظ وعبد العزيز وناضى واتخنوها مقاما طيبا . أما محفوظ فقد عاوده الحنين (بعد مدة من إقامة بدير القمر) إلى بلدة ضهر صفراء فترك اهله ورجع إليها وحده ، واستقر بها هو وأبناؤه من بعده ، ولا يزال نسله هناك يعرف ببيت محفوظ .

وكان وصول مقيم وأولاده إلى دير القمر في عهد ولاية الأمير قرقماس معن ابن الأمير فخر الدين الأول الذى ساعد السلطان العثماني سليم الأول على قهر المماليك ، وقد اشتهر الأمراء المعنيون بحبهم للنصارى ، وتشجيعهم لهم على السكن في جبل الشوف ، وبعد أربعين سنة أى في أواخر القرن ١٦ وأوائل القرن ١٧ هبط بعض أحفاد مقيم إلى مزرعة الدلهمية فالدبية .

إسم العائلة والمكان الذى نسبت اليه :

البستاني نسبة إلى البستان ، وهو البقعة التى تقع فيها الأراضى التى يملكها مقيم وأولاده وإخوته دون غيرهم من الأقرباء فى بلدة بقرقاشا التى تقع فى الجهة الجنوبية الشرقية من بشرى ، وتعلو عن سطح البحر ١٦٠٠ " ألف وستمائة " متر ، وهى بلدة قديمة ، ذات مساحة كبيرة من الأراضى الزراعية الخصبة ، مياهها غزيرة ، هواؤها جيد ، وفيها نشأت العائلة البستانية .

شهرة العائلة البستانية :

تدين هذه العائلة بالشهرة إلى أبنائها الذين شادوا مجد العائلة وأسسوا شهرتها ومازالوا يحرسونها ويعملون على رفعة شأنها ، وقد نبغ منهم فى كل العهود على التوالى رجال أفذاذ .

وصل البستانيون إلى دير القمر ١٥٦٠ فى عهد الأمراء المعنيين وهم حفنة صغيرة ، لا مال لها ولا عقار ، فبدأوا بالسعى وراء الرزق وانصرفوا إلى النشاطات التجارية ، وانقضى عهد الحكام المعنيين وهم لا يزالون فى دور النشوء ، حتى إذا أطل عهد الحكم الشهابى ، إذ بأحوالهم وظروفهم أخذت فى التحسن والتقدم باطراد ، ونما عددهم واتسعت دوائر نشاطهم . وإذ ذاك ظهر أول أعلامهم ونعنى به المرحوم المطران عبد الله البستانى الذى وصفه أحد المؤرخين بقوله :

" علم الأسرة البستانية ومشيد فضلها ، وموطد فخرها ، ومؤسس بالشهرة أركانها " .

وكان ظهوره فى عهد الأمير الشهابى الكبير ، سامه البطريرك يوحنا الحلو مطرانا على أبرشية صور وصيدا ، نزولا على رغبة الأمير المذكور فأنشأ سيادته كرسيا له فى بيت الدين بجانب سراى الحاكم العام للبلاد .

تأثير الأسرة البستانية فى الأدب :

إن الظواهر الأنسانيـة المتميزة بالارهاصات الابداعية ، وانطلاقة شعلة الأدب والفن ، فى شخصيات تركت بصمات مؤثرة فى تاريخ الأدب العربى ..... شيء يستحق التسجيل .... والاعتـراف بصدق هذه الظاهرة وتأصل جذورها ، ...... وتفرعها ...... وثرائها الأدبى ...... وتنوع مواهبها وابداعاتها ....

فإذا ما كانت هذه الظاهرة .... تتأصل وتتشابك وتتفرع .... وتثمر وتبهر .... وتنشر أريجها الأدبى العاطر بتاريخ وأصالة .... فى شجرة عائلة واحدة ..... فهذه هنا ظاهرة خارقة ...... توحى ...... وتؤكد وتثبت أن شجرة هذه العائلة .... سقاها الله .... بنفحة سماوية .... من الالهام .... والابداع ... والموهبة .... والخلق حتى تُعلن ... وتسجل فى تاريخ الأدب ... الأصيل .... الموروث .

ولا غرو فى أن يعترف أساطير الأدب والمفكرون بثراء هذه الأسرة الأدبى والابداعى والعلمى .

والأسرة البستانية الكريمة كان ولا يزال لها من الأفضال الكبيرة على العلم والأدب فى مصر . فى الأقطار العربية كافة ، مما هو معروف ومشهور ، لما قدمه أفرادها من خدمات جليلة فى شتى الفنون الأدبية والعلمية والاجتماعية .

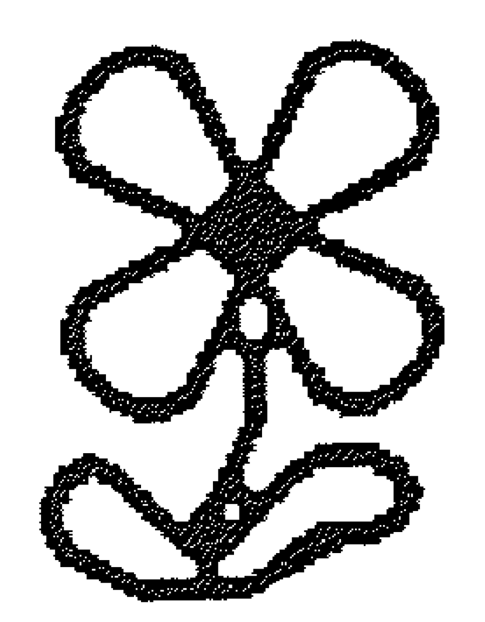
ولاشك أن كل فرد .... من أفراد هذه الأسرة .... يعتبر أمة وحده .... بفضل ما جاهد وبذل فى خدمة وطنه وخدمة الانسانية فى شتى العصور ، كما أن لكل فرد كذلك أثر خالد .... اشار به .... ودل على سعة علمه وبعد نظره ... وخبرته .... وقوة تبصره بالأمور .

بل أن لكثير من الأدباء .... والعلماء .... ورجال الفنون فى مصر وفى شتى الأقطار العربية ، فى كل فرد من أفراد هذه الأسرة ، اسوة حسنه ، يتبعون ويترسمون خطاهم السديدة ، وأراءهم الحكيمة ، التى اتصفوا بها ، وقدرها لهم كل من عاصرهم ، إذ عرفوا

فيهم ، الإعتزاز بالنفس ، وأنه لم تكن ترهبهم سطوة سلطان .... ولا يبهرهم بهرج منصب ، بل أنهم جميعا .... كانوا رمزا للشهامة والمروءة .... ومثلا للكرامة وعزة النفس !!

وأدباء الأسرة البستانية وعلماؤها خلال قرنين من الزمان ، مشوا كتيبة واحدة يشقون دياجير الجهل ، ويجتثون بمعاولهم ، بقايا عهود الفوضى ، ونفايات عهود الاقطاع .... حتى أبادوها ، وعادوا يبنون ويجددون ويغرسون فى عقول النشء ما كانوا يختزنون فى صدورهم العامرة من بذور الأدب والثقافة ....







- المعلم / بطرس البستانى

المعلم بطرس البستانى
١٨١٩ - ١٨٨٣

مات أبوه وهو فى طفولته ، وفى العاشرة من عمره دخل مدرسة عين ورقة ، حيث تلقن مبادىء اللغة السريانية واللاتينية والايطالية مع اللغة العربية .

ولما بلغ أشده تعين مدرسا فى مدرسته ، واتسع له الوقت لتعلم اللغة الانجليزية . وفى سنة١٨٤٠ توجه إلى بيروت حيث عمل مترجما ، وهناك تعرف على المستر عالى سمث والدكتور كرينليوس ڤان ديك من اعضاء الإرسالية الامريكية ، الذين ضموه للعمل معهم ، وانفسح المجال أمامه لإبراز مواهبه ، وكانت فاتحة أعمال معهم ، إدارة مدرسة عبيه الابتدائية ، ومكث فى هذا العمل مدة عامين .

ثم عين مترجما فى القنصلية الامريكية فى بيروت ، ثم لما طلب منه المستر سمث الاشتراك معه فى ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية ، اكب على دراسة اللغات العبرانية والأرامية واليونانية واشتغل لمدة عشر سنوات متوالية مع سمث حتى تم له ترجمة الكتاب المقدس .

ثم عاد مرة أخرى للتدريس فى المدارس الامريكية ، وضع أثناء عمله عدة كتب صغيرة مدرسية ، لتساعد الطلبة على المطالعة العربية .

ثم بدأ فى العمل فى مشروعه الكبير الأول وهو معجم " محيط المحيط " ، وفى أثناء ذلك أدرك بثاقب فكرة أن كبر هذا المعجم قد يحول دون وصوله إلى أيدى الطلبة فوضع له موجزاً سماه " قطر المحيط " وبعد بضع سنوات أتم عمل القاموس .

" دائرة المعارف "

ثم قام بتنفيذ مشروعه الثانى الكبير وهو " دائرة المعارف " وهو المشروع الذى اشتهر به فى جميع أنحاء البلاد العربية ، واستغرق منه جميع أعوام حياته ، ومات وهو يعمل فيه ، مات وهو ينجز الجزء السابع منه . ولم يتمه حتى سنة ١٨٨٣ ، حين أدركته الوفاة والقلم بين أصابعه ، تحف به الكتب والمؤلفات !!

نشاطه العلمى والاجتماعى :

لم يقف نشاطه على الاشتغال بدائرة المعارف ، بل اتجه إلى الأعمال الإجتماعية والوطنية الهامة ، فلما وقعت أحداث سنة ١٨٦٠ والمشهورة باسم " مذابح المسيحيين " فى دمشق ولبنان ، وتركت أحقاداً طائفية فهب لإخماد تلك الحركة وتلطيف الأجواء وقام بالأعمال الآتية :

١) انشأ مجلة أسبوعية ، اسمها " نفير سوريا " وجعل من أسمى أهدافها محاربة التطرف والتعصب الطائفى ، والدعوة إلى الإئتلاف والوحدة بين جميع العناصر الوطنية وذلك عن طريق نشر العلم ودحض الشكوك والخرافات .

٢) أنشأ المدرسة الوطنية ، لجميع الطلبة من شتى الطوائف والملل ، تقوم رسالتها على نشر العلم وغرس حب الوطن والتسامح الدينى .

وظل منذ عام المذبحة سنة ١٨٦٠ حتى آخر أيام حياته ، يعمل على نشر الاستناره ومحاربة الجهل ونبذ التعصب وعوامل الفرقة والاختصام .

وقد استمرت المدرسة الوطنية ، فى أداء رسالتها العظيمة فى حياته وبعد موته لفترة طويلة ، وقامت على أنقاضها الجامعة الامريكية ببيروت .

٣) دعا إلى تعليم المرأة وتهذيبها ، لكى تكون قاعدة متينة أبناء الأسرة السليمة .

٤) فى سنة ١٨٧٠ أنشأ مجلة " الجنان " تصدر كل أسبوعين ، وهى مجلة سياسية - علمية جعل شعارها " حب الوطن من الإيمان " ، وغايتها محاربة التعصب والدعوة إلى الإخاء والتفاهم لخير الأمة .

٥) أسس مع الشيخ ناصيف اليازجى وعدد من المثقفين الامريكان " الجمعية الأدبية العلمية " وهى أول جمعية تؤسس فى الشرق العربى غرضها نشر المعارف والعلوم وبلغ عدد أعضائها ٥٠ عضوا فى مدى عامين .

أهم مؤلفاته :

١) قاموس محيط المحيط

٢) قطر المحيط (مختصر محيط المحيط) .

٣) دائرة المعارف (أنجز منها حتى الجزء السابع) شرع فيها سنة ١٨٧٥ .

٤) مفتاح الصباح فى الصرف والنحو .

٥) كشف الحجاب .

٦) أدباء العرب : من عدة أجزاء .

٧) ترجم كثيرا من الكتب الأدبية والدينية والتهذيبية .

سعيد البستانى
١٨٥٩ - ١٩٠١
" وهو الخطيب أخو الفصاحة والنُّهى "

أديب كبير ، وكاتب مصلح ، وإدارى بارع ، وخطيب مفوه ، امتاز بنزاهته وتجرده ومكارم أخلاقه .

هو ابن راشد حنا البستانى ، ولد فى الدبية ، تخرج من مدارس الأمريكان ومن المدرسة الوطنية ببيروت ، توفى فى ريعان الشباب ولم يبلغ الثانية والأربعون من العمر !

بعد تخرجه اشتغل بالتعليم فى مدارس لبنان ردحاً من الزمن ، ثم هاجر إلى الأقطار المصرية التي كانت فى ذلك الوقت بحاجة إلى النوابغ من أمثاله ، والتحق بالعمل فى وزارة الخارجية ، وتدرج فى مناصبها ، بما يتفق مع نبوغه وأهليته .

وفى أيامه قامت الثورة العرابية ، فانضم إلى رجالها ، وكانت له مواقف مشرفة فيها دلت على علو كفه فى صناعة البيان وعالم الخطابة ، وعده البعض أحد خطباء الثورة ، كما جاء فى كتاب (مصر للمصريين فى محاكمة العرابيين) تأليف المرحوم " نقولا نقاش " صاحب جريدة المحروسة آنذاك ، كما نشر له عدة مقالات فى مجلة الأستاذ لصاحبها الأديب الكبير وخطيب الثورة العرابية الشهير عبد الله النديم

وكان صديقا لإمام الوطنية الكبير السيد " جمال الدين الأفغانى " وتابعه الإمام الكبير " محمد عبده " مفتى الديار المصرية .

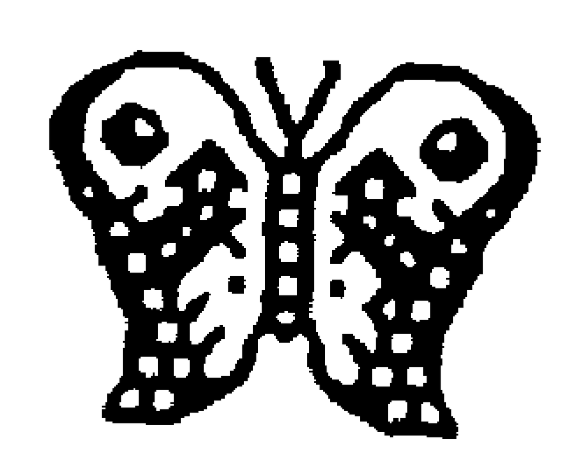
وقد خبرا مقدرته الأدبية وطول باعه فى الكتابة ، فرغبا اليه أن يشد أزرهما فى إصلاح الأخلاق والعادات ، وأوعزا اليه بوضع رواية تحرض على اصلاح العادات ونشر الفضائل ، فوضع رواية (ذات الخدر) .

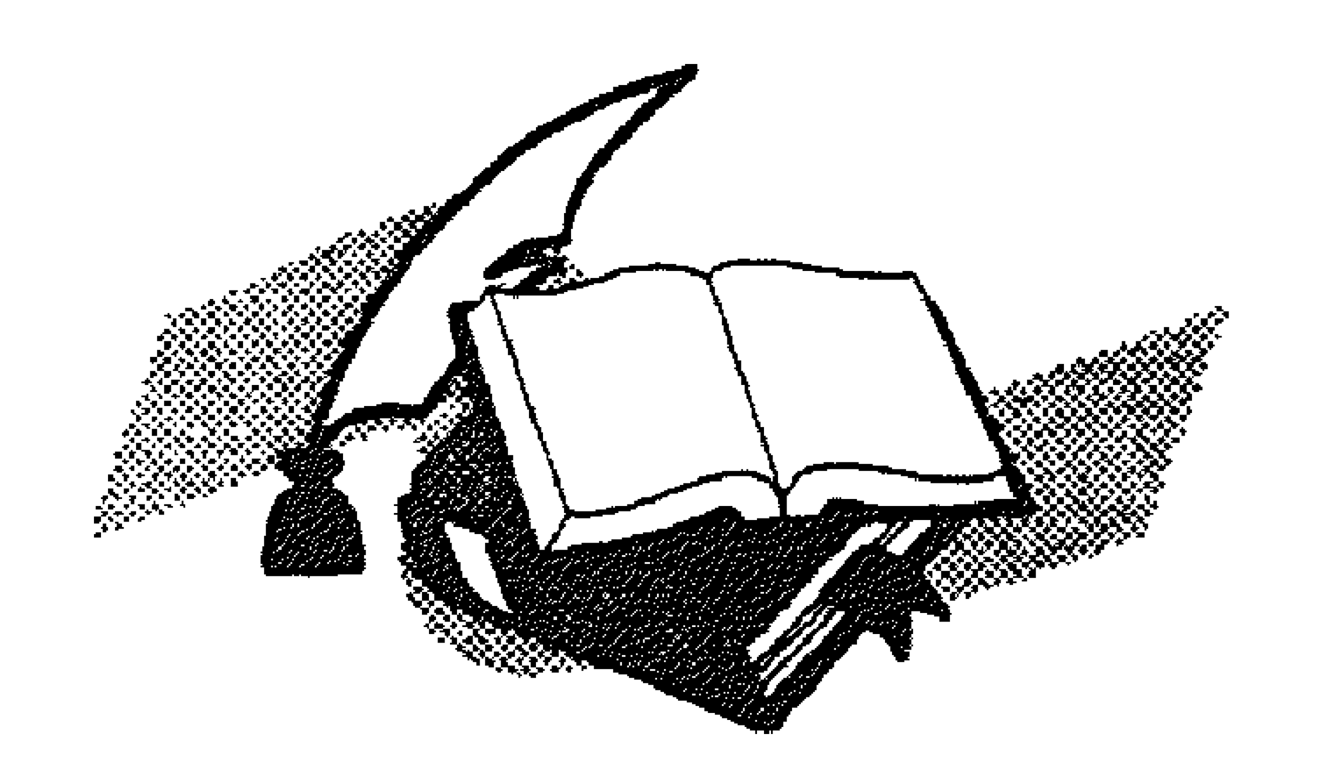
وفى هذه الرواية ، صور أخلاق المصريين وانتقد بعض عاداتهم فى تعدد الزوجات ، وكان

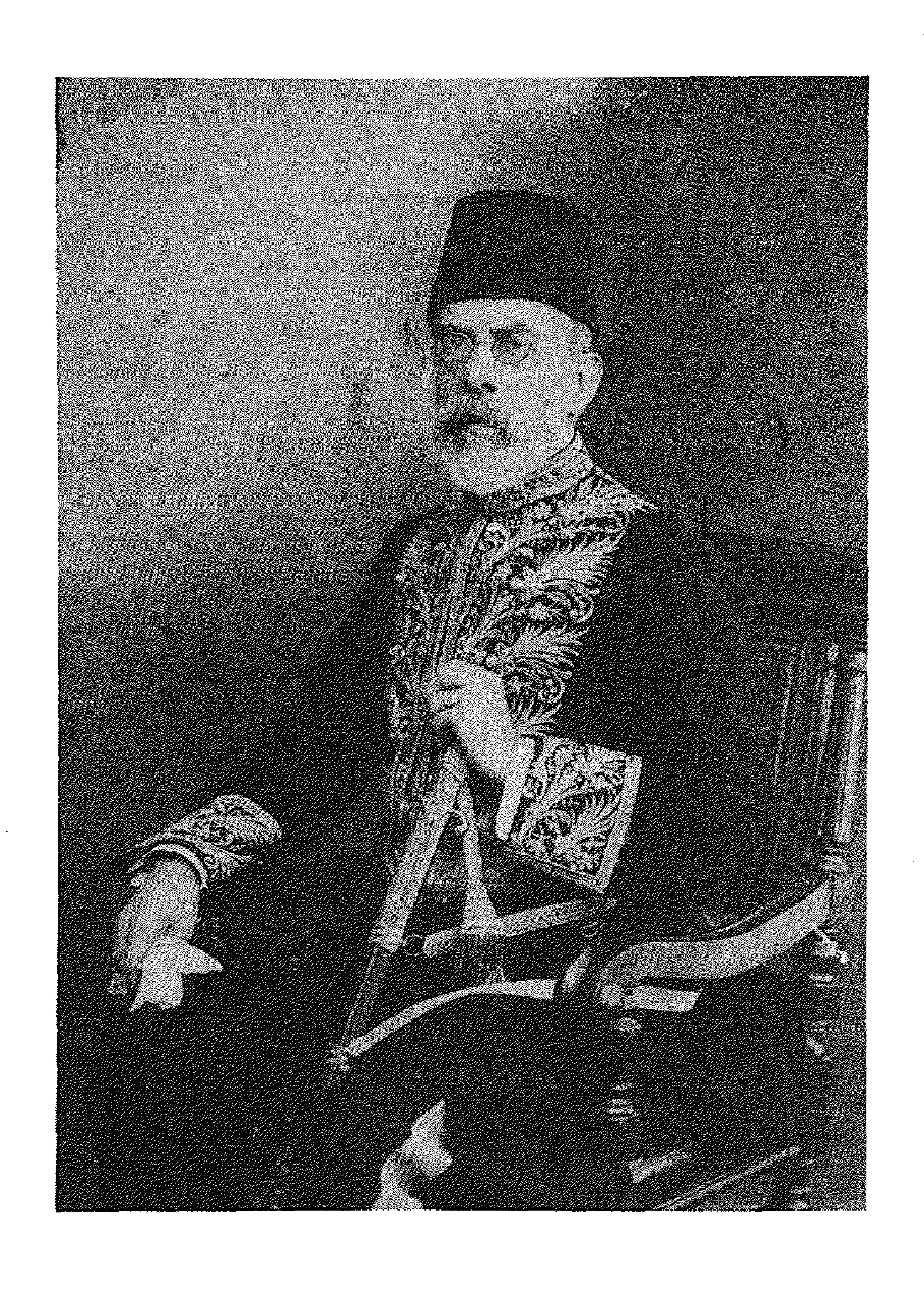
لهذه الرواية الصدى البعيد فى الأوساط الاجتماعية ، وكادت تقوم القيامة عليه ، لو لم يقف بجانبه أدباء البلاد ورجال الاصلاح الذين قدروها حق قدرها ، وعرفوا ما كان يرمى اليه من المقاصد النبيلة .

وتعد هذه الرواية من أقدم الروايات العربية التى ألفها كاتب عربى ، قبل ما تؤلف من حسين هيكل رواية " زينب " ، وقد أعاد طبعها مرارا المرحوم الشيخ يوسف البستانى صاحب مكتبة العرب بالقاهرة .

ثم ألف رواية (سمير الأمير أوليا وثاقب) ، صور فيها عادات اللبنانيين وأهداها إلى الأمير عباس حلمى ولى عهد الخديوية المصرية . وكان من مؤسسى " جمعية المساعى المارونية " بمصر . ولما عاد إلى وطنه تولى تحرير جريدة لبنان الرسمية .







الاستاذ / سليمان البستانى

سليمان البستانى
١٨٥٦ - ١٩٢٥
هوميروس العرب

هو العلم الخافق من أعلام العرب المشهورين ، كتب عنه عدد كبير من الأدباء الشرقيين يبلغ المئات فضلا عن كتاب الغرب الذين دونوا سيرته فى موسوعاتهم ، الأمر النادر حدوثه لكاتب شرقى .

ولد فى الثانى والعشرين من شهر مايو سنة ١٨٥٦ ، فى إحدى مزارع قرية الدبية ، وألحق فى سن السابعة بالمدرسة الوطنية لنسيبه المعلم بطرس البستانى ، مكث فيها مدة ثمانية سنوات ، ويذكر عنه أنه كان طالبا مثاليا فى تفوقه الدراسى وفى امتيازه الأخلاقى كما كان يتمتع بذاكرة مذهله ، حتى أنه حفظ كثيرا من أشعار الشاعر الأنجليزى " ملتن " من كتابه " الفردوس المفقود " ، كما استطاع استظهار قسماً كبيرا من قصيدة " سيدة البحار " للكاتب والشاعر الانجليزى المشهور " والتر سكوت " ، وقد استدعاه يوماً ناظر المدرسة ليقف فى حفلة مدرسية كبيرة ، لينشد مائتى بيت من ألفية بن مالك دون أن يتلعثم فى بيت واحد منها !!

وفى السن التى يركن فيها المرء إلى اللهو ، كان سليمان البستانى منصرفا إلى ترقية نفسه وتهذيبها وزيادة معارفه وصقل مواهبه بالدرس والتحصيل ، ويؤكد معاصروه أنه تمكن من الإلمام بعدة لغات شرقية وغربية ، منها العربية والسريانية والعبرية والفارسية ، والإنجليزية والفرنسية والألمانية واليونانية والإيطالية والتركية الخ .

ودرس مواد العلوم والرياضة والحقوق والإجتماع والتجارة ، كما شغف بصفة خاصة بآداب اللغة العربية وتقصى أخبار العرب .

فى بدء حياته العملية ، اشتغل بالتدريس فى المدرسة الوطنية ، والتحرير فى مجلة (الجنة والخبان) - ومجلة (زهرة الآداب) ، ثم انتدبته القنصلية الأمريكية للعمل مترجما بها .

ولما ذاع صيته فى مجال التعليم والصحافة دعاه وجهاء العراق بالبصرة بزعامة قاسم باشا زهير ، للحضور بالبصرة لانشاء مدرسة وجريدة ، فلبى الدعوة ، وأنشأ المدرسة وقام إلى إدارتها مدة عام واحد ثم تركها للاشتغال بالتجارة ، رغبة فى الاتصال بالبدو ودراسة أحوالهم.

واتخذ له مقاما بالعراق منذ ذلك الوقت ، وتعين عضوا فى المحكمة التجارية ببغداد ، ومديرا لشركة عمان البحرية العثمانية فى عهد ثابت باشا والى البصرة ، الذى لم يجد من هو كفء لإدارة الشركة – التى ساءت أحوالها – إلاّ سليمان البستانى ، الذى تعين مديرا لها بالاتفاق مع مجلس الولاية ، الذى أطلق يده فى جميع التصرفات الداخلية للشركة !!

وقد أتاحت له فرصة إقامته زمنا بالعراق ، زيارة جميع البلاد العربية المتاخمة ، فزار اليمن ونجد وحضرموت وغيرها ، باحثا ومنقبا عن جميع الأماكن التى ورد ذكرها فى الشعر العربى القديم .

عاد سليمان البستانى من الجزيرة العربية إلى بيروت عام ١٨٨٥ ليتفرغ لاخراج مؤلفه العظيم وهو ترجمة (الإلياذه) لهوميروس شاعر اليونان الخالد ، إلى اللغة العربية شعرا ، وقد استنزف هذا العمل الأدبى الكبير منه الكثير من الجهد والعناء !! (١) لتنوع موضوعاتها ورغبته فى أن تبلغ إلى المستوى اللائق بها من الإتقان والكمال .

ثم رحل إلى تركيا (الآستانة) فى طلب أجازة لطبعها هناك فلم يوفق فى ذلك الأمر ... ثم سافر إلى القاهرة ١٨٨٧ حيث ظفر بلقاء نخبة من كبار الكتاب والأدباء الذين أيدوه بتأييدهم وتشجيعهم لطبع هذا المؤلف الكبير . ومكث بها عام ونصف ، وبعدها قام بسياحة إلى العراق فالهند . ثم القى عصاه فى بلاد فارس ، وقضى بها بضع سنين ، لدراسة عادات الفرس وآدابهم ، فتزود بمادة علمية وفيرة ، تضمنتها مقدمته للإلياذه .

---

(١) ٤٠ عاما قضاها سليمان البستانى فى ترجمة إلياذه هوميروس من الإغريقية إلى العربية شعراً !!

وعاد إلى بغداد وتزوج إبنة أحد أثرياء التجار المدعو انطون البغدادى الكلدانى ، وأقام بعد زواجه مدة عامين بمدينة الزوراء ، تابع فيها التأليف الأدبى وأخرج كتابه المشهور " تاريخ العرب "

معرض شيكاغو الدولى ١٨٩٣ :

استدعى إلى الآستانة ، وأسند إليه ، تولى الإشراف على القسم التركى بمعرض شيكاغو الدولى بالولايات المتحدة الأمريكية ، وقام بهذا العمل على أكمل وجه ، ثم بقى فى أمريكا بعد ذلك وأخرج صحيفة أمريكية تركية ، لم تعش طويلا ، لأنها انتقدت فى صفحاتها سياسة السلطنة العثمانية ، ولذلك صدر لها الأمر بالتوقف ، واشترتها السفارة التركية بنيويورك ، لئلا يستخدمها الأحرار فى نقد سياسة الدولة . وكان في الامكان استمرار هذه الصحيفة لو تملق الباب العالى . وبعد رجوعه إلى تركيا سأله جواد باشا الصدر الأعظم بعض نسخ منها فأرسلها اليه .

وعاصر فى تركيا فى ذلك الوقت مذبحة الأرمن ، وكانت الإلياذه ملازمة له فى جميع أسفاره وبصفة خاصة فى بلاد اليونان حيث درس أجواءها ووقف على آراء أدباء اليونان وعشاق هوميروس فيها .

صدور الإلياذه عام ١٩٠٤ :

انتقل إلى مصر واشترك مع ابنى عمه نجيب ونسيب بطرس البستانى فى إخراج الأجزاء ١٠ ، ١١ من (دائرة المعارف) وتم طبعها ونشرها ، ثم ترأس جمعية الكتاب بمصر ، ثم انتخب عضوا فى لجنة " إنشاء الجامعة المصرية "

وفى سنة ١٩٠٤ أصدر الإلياذه بالقاهرة (١) ، وأقام أدباء مصر وسوريا أول احتفال فى الشرق تكريماً لأديب عربى كبير وهو سليمان البستانى وذلك بفندق "شبرد" فى ١٤ يونيو سنة ١٩٠٤.

ولما نمى إلى علم الخديوى عباس حلمى الثانى خبر تعريب الإلياذه ، أحب أن تهدى اليه ، وأرسل شاعره أحمد شوقى بك إلى سليمان البستانى فى منزله لهذا الغرض ، ولكن البستانى قابل رغبة الخديوى بلطيف الاعتذار ، وشكره لهذا التقدير السامى ، فى الوقت الذى كان الكثيرون من الأدباء يقدحون زناد فكرهم فى سبيل التقرب الى الملوك والحكام طمعا فى الرضا والنوال !!

صدور كتابه " عبرة وذكرى "

بعد نشر الإلياذه ، قضى سليمان البستانى أربعة أعوام متنقلا بين مصر وسوريا ولبنان عاملا فى مجال إنهاض البلاد الشرقية ، ومقابلا بين المدنية العربية والمدنية الغربية ، وفى خلواته يعد لاخراج مؤلفه المشهور (عبرة وذكرى) ، وما كاد يعلن الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ ، حتى بادر إلى نشر هذا المؤلف الذى يدعو فيه البلاد العثمانية إلى نبذ التعصب وإلى الحرية وإلى آراء جديدة لإصلاح ما أفسده العهد العثمانى. وقد صدر كتابه بهذه العبارة " إلى أبناء وطنى العثمانى "

وعلى أثر نشر هذا الكتاب ، استدعاه حزب الإتحاد والترقى ، وأسند اليه منصب نائب عن ولاية بيروت مع رضا بك الصلح فى مجلس المبعوثان العثمانى .

---

(١) عن مطابع دار الهلال فى مصر .

والجدير بالذكر ، أن أديبة لبنانية ، مقيمة بالاسكندرية ، تدعى السيدة وردة اليازجى نظمت فى تكريمه ووداعه هذين البيتين :

أخلق ببيروت دار العلم من قدم xxx أن تصطفيك علـى الأيام معوانا

الله لـما ارتـأى إعلان حكمتــه xxx ما أختار من شعبه الا سليمانا

ولما زار أحد أعيان بيروت الآستانة ، وقام بزيارة وزير الحربية فى ذلك الوقت شوكت باشا دار بينهما حديث عن شتى الأحداث والأحوال فى تركيا ، ولما ورد فى ذلك الحديث ذكر سليمان بك البستانى فكان تعليق شوكت باشا للزائر قوله :

" نكلفك أن تعلم أهل بيروت أن نائبهم البستانى هو كناية عن خزان كهرباء ، يرسل أشعته إلى جميع دوائر الآستانة ، حتى إلى وزارة الحربية نفسها ."

آثاره فى مجلس المبعوثان :

١) توثيقه العلاقات بين المجلس وبقية مجلس النواب فى العالم .

٢) إنشاء لجنة تحكيم دولية عثمانية ، لإزالة سوء التفاهم وعلاج المشاكل التى تحدث بين تركيا والدول الأخرى ، وحلها بأسلوب أمثل على أساس العدالة والمساواة .

كما وألحق بها لجنة أخرى لحسم المشاكل بين الولايات التركية ، ولها فروع فى كل منها ، لتوثيق عرى الإخاء بين جميع العثمانيين على إختلاف عناصرهم ومشاربهم .

٣) تعضيده للغة العربية ، تأييد استعمالها بالمحاكم والمدارس الحكومية ، وبقية دواوين الدولة فى البلاد العربية ، واستصدار الأوامر الرسمية بمنع توظيف من ليس له المام باللغة العربية قراءة وكتابة ، كذلك منع غير أبناء العربية من ممارسة تدريسها بالمدارس الاعدادية والرشيدية والسلطانية ، وإعادة من عزلوا من وظائفهم بسبب جهلهم اللغة التركية ، كذلك إلغاء الأمر الصادر بمنع تعيين الأطباء والصيادلة ، الحائزين على شهادات أجنبية من الاستخدام فى

البلديات ومستشفياتها .

٤) وجه عناية خاصة إلى السوريين النازحين خارج بلادهم ، فشكل لجنة رسمية للنظر فى أمورهم ورعاية شئونهم ، وكلف رجال وزارة الخارجية التركية ، لاستحداث قنصليات لها فى البلاد التى يكثرون عدديا فيها .

٥) اهتم بالتوفيق بين رجال الاكليروس من شتى الطوائف المسيحية فى فلسطين ، عندما ساد النزاع بينهم من جهة ، وبين العلمانيين من جهة أخرى بشأن الاشراف على الأوقاف ، وقام بتأليف المجلس الملى المختلط .

٦) ساعد فى منع الضرائب الغير مشروعة ، المفروضة على العراق واليمن .

٧) دافع عن الجزائر السورية سواء منها فى الوطن أو فى المهجر ، فى التهم المنسوبة اليها، وهى التعريض بسمعة الدولة العثمانية ، وحاول إزالة سوء التفاهم بين الترك والعرب !!

سليمان البستانى وزير الزراعة والتجارة :

عهد إلى البستانى السفر إلى لبنان فى مهمة رسمية استغرقت عدة شهور ولما عاد إلى الآستانة سنة ١٩١١ عينته الدولة سفيرا لها فوق العادة ، فى روما ، ثم باريس ، ثم برلين ، بروكسل ، بطرسبرج . فكان محط الاعجاب والتكريم أينما رحل وحيثما حل ، ولم يطل أجل النيابة على سليمان البستانى ، فحين عاد إلى الآستانة ، حتى انتخبه السلطان عضوا فى مجلس الأعيان ، وفى عام ١٩١٣ ، فى عهد الصدر الأعظم البرنس " سعيد حليم " ، تولى وزارة الزراعة والتجارة والغابات والمعادن . فقام بواجبه خير قيام ، وقام باصلاحات فى شتى النواحى فى الوزارة وأغدقت عليه فى هذه الفترة الأوسمة والألقاب ، فكان يأباها تواضعا وحلما ، ولم يقبل الا ما استدعته ظروف المركز الوزارى الذى شغله ؟

وأثناء قيامه بواجبه الوزارى أعلنت الحرب العالمية الكبرى الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) وقد

بذل أقصى جهده فى الحيلولة دون اشتراك الدولة العثمانية فى هذه الحرب الضروس ولكن مساعيه أخفقت ، لأن من لهم مصلحة فى اشعال الحرب ، من أنصار طلعت وانور والماركات الالمانية، قضوا على مساعيه ، فاستقال من الوزارة واعتزل السياسة .

تأثرت صحته من شدة ما حملها من أعباء جسام ، وما حدث للدولة التى خدمها باخلاص وتنكبها الطريق السوى ، وانزلاقها فى الحرب مع الألمان ، فذهب إلى سويسرا للاستشفاء، وأجريت له عملية جراحية فى مستشفى " مون روان " ثم بعد مدة رحل إلى مصر ومازال يعاني من الداء ، فبقى فيها زهاء عام ونصف تحت العلاج باشراف ورعايته شقيقه الدكتور عبد الله البستانى ، حتى تم له الشفاء ، وارتدى ثوب العافية .

وعلى أثر قيام النهضة التركية الحديثة بزعامة مصطفى كمال ، اتاتورك ، دعى إلى أنقرة لمقابلة واسناد منصب هام اليه ولكنه اعتذر لضعف صحته .

مواقف هامة فى حياته :

١) كان البستانى من ضمن أعضاء مجلس المبعوثان ، الذين قرروا خلع السلطان عبد الحميد وأخذ نجمه فى الصعود والتألق فى سماء الآستانة ، فإنتخب سنة ١٩١٠ رئيسا ثانيا لمجلس المبعوثان ، فرئيسا للوفود السلطانية ، إلى عواصم اوروبا ، يخطب فى كل صقع بلغة أبنائه فيلفت الناس اليه ، ويلفه اعجابهم من كل جانب لثقافته الممتازة .

٢) من أهم البعثات السياسية الدبلوماسية التى كان رئيسا لها ، البعثة التى أرسلتها الدولة لإذاعة نبأ اعتلاء السلطان محمد رشاد العرش العثمانى .

ولما زار بلاد الانجليز ، أتيحت له الفرصة أن يكون خطيبا بحضرة جلالة الملك ادوار السابع ، فدهش الملك من فصاحته وعلو قدره فى اللغة الانجليزية ، فسأله عن أصله ونشأته ، وعن مصدر تعلمه اللغة فأجابه أنه تعلمها فى المدرسة الوطنية ببيروت ، فأثنى عليه ثناء جماً

وهنأه على نبوغه وإخلاصه ، ودعاه إلى الوليمة الملكية ، وفى أثناء الوليمة وقف اللورد سكويث رئيس الوزراء فى ذلك الوقت خطيبا فقال :

إني أشير على كل من يزعم أن لا رجال عند تركيا ، أن يتحدث إلى البستانى فيتضح له فساد زعمه .

٣) دعته جامعة أكسفورد لحضور حفلتها السنوية ، فخطب فيها خطبة بليغة بالإنجليزية فنالت تقدير جميع من سمعوها من رجال الجامعة وكبار الكتاب الإنجليز ، وتناقلت جرائد لندن أخبار هذه الحفلة وخطبة سليمان البستانى ، ونشرت صورته في جميع صحف أوروبا ونشرت مذكرات عن حياته وآثاره فى دائرة المعارف البريطانية .

وفاته عام ١٩٢٥ :

عقب زيارته إلى القاهرة وعلاجه بها ، سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لإستكمال علاجه ونزل ضيفا على السيدة مارى إبنة شقيقه سعيد بك البستانى ، فأقيمت له فى نيويورك حفلة تكريم شائقة أقامها له جماعة من أدباء العرب فى المهجر ، ودعى اليها نخبة من رجال أوروبا وأمريكا العارفين بفضله ونبوغه ، منذ أن كان فى الوزارة وفى عهد رئاسته الوفود والمعارض .

ولم يمض وقت يسير على وجوده فى أمريكا حتى عاوده مرض عينيه ، فأتى على نورهما !! فاضطر إلى ملازمة المنزل ، وأصبحت داره محجة الكتاب و الأدباء ينهلون من علمه الغزير .

وأقعده المرض .... وكثر عواده .... وما لبثت عوادى الضعف والخمود تعترى هذا الجسد الذى طال كفاحه ، حتى خبا ضياؤه وانتقلت روحه الخالدة إلى بارئها فى اول يونيو سنة ١٩٢٥ وله من العمر ٦٩ سنة وثمانية أيام .

وما سرى نبأ نعيه فى نيويورك حتى أقبلت جموع العرب فى المهجر تحيط بجثمانه فى غاية الحزن والأسى وعرض جثمانه المهيب فى قاعة الكنيسة المارونية بنيويورك ثم نقل بعد أربعة أيام

إلى كنيسة شارل دى ريمى اللاتينية حيث صلى عليه بحضور قناصل الدول العظمى وكبار رجال الجالية اللبنانية والسورية ، ثم تعددت الحفلات التكريمية لرثائه والتغنى بذكراه .

الأولى : الرابطة القلمية فى نيويورك فى ١٦ يونيو سنة ١٩٢٥ .

الثانية : الجالية السورية واللبنانية فى الأرجنتين .

الثالثة : حفلة بيروت الكبرى التى اشتركت فيها وفود من جميع الأمم العربية .

الرابعة : الجالية اللبنانية فى المكسيك .

الخامسة : حفلة نيويورك الثانية فى يوليو سنة ١٩٢٥ .

إنتاجه الأدبى :

١) ترجمة " إلياذه هوميروس " إلى اللغة العربية شعرا (١)

لقد أتحف لغة الضاد بأعظم أثر أدبى تاريخى ، عجز العرب عن نقله إلى العربية مدة تزيد على الألف عام وقد انتقد المترجم ، معظم الذين عربوا الإلياذه من الغربيين ، أمثال " جيزارونى " و " منتى " الذين نقلاها إلى الإيطالية ، ومنبيل إلى الفرنسية ، وفاوست إلى الألمانية ويوب و جايمن وكوبر إلى الإنجليزية .

وقد بين فى نقده مواطن الخطأ فى هذه الترجمات ، وامتدح من هؤلاء النقلة المترجم الإيطالى منتى والإنجليزى يوب الذى وصفه بأنه أبلغ المترجمين شعراً !!

٢) كتاب عبرة وذكرى

٣) مؤلف عن سياحاته فى العالم حتى إعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ .

٤) كتاب أطوار الشعر العربى أو طبقات الشعراء .

---

(١) نقلها عن الإغريقية القديمة بعد دراسة دامت ٤٠ عاما !!

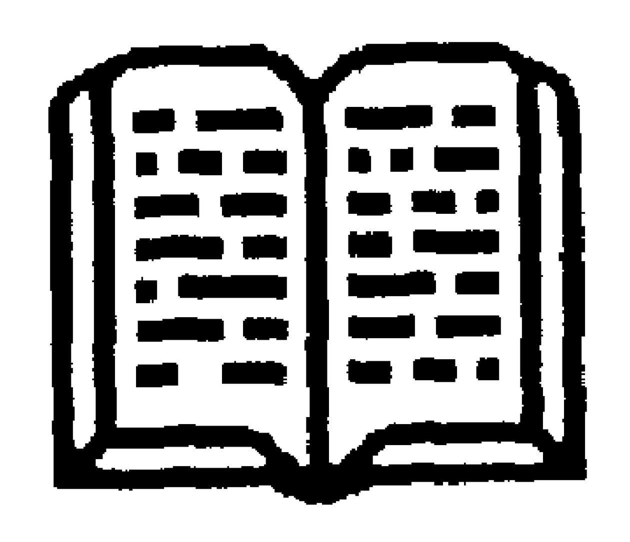
٥) تاريخ العرب فى ٢٠٠٠ صفحة .

٦) أملى مذكراته باللغة الإنجليزية على إبنة أخيه السيدة مارى بالولايات المتحدة وتقع المذكرات بعد طبعها فى أكثر من ألف صفحة .

٧) له العديد من المقالات الأدبية والسياسية فى الجرائد والمجلات الفرنسية والإنجليزية .

٨) كتب عنه العلامة الأديب بطرس البستانى فى معرض دراسة مترجم الإلياذه فى كتابه الثالث (أدباء العرب) .

٩) كان أول أديب عربى أدرك قواعد مادة النقد الأدبى عند الأوروبيين ونقل خبراتهم إلى العربية كما كان من أقطاب السياسة فى الآستانة فاخرت به الدولة العثمانية أمم الغرب .



الشيخ عبد الله البستانى
١٨٥٤ - ١٩٣٠
(حجة اللغة)

هو حجة اللغة العربية ، والزائد عن حياضها بمناظراته اللغوية المشهورة ، ومعلم الأجيال .

ولد فى كانون الأول عام ١٨٥٤ فى الدبية من قضاء الشوف ، وهى قرية جميلة خصيبة ، اشتهرت بمن نبغ فيها من الأعلام من آل البستانى وما أن ترعرع ووصل إلى السن التى تؤهله للتعليم ، حتى ألحقه والده بمدرسة القرية ، فبقى فيها عدة سنوات حتى أكمل دراسته الأولية ، ثم أرسله إلى المدرسة الوطنية ببيروت التى كان يتولى إدارتها نسيبه المعلم بطرس البستانى . وقد قيض الله لعبد الله البستانى الصغير أن يرضع لبان اللغة العربية فى تلك المدرسة لعلمين شهيرين من جهابذة اللغة العربية فى ذلك العصر وهما الشيخ " نصيف اليازجى " والشيخ " يوسف الأسير " اللذان اكتشفا مواهبه الأدبية وقدراته العقلية ، فأصقلاها على خير وجه .

ولما تخرج فى تلك المدرسة عام ١٨٧٣ كان نجما ساطعا فى سماء الأدب والبيان !! ونفسه تواقة إلى خدمة العلم ومزاولة التعليم وسرعان ما اجتذبه الأمير ملحم ارسلان قائمقام الشوف، أستاذاً لمدرسة عبية الدرزية المعروفة بالداودية ، وبقى فى هذه المدرسة بضع سنوات ، ثم قضى عامين مع أحد الأمريكيين المهاجرين لتعليمه اللغة العربية ثم تولى التدريس بعد ذلك فى مدرسة الدامور الحكومية وقضى بها مدة ، ثم تاقت نفسه للعمل فى الصحافة ، فاتفق مع أحد أدباء عصره وهو اسكندر بك عمون وسافرا معا إلى قبرص حيث أصدرا جريدة (جهينة الأخبار) وما أن أصدرا العدد الأول منها حتى صدر أمر الحكومة العثمانية بمنعها من دخول أرضها ، فكان ذلك صدمة لهما ، فأقفلا راجعين إلى بيروت حيث انتدبه المرحوم المطران يوسف الدبس لتدريس اللغة العربية فى مدرسة الحكمة وكان ذلك حوالى عام ١٨٨٠ .

وفى عام ١٩٠٠ حدث له ما دعاه إلى مغادرة مدرسة الحكمة : والتحول التدريس بالمدرسة

البطريركية للروم الكاثوليك فى بيروت ، ويبقى فيها مدرساً للغة العربية إلى أن أقفلت أبوابها بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ - ١٩١٨ .

وفى هاتين المدرستين (الحكمة والبطريركية) لمعت شمس الأستاذ ، وتجلت مواهبه وبعد صيته ، لما خبره الناس فيه من طول الباع فى التدريس والتضلع فى اللغة ، والمهارة فى النظم والنثر ، فقصده طلاب العلم من كل درب وصوب ، وذاع صيته وبعد ذكره فى كل مصر .

ومن ألقى نظرة فى ذلك العصر ، على محررى الصحف النابهين ، ومشاهير الشعراء وكتاب العربية . لوجد أن فريقاً كبيراً منهم كانوا من تلاميذ عبد الله البستانى فى إحدى المدرستين ، ومن تلاميذه اللذين يحضرنا ذكرهم الآتية اسماؤهم :

١) المطران اغناطيوس مبارك رئيس أساقفة بيروت .

٢) الأمير شكيب أرسلان إمام العلم الخافق بين أعلام البيان فى الشرق العربى .

٣) وديع أفندى عقل صاحب جريدة الوطن اللبنانية .

٤) بشاره أفندى الخورى صاحب جريدة البرق (اللبنانية) .

٥) إسعاف بك النشاشيبى أحد نوابغ فلسطين .

٦) الأستاذ الكبير داود بركات رئيس تحرير جريدة الأهرام بمصر .

٧) الشاعر المشهور شبلى بك الملاط .

الخ

مؤلفاته :

١) ترجم عن الفرنسية حكايات لافونتين الشهيرة بالشعر العربى .

٢) معجم عربى فى مجلدين كبيرين ، نشرتها المطبعة الأمريكية ببيروت على نفقتها ، وقد امتاز هذا المعجم بالدقة والوضوح ، وقد اعتمد فى جمعه على لسان العرب لابن منظور ، وتاج

العروس للزبيدى ، وسمى المعجم باسم (البستان) .

٣) اقتطف من البستان موجزا أسماه (فاكهة البستان) جمع فيه ما كثر استعماله من الألفاظ وترك الباقى .

٤) تصحيح ديوان ابو فراس الحمدانى وكتاب الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب لابن أسير المشهور .

إنتاجه الروائى :

اشتهر الشيخ عبد الله البستانى بإنتاجه المسرحى الذى أتحف به المدارس ، التى كانت تستعين به فى حفلاتها المدرسية فى أواخر كل عام دراسى ، فألف كثيرا من المسرحيات الأدبية التى تبارى الطلاب فى تمثيلها وكان بعضها نظما والآخر نثراً وما نذكره من هذه التمثيليات ما يأتى :

١) المسرحيات النثرية :

ا - جساس قاتل كليب (حرب البسوس) .

ب - امرؤ القيس فى حرب بنى أسد .

ج - السمو أو وفاء العرب .

د - عمر الحميرى أخو حسان .

٢) المسرحيات الشعرية :

ا - حرب الوردتين .

ب - يوسف الصديق بن يعقوب .

ج - بروتوس قاتل يوليوس قيصر .

د - مقتل هيرودس لولديه .

المهرجان الأدبى الكبير بمناسبة اليوبيل الخمسينى لنشاطه التعليمى :

وفى ١٥ كانون الثانى من عام ١٩٢٨ احتفل باليوبيل الذهبى للعالم اللغوى والشاعر اللوذعي بنادى مدرسة الحكمة ببيروت ، حيث احتشد جمهور كبير من علية القوم ونبهاء العصر من كافة الأقطار العربية لتكريم حجة اللغة العربية ومالك ناحيتها .

وقد توج الحفل بحضور فخامة رئيس الجمهورية الذى علق على صدر الشيخ عبد الله البستانى وسام الاستحقاق اللبنانى من الدرجة الثانية .

كما اعتلى رئيس مجلس الوزراء آنذاك الشيخ بشاره الخورى ، ورئيس حفلة التكريم وألقى كلمة رائعة فى افتتاح الإجتماع .

كما قام الدكتور أمين الجميل سكرتير لجنة المهرجان بتلاوة تقرير اللجنة فمرسوم الوسام اللبنانى ، ثم مرسوم من سمو الداماد (١) أحمد نامى بك يهدى به وسام الاستحقاق السورى من الدرجة الثانية .

ثم تلا أيضا أسماء أصحاب الرسائل والبرقيات الواردة من مختلف الجهات تقديرا للمحتفل به ومن بينها برقية أمير الشعراء أحمد شوقى بك وشيخ العروبة أحمد زكى باشا ، وبرقية داود بك بركات رئيس تحرير جريدة الاهرام ، وبرقية رئيس الرابطة الشرقية فى مصر .

أما الذين تناوبوا منبر الخطابة فى الحفل فهم :

١) معالى وزير المعارف ورئيس الوزراء بشارة الخورى .

٢) كلمة مندوب المجمع العلمى العربى .

٣) قصيدة شاعر القطرين خليل بك مطران .

---

(١) الداماد : الرئيس باللغة التركية .

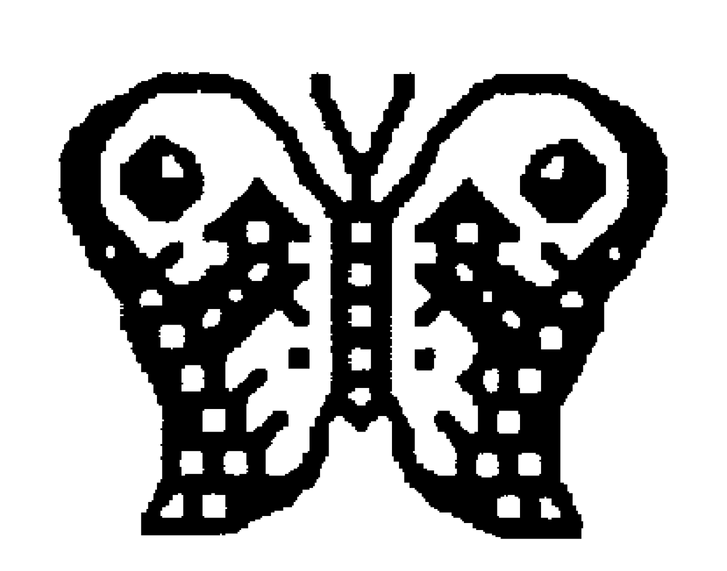
٤) كلمة الدكتور حبيب ثابت عن جمعية الأطباء والصيادلة بلبنان .

٥) قصيدة الأمير شكيب أرسلان .

٦) قصيدة الشاعر وديع عقل من نقابة الصحفيين .

الخ . من كلمات الأدباء ومندوبى الهيئات المختلفة .

ثم وقف الشيخ البستانى المحتفل به وتلا قصيدته العصماء فى ختام حفل اليوبيل متضمنة مشاعره وثناءه لجميع الذين اشتركوا فى المهرجان .



أمين بك البستانى المحامى
١٨٥٤ - ١٩٣٧

هو إبن زيدان إفرام البستانى ، تخرج فى المدرسة الوطنية ببيروت ، واشتغل بعد إتمام دراسته الثانوية بالصحافة ، وحرر فى جرائد الجنة والجنينة والجنان لصاحبها الطيب الأثر المعلم بطرس البستانى .

وفى عهد رستم باشا متصرف لبنان ، حدث نزاع بين الباشا والمطران بطرس البستانى ، ودافع أمين البستانى عن نسيبه المطران ، فغضب عليه الباشا ، وتعقبه دون جدوى .

وفى سنة ١٨٨٠ سافر إلى مصر والتحق بمدرسة الحقوق بها وحين نال الليسانس احترف المحاماة بمصر ، وكان من ألمع المحامين ، وأوسعهم دراية بالقوانين والشرائع ، وعد من كبار الأدباء الذين خدموا العلم والأدب خدمات جلى . كما أشتهر بحسن معشره ولطف محضره وكرم أخلاقه وجرأته فى الدفاع عن الحقوق وغيرته على ذويه .

إنتاجه الفكرى :

١) قام بشرح قانون العقوبات فى مؤلف صدر ١٨٩٤ .

٢) خلال فترة قيامه بالمحاماة ، كان يراسل الجرائد المصرية مثل المقطم والمحروسة سنة ١٨٨١ وجريدة الأهرام فى ١٩١٤ ، ١٩١٥ ، ثم كاتب المقطم والبصير والأخبار ، وجمع ما نشره من المقالات التى تعنى بالمباحث القانونية والإجتماعية وطبعها فى سفر واحد سنة ١٩١٩ أسماه " مختارات أمين البستانى "

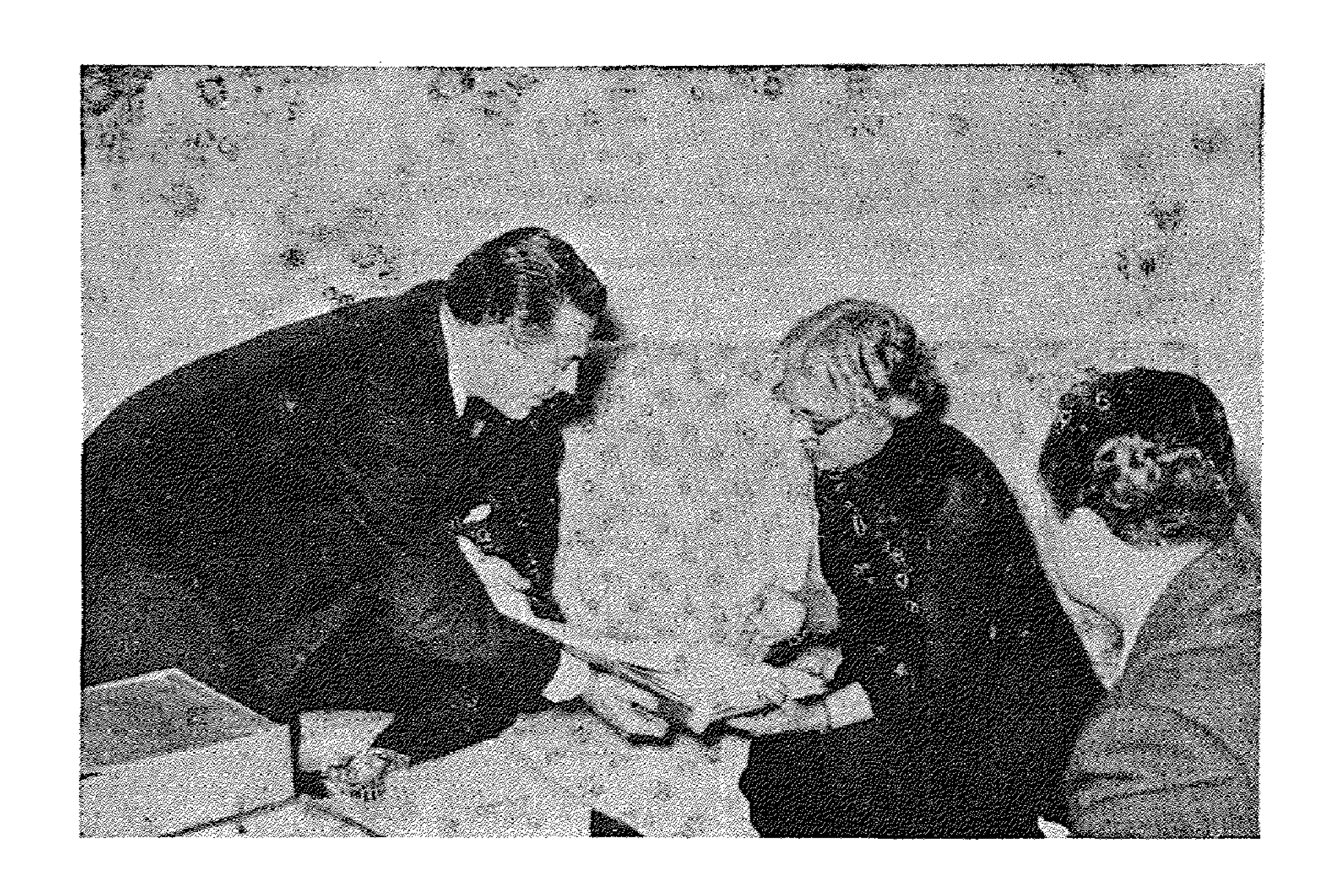
ثم غادر مصر فى أواخر حياته ، وعاد إلى وطنه ، ولزم بيته حتى توفاه الله .

حصل على رتبة المتمايز ومنح لقب البكوية .



الاستاذ / فؤاد وديع البستانى يقدم " المهبراته "

الى اللواء محمد نجيب



الاستاذ فؤاد وديع البستانى يقدم " المهبراته " الي السيدة نهرو



فخامة الاستاذ / كميل شمعون يعلق الوسام على صدر

العلامة وديع البستانى .

وديع البستانى
ناقل الروائع الهندوسية
١٨٨٨ - ١٩٦٢

يعتبر وديع البستانى من أدباء الأسرة البستانية الذين هاجروا من لبنان إلى مصر والتحقوا بخدمة الحكومة المصرية ، واعتبروا مصر الوطن الثانى لهم .

ولد فى عام ١٨٨٨ وأتم دراساته فى المراحل التعليمية المختلفة فى لبنان ، ووفد إلى مصر فى أواخر عام ١٩٠٩ والتحق بالعمل فى وزارة الاشغال المصرية فى سلك الترجمة .

بدأ نشاطه الأدبى بترجمة مؤلفاته الأديب الأنجليزى اللورد ايفبرى وتشمل هذه المؤلفات نواحى مختلفة فى فلسفة الحياة اليومية ، وأسماء هذه المؤلفات فيما يلى :

١) معنى الحياة . ٢) السعادة والسلام .

٣) مسرات الحياة . ٤) محاسن الطبيعة .

وقد اشتهر بسياحاته الأدبية ، والبحث فى المكتبات الشهيرة بالبلاد التى زارها ومن أهم سياحاته ما يلى :

١) رحلة إلى لندن فى عام ١٩١١ :

وفى هذه الرحلة قام بزيارة مكتبة المتحف البريطانى ، وقام بدراسة رباعيات الخيام [١] ، ويعتبر وديع البستانى أول عربى قام بنقل هذا الأثر الفارسى العالمى الشهير . وقد ذكر فى ديباجته التى قدم بها ترجمته لرباعيات الخيام ، إنه قام بهذا العمل لكى يفتح باباً فريداً من أبواب البحوث الأدبية الهادفة لكى يدخله غيره من الأدباء والكتاب . وقد تحقق بالفعل ما أراده فى محاولات كثير من الأدباء منهم محمد السباعى - أحمد رامى - أحمد ضافى النجفى - جميل صدقى الزهاوى وآخرين .

---

(١) رباعيات الخيام - وديع البستانى - دار العرب للبستانى - القاهرة - ١٩٩٤ .

٢) رحلة إلى الهند فى عام ١٩١٢ :

. فى هذه الرحلة : حل ضيفا على شاعر الهند العظيم رابندرانات طاغور وأطلع على الكثير من أشعاره ، ودرسها دراسة دقيقة ، واستعان بالشاعر الكبير فى فهم مدلولاتها وقد ساعدته هذه الرحلة فى إصدار ترجمة لمجموعة من هذه الأشعار عام ١٩١٧ باسم " البستانى " وقد نالت هذه الترجمة رواجاً كبيراً بين الطبقة المثقفة فى مصر والبلدان العربية .

٣) سياحة فى جنوب أفريقيا خلال الحرب العالمية الأولى :

فى أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) سافر إلى جوهانسبرج فى جنوب أفريقيا وفى أثناء هذه الرحلة أخرج لأول مرة منظومة شعرية عنوانها (رباعيات الحرب)

ومن مؤلفاته الشهيرة :

١) ترجمة الملحمة الهندية الكبرى المسماة (المهبراته) وهى ملحمة هندية ، تشبه فى ظروفها التاريخية (إلياذه هوميروس) التى قام بتعريبها الأديب الكبير سليمان البستانى وقد وقع التعريب فى قصيدة طويلة تضم أكثر من ٣٤٨٠ بيت من الشعر الغربى العمودى .

٢) كان له نشاط سياسى كبير ، فى تيار مقاومة الحركة الصهيونية ، وقد تمثل ذلك فى كتابه الذى نشره عام ١٩٣٦ بعنوان (الانتداب الفلسطينى باطل ومحال) .

٣) فى عام ١٩٤٧ أصدر كتابه الثانى (خمسون عام فى فلسطين) وقد طبع فى بيروت وهكذا كانت حياة هذا الأديب ، خصبة وثريه ، فقد ترجم للأدب الهندى والأدب الإنجليزى والأدب الفارسى فى أعظم مواقعه ، ثم جاهد مع المجاهدين الأول فى الدفاع عن قضية فلسطين .

ملحوظة : قام الصليب الأحمر الدولى بتهريبه من حيفا (فلسطين) بعد قيام اسرائيل ١٩٤٨، عاش بعدها فى قرية الدبية موطن العائلة البستانية .



الاستاذ / يوسف البستانى

الشيخ يوسف البستانى
خبير المخطوطات العربية وشيخ الوراقين
١٨٩٢ - ١٩٥٢

ولد فى الدبية عام ١٨٩٢ ، توفى والده المرحوم توما البستانى وهو فى الخامسة من عمره ، فكفله خاله يوسف حبيب البستانى وأمه السيدة الفاضلة ورده ، وأدخلاه مدرسة القرية ، التى كان يديرها نسيبه المربى القدير المعلم نسيب البستانى ، وفى سن العاشرة أرسل إلى مدرسة " قرنة شهوان " ومكث فيها خمس سنوات ، تعلم فيها اللغة الفرنسية وأتقن اللغة العربية ودرس السريانية ، وكان الهدف من تعليمه فى هذه المدرسة ، إعداده للإنتظام فى سلك رجال الكهنوت ، وارتدى كذلك الثوب الأسود لمدة عامين ، وأطلق لحيته .

ولما أزمع الرجوع إلى بلدته ، هاله أن يعود بهذه اللحية فحلقها ، ثم فر بعد ذلك من المدرسة (١) ، ورحل إلى بيروت وبقى فيها مدة عام ثم سافر إلى مصر وأقام بمنزل شقيقته السيدة لطيفة بالقاهرة ، التى ألحقته بمدرسة الأمريكان بها (وهى التى كانت تقع بحي الأزبكية أمام فندق شبرد لإتمام تعليمه ، برغم أن نطاق معاهد التعليم كان على رحبه أضيق من أن يتسع لتلك النفس التى تكره القيود والحواجز ، مما دعاه أن يترك المدرسة ، وراح ينشد الحرية والتحصيل بطريقته الخاصة ، الأمر الذى زاد من نقمة شقيقته الكبرى عليه وهى التى كانت ترعاه مادياً وتربوياً !!

فماذا يعمل وهو غريب فى القاهرة لا دار له ولا عقار ؟ وذهب إلى نسيبه المرحوم سليمان البستانى يعرض عليه حالته ، ويطلب منه توصية لأى من أصدقائه ، عله يجد بوساطته عملا يضمن له رزقاً ، فاستقبله سليمان بالترحاب ، وحرر له خطاب توصية للتوجه به إلى المرحوم

---

(١) لمعارضته رجال الدين فى إطلاق لحاهم !

شاهين بك مكاريوس بجريدة المقطم ، وقبلت التوصية وتعين مستخدماً بإدارة الجريدة بمرتب قدره ثمانية جنيهات شهرياً .

مكث فى جريدة المقطم ردحاً من الزمن ، وضاق ذرعا بقيود الوظيفة ، والأجر المحدود الذى لم يحقق طموحاته فترك الوظيفة وتفرغ للأعمال الحرة ، وبصفة خاصة تجارة الكتب .

وفى العقد الثانى من القرن العشرين وقد بلغ من العمر الخامسة والعشرين رحل إلى أوروبا وزار باريس ولندن وبرلين وبروكسل . ومن ثم انتقل إلى الجزائر ومراكش ، فتعرف إلى جماعة المستشرقين ومديرى الجامعات فى أوروبا ، واستفاد من هذه الرحلة ومن عمله السابق بجريدة المقطم ، المعلومات الغزيرة والإختبارات الكثيرة ، التى جنى فوائدها فى مجال فن المكتبات ، حتى أنه ما أن عاد من رحلته التى قضى بها خمسة شهور ، فأنشأ بالقاهرة مكتبة العرب وأخذ يتعهدها بعنايته حتى عدت من أشهر المكتبات العربية فى مصر والعالم العربى بمطبوعاتها ومخطوطاتها (١) .

جهوده فى نشر الثقافة والأدب :

١) قام بطبع ونشر ما يقرب من مائتي كتاب من عيون الأدب ، فاحتكر مؤلفات جبران خليل جبران وأمين الريحانى ، ونشر لكثيرين من مشاهير الكتاب المصريين والقدماء أمثال : إبراهيم اليازجى – أحمد فارس الشدياق وغيرهم .

---

(١) عقب زلزال القاهرة سنة ١٩٩٢ ، أتت مافيا الزلزال بالقاهرة على مبنى المكتبة ولكن صلابة المشرفين عليها وتحديهم للإرهاب وقف حائلا دون تحقيق رغباتهم ، والدليل الكتاب الذى بين يدى القارىء الكريم كثمرة من استمرار الكفاح والنضال .

وبحث عن مؤلفات أدباء العائلة البستانية ، بغية تيسير سبل اقتنائها للطالبين بعد أن أصبحت نادرة الوجود مثل (دائرة المعارف) وترجمة الإلياذه لهوميروس وسواها .

٢) بحث عن الكتب النادرة ، وعكف على جمع المخطوطات القديمة لأعاظم الكتاب العرب القدماء ، والمصاحف الأثرية ، وكان الوحيد بين أصحاب المكاتب المصرية الذى أهتم بهذا الأمر ، وجعله من أوليات نهجه فى دعم الثقافة الأدبية للمواطنين المصريين والعرب جميعا .

٣) كانت مكتبته الكائنة بالقاهرة بالفجالة ، قبلة الأدباء والباحثين والمهتمين بالدراسات العربية من أبناء اللغة الاصلاء أو مريديها الدخلاء ، يردونها لإقتناء ما يتمنون من كتب وموسوعات ومراجع نادرة ، تحقق لهم ما ينشدون من تقدم فى دراساتهم .

شخصيته الاجتماعية :

كان محضره لطيفا ، وحديثه كالورد السائغ للشاربين ، ينهلون منه المعرفة والارشاد ، خاصة حينما يستحضر من ذاكرته القوية تاريخ السلف الصالح من رجال اللغة والأدب والصحافة كاليازجى وزيدان وصروف ونمر وتقلا وطانيوس عبده ونقولا رزق الله وإلياس فياض وفيلكس فارس وفرح انطون ، إلى أن يصل بزائره فى جولاته الفكرية الممتدة إلى الكتاب المشهورين المعاصرين ، فيتحدث عن أحمد أمين وأحمد تيمور باشا وعباس محمود العقاد وطه حسين وبشر فارس وعبد القادر المازنى . ثم يعرج فى حديثه إلى مشاهير المستشرقين الأجانب ، فيتحدث عنهم حديث العارف المتمكن ، عن نلينو وليتمان وبرجشتراس وجويدى وكراوس وجب وغيرهم .

كان يوسف البستانى بالنسبة لمعاصريه ، المرجع الزاخر الحى ، من مراجع الأدب العربى الحديث ، فكان ملماً تمام الإلمام بالأعمال الأدبية لجورجى زيدان والأب لويس شيخو وطرازى والمجلات الأدبية الرائجة فى زمانه ، كالجنان والمقتطف والهلال والضياء والبيان والمشرق

وسواها ، ووعى فى صدره الغنى أخبار السابقين والمعاصرين من المؤلفين كما وعت مكتبته كل ما يحتاج اليه طالب العلم والثقافة .

آثاره الأدبية :

١) كتاب أمثال الشرق والغرب .

٢) تاريخ حرب البلقان .

٣) نوادر الحرب العظمى .

الانعامات السامية التى نالها :

١) أنعم عليه باى تونس (الحاكم فى العهد الماضى) نيشان نشر المعارف .

٢) أنعمت عليه حكومة العراق فى عهد المغفور له الملك فيصل بنيشان (الاجتهاد والتقدير)



بطرس البستانى الثانى
١٨٩٨ - ١٩٧٨

ولد بدير القمر ١٨٩٨ ، التحق بمدرسة الأخوة المريميين فى بلدته ، وقَضى بها ثلاث سنوات ، وأثناء دراسته اندلعت الحرب العالمية الأولى وأعقبها الإنتداب الفرنسى ، فأخذ يتابع دراساته حينا على مدرس خاص ، أو يدرس بنفسه ، وقد توزعت دراساته مع الأدب العربى والأدب الفرنسى . فأرتوى من معينهما ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، ولما وجد فى نفسه النزوع إلى الكتابة ومطارحة الكتاب والشعراء أخذ يكتب فى الصحف اليومية .

إنتاجه الأدبى :

١) أنشأ ١٩٢٣مجلة البيان الأسبوعية ، مجلة أدبية ، سياسية كانت من أوليات الصحف فى عهد الإنتداب الفرنسى ، أصدرها مصورة فى ثمانى صفحات حتى ١٩٢٩ ثم أخرجها فى إثنى عشر صفحة إلى أن احتَجبت ١٩٣٠ .

٢) قام بتأليف كتابه أدباء العرب وصدر منه الأجزاء التالية :

ا - الجزء الأول عن العهد الجاهلى وظهور الاسلام ١٩٣١ .

ب - الجزء الثانى عن الأدب فى العصر العباسى ١٩٣٤ .

ج - الجزء الثالث عن الأدب الأندلسى ١٩٣٧ .

ويعد كتاب أدباء العرب من كتب النقد الأدبى علاوة على محصوله التاريخى فقد أسهب الكاتب فيه فى نقد آثار الأدباء ، وبيان وتحليل المميزات الأدبية فى شتى العصور التى امتاز بها الكتاب والشعراء .

٣) فى عام ١٩٤٨ أصدر كتابه المختارات الأدبية جمع فيه طائفة شائقة من آثار الشعراء

والكتاب اللامعين فى الأدب العربى .

٤) فى سنة ١٩٤٤ أصدر كتاب " معارك العرب " وهو يحمل لونا جديدا من البحث فى تاريخ العرب والميادين الحربية الشهيرة التى شاهدت بطولاتهم ، حتى اتسعت الممالك العربية وترعرعت وامتدت أطرافها . وتناول هذا الكتاب جميع المعارك التى دارت بين العرب والدول الأعجمية منذ صدر الاسلام حتى زوال الخلافة .

٥) وفى عام ١٩٤٤ ظهر أيضا كتاب الشعراء الفرسان

ويتحدث عن شعر البطولة فى العصر الجاهلى وآداب الفروسية وحياة شعرائها ، واجتمع له فيه السرد القصصى إلى الدراسة التحليلية للبيئة والاشخاص ، مقرنة بالشواهد الشعرية . وتناول درس طبقات الشعراء الفرسان من السادات الأشراف الى العبيد الصعاليك .

ثم اختتم كتابه فى المقارنة بين آداب الفروسية العربية ، وآداب الفروسية عند الغربيين .



ادوار خليل البستانى
١٩٠٦ - ١٩٨٢

ولد في دير القمر ١٩٠٦ ، وحصل على البكالوريا من مدرسة عين طوره الثانوية ، وعين بعد تخرجه فى وظيفة كتابية بالعدلية (وزارة العدل) ثم تابع الدرس والتحصيل أثناء عمله ، فنال ليسانس الحقوق من كلية الحقوق ببيروت ولكنه لم يمارس المحاماة ؟ بل ظل موظفا فى العدلية ، يؤهله ذكاؤه الحاد وكفاءته العملية للتقدم السريع .

ونظرا لتضلعه فى اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، عين مترجما ثم رئيسا لقسم الترجمة ثم مديرا عاما لدائرة الترجمة والمنشورات الرسمية .

وتابع سيره صعدا فى سلم الترقيات ، حتى وصل إلى منصب رئيس ديوان مجلس الوزراء عام ١٩٥٤ . ثم مديرا للشئون الإدارية فى وزارة العدل ، وهذا آخر منصب وصل اليه إلى أن تقاعد على المعاش عام ١٩٦٦ ، وكان فى طليعة موظفى الدولة الأكفاء النزهاء .

إنتاجه الأدبى :

١) ألف كتاب مناهج الترجمة ، وهو كتاب قيم يعالج فن الترجمة من حيث أصوله وقواعده بأسلوب علمي واضح .

٢) ترجم رواية آلام ڤرتر للشاعر الالمانى الكبير جوته .

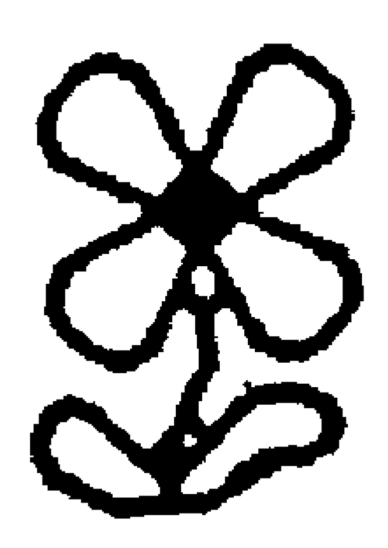
٣) ترجم كتاب رحلة إلى الشرق للمستشرق الفرنسى ڤولنى Volney

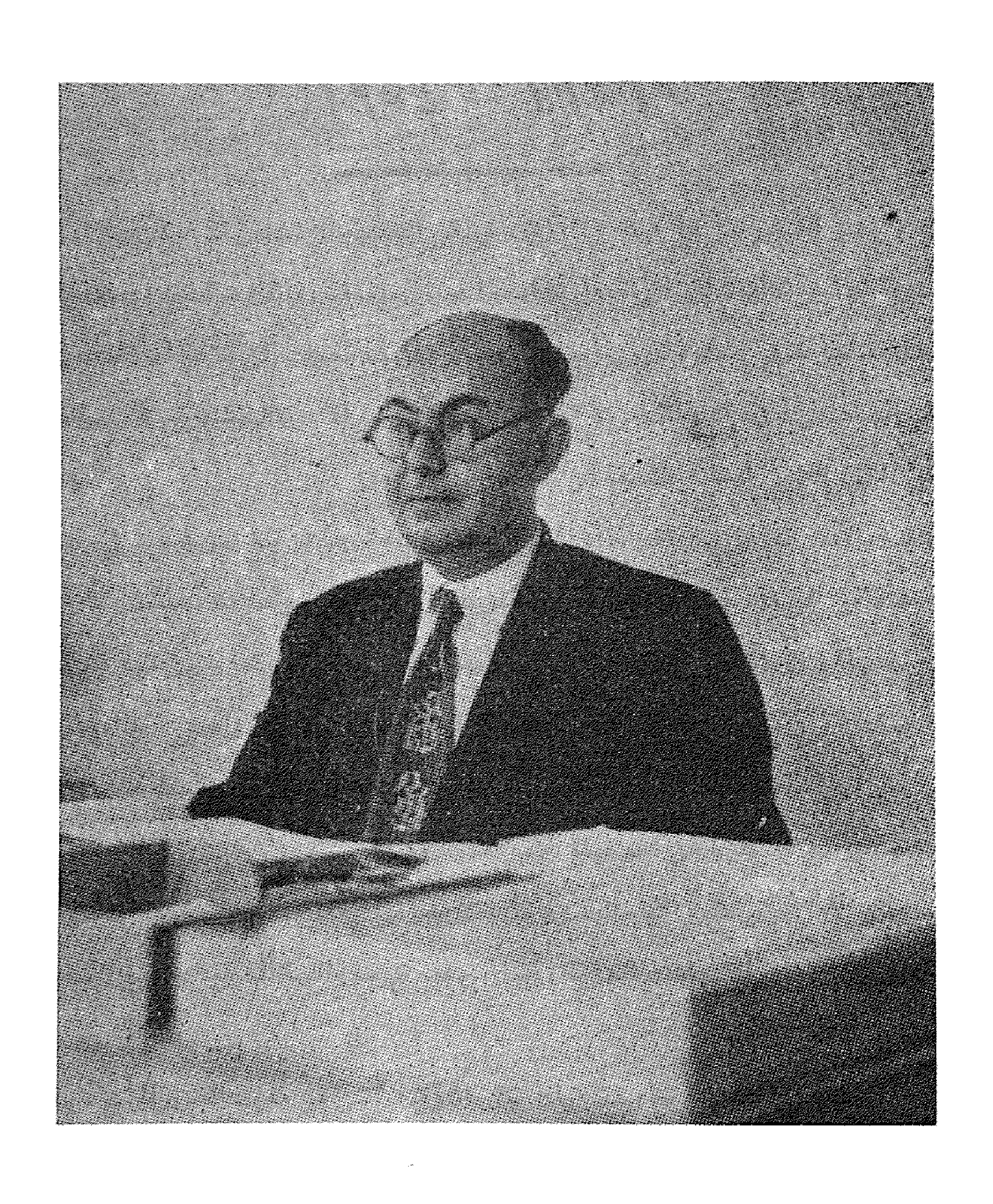
٤) ترجم (الكتاب الذهبى لجيوش الشرق) .

٥) ترجم كتاب خواطر باسكال .

وقد اشترك فى ديباجة كثير من الأبحاث الأدبية القيمة فى عديد من المجلات والجرائد فى

لبنان وله ديوان شعر غير مطبوع ، يحتوى على مجموعة من القصائد ، نشرت بالصحف . وكان شعره يذوب رقة وعاطفة . وقد بدأ يتغنى بالقوافى منذ حداثته ، وقد تفتقت براعم شبيبته عن أزاهير فواحة العبير ، تنعقد على وريقاتها أنداء الطبع السموح ، والعاطفة السخية .





ـ الاستاذ / فؤاد افرام البستانى

فؤاد إفرام البستانى
الأكاديمى الموسوعى معلم الأجيال
١٩٠٦ - ١٩٩٤

ولد فى دير القمر فى ١٥ / ٨ / ١٩٠٦ ، وتلقى التعليم الإبتدائى فى مدرسة الأخوة المريميين ، ثم تابع تعليمه إلى أن ألتحق بجامعة القديس يوسف ، وأثناء دراسته الجامعية فى بيروت استأجر غرفة صغيرة قرب الجامعة ، وسرعان ما تحولت إلى غرفة أستاذ حين بدأ الطالب الجامعى فؤاد البستانى ١٩٢٦ يعطى دروسا فى الأدب والخطابة لصف البكالوريا ودروس الأدب العربى لصف الفلسفة فى الجامعة .

شغف بالأدب العربى منذ نعومة أظفاره فانصرف اليه ، وما أن بدأ تدريسه حتى وجد أن طلابه يفتقرون إلى مرجع فى متناولهم ، يختصر لهم الأدب العربى وأعلامه ، فأخذ منذ ١٩٢٧ يصدر سلسلة (الروائع فى الأدب العربى) ، صغيرة فى حجم كتاب جيب ، غنية فى حجم مكتبة صغيرة .. وقد انتشرت الروائع فى لبنان والبلدان العربية انتشارا واسعا ، وباتت مرجعا لا غنى عنه ليس لطلاب الأدب العربى فحسب ، بل لكل من يكتب فيه ، أو يبحث عن مراجع ، وقد بلغت الروائع ٦٧ جزءا فى نحو ستة آلاف صفحة مكثفة .

ولم يطل الأمر حتى طلبه الآباء اليسوعيون للتدريس فى معهد الآداب الشرقية ، الذى كان قد بدأ أن يخرج ذوى الشهادات العالية ، فمارس فيه تدريس اللغة العربية وتاريخ الحضارة العربية منذ عام ١٩٣٣ .

ثم قام بتدريس مادة التاريخ وحضارات دول الشرق الأدنى فى معهد العلوم السياسية من عام (١٩٤٥ - ١٩٥٥) ، إضافة إلى قيامه بتدريس الأدب العربى والفلسفة الاسلامية وتاريخ العرب فى الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة من (١٩٤٧ - ١٩٥٢) ، وفى معهد الأخوة المريميين فى جونيه من (١٩٣١ - ١٩٤٣) والأدب العربى وفى الكلية البطريركية فى بيروت

من (١٩٣٣ - ١٩٥٢) ، والأدب العربى فى دار المعلمين والمعلمات من (١٩٣٣ - ١٩٥٢) ، والفلسفة الاسلامية فى معهد الحكمة ببيروت من (١٩٤٢ - ١٩٤٤) .

أثاره الصحفية :

اشتغل فى تحرير (مجلة المشرق) فى الأيام الأخيرة من حياة مؤسسها الأب لويس شيخو (١٨٥٩ - ١٩٢٧) ، والتحرير فى (مجلة البشير) .

المناصب القيادية التى شغلها :

١) أسندت اليه الدولة (لبنان) منصب مدير معهد المعلمين والمعلمات وبقى فى هذا المنصب مدة ١١ سنة .

٢) أسندت اليه الدولة مهمة وضع العديد من المناهج الدراسية فى المرحلة الثانوية ، وصولا إلى المساهمة فى وضع منهج البكالوريا اللبنانية .

٣) عين أمينا عاما للجنة الوطنية اللبنانية فى الأونسكو ١٩٤٨ حتى ١٩٥٥ .

٤) عين أمينا عاما للجنة العالمية لترجمة الروائع الكلاسيكية ١٩٤٩ .

٥) لما تأسست الجامعة اللبنانية ، أسندت اليه الدولة منصب المدير لها من عام ١٩٥٣ إلى عام ١٩٧٠ .

مؤلفاته :

١) قام بتحديث (قاموس المنجد) الذى وضعه الأب لويس المعلوف ، فأضاف إليه الكثير من علمه الزاخر وزاد على إعلامه فى قاموسه الجديد باسم (منجد الطلاب) ، الذى صدرت منه حتى الآن اثنان وأربعون طبعة.

٢) ترجم للعلامة المشهور الأب لامانس كتابه المشهور (الفقه الاسلامى) ١٩٢٣ ، وهكذا دخل العلامة فؤاد البستانى تاريخ الأدب العربى الحديث والحضارة العربية وتاريخ الاسلام ، معلما ومؤرخا وبحاثه لا سيما ما أصدره من سلسلة (الروائع فى الأدب العربى) التى سبق ذكرها.

٣) ورث عن المعلم بطرس البستانى دائرة المعارف التى لم ينجزها قبل رحيله ، فأضاف إليها عدة أجزاء هامة لاستكمالها ، وبلغت دائرة المعارف معه نحو ٥٦٠٠ صفحة حجما موسوعيا !! حتى المجلد الرابع عشر وقوفا عند حرف الألف [١]

٤) مؤلف على عهد الأمير ١٩٢٦ .

٥) مؤلف النقد الأدبى ١٩٣٠ .

---

(١) أصدر فؤاد افرام البستانى ١٤ مجلدا من دائرة المعارف حتى وفاته وقد تأخر الطبع بسبب الحرب الأهلية فى لبنان ١٩٧٦ - ١٩٨٩ . وكان الأمل معقودا أن تصدر فى ٢٤ مجلدا وهى جاهزة كاملة فى حجم دائرة المعارف البريطانية . وقد تأسست مؤسسة فؤاد افرام البستانى بعد وفاته من الشيخ عبد الله العلايلى ، نائلة معوض ، ميرنا البستانى ، ميشيل إده ، على عسيران ، مروان حماده ، أسعد رزق ، أسعد دياب ، بيير حلو ، عدنان القصار ، ريمون عوده ولطف الله ملكى . ويقوم حاليا الدكتور حارث فؤاد البستانى بإصدار الأجزاء الباقية من الدائرة .

٦) مؤلف لماذا ١٩٣٠ .

٧) مؤلف الرسالة الحاتمية فى المقابلة بين المتنبى وأرسطو فى الحكمة ١٩٣٠ .

٨) مؤلف لبنان فى عهد الأمراء الشهابيين بالإشتراك مع الأستاذ أسد رستم ١٩٣٣ .

٩) مؤلف الحلم عند العرب ١٩٣٤ .

١٠) مؤلف بغداد عاصمة الأدب العباسى ١٩٣٤ .

١١) مؤلف الثأر وصفته عند العرب الجاهليين ١٩٣٥ .

١٢) مؤلف لبنان فى عهد الأمير فخر الدين الثانى ١٩٣٦ بالإشتراك مع أسد رستم .

١٣) مؤلف رصافة الشام ورصافة الرشيد ١٩٣٦ .

١٤) مؤلف المتنبى والشعر الصحافى ١٩٣٦

١٥) مؤلف دمشق . المترجم عن الكاتب الفرنسى جان سوڤاچيه ١٩٣٧ .

١٦) مؤلف عبادة الحجارة فى العهد الجاهلى ١٩٣٨ .

١٧) مؤلف حلب عاصمة الأدب الحمدانى ١٩٣٨ .

١٨) مؤلف الأسلوب الشفهى عند العرب ١٩٤١ .

١٩) مؤلف المساجد والمناسك فى الجاهلية ١٩٤١ .

٢٠) مؤلف المعرى ضحية العقل ١٩٤٥ .

٢١) مؤلف لبنان ما قبل التاريخ ١٩٤٦ .

٢٢) مؤلف المجانى الحديثة فى أربعة أجزاء ١٩٤٦ .

٢٣) مؤلف مميزات الشعب اللبنانى ١٩٤٩ .

٢٤) ديوان المعلم نقولا ترك ١٩٤٩ .

٢٥) خمسة أيام فى ربوع الشام ١٩٥٠ .

٢٦) معانى الأيام ١٩٧٣ .

٢٧) الهوية اللبنانية ١٩٧٣ .

٢٨) يوميات لبنانى عتيق فى ١٣ جزء ١٩٧٧ .

٢٩) مار أنطونيوس الكبير ١٩٨١ .

٣٠) وهى لمن غلب (صدر له بعد وفاته عام ١٩٩٤) .

نشاطه فى أثناء الحرب الشرسة فى لبنان :

حين اندلعت الحرب ، دخل المعترك مدافعا عن لبنان – على طريقته ومن وجهة نظره – وانضم إلى رفاق له فى الجبهة اللبنانية ، داعيا إلى إنقاذ لبنان الحضارى وهم : شارل مالك – جواد بولس – ادوار حنين وقد تميز بخطه الراديكالى ضد الحرب وانتهاج المسالمة والتفاهم ، حتى لا يقال إن الحرب فى لبنان أهلية أو طائفية . وكان هدفه الأساسى توعية الشعب بتاريخ لبنان الحضارى والثقافى المجيد ، معتبراً أن شعب لبنان سيحب وطنه أكثر ويعمل على إنقاذه .

نشاطه فى الإذاعة والتليفزيون :

١) قدم حلقات إذاعية خلال الحرب عن تاريخ حضارة لبنان وقد بلغت هذه الحلقات المئات ، من خلال تليفزيون " المؤسسة اللبنانية للإرسال " بعنوان (لبنان الدائم فى تطوره الحضارى) بلغت مجموعها ١٤٦ حلقة فى ١٤٦ ساعة إرسال ، وهى من أندر ما تحفظه الأجيال عن تاريخ لبنان .

مميزاته الشخصية :

امتازت حياته بنظام دقيق فى حياته اليومية ، وصفاء فى الذهن ، وقوة فائقة فى الذاكرة ، وقد تفوق تفوقا مذهلا فى ميادين - التدريس - التأليف - البحث - الإشراف الأكاديمى وهذا ما أدى إلى سعة إنتاجه فى الأدب واللغة والتاريخ والسياسة والتربية الخ .

الأوسمة التى نالها :

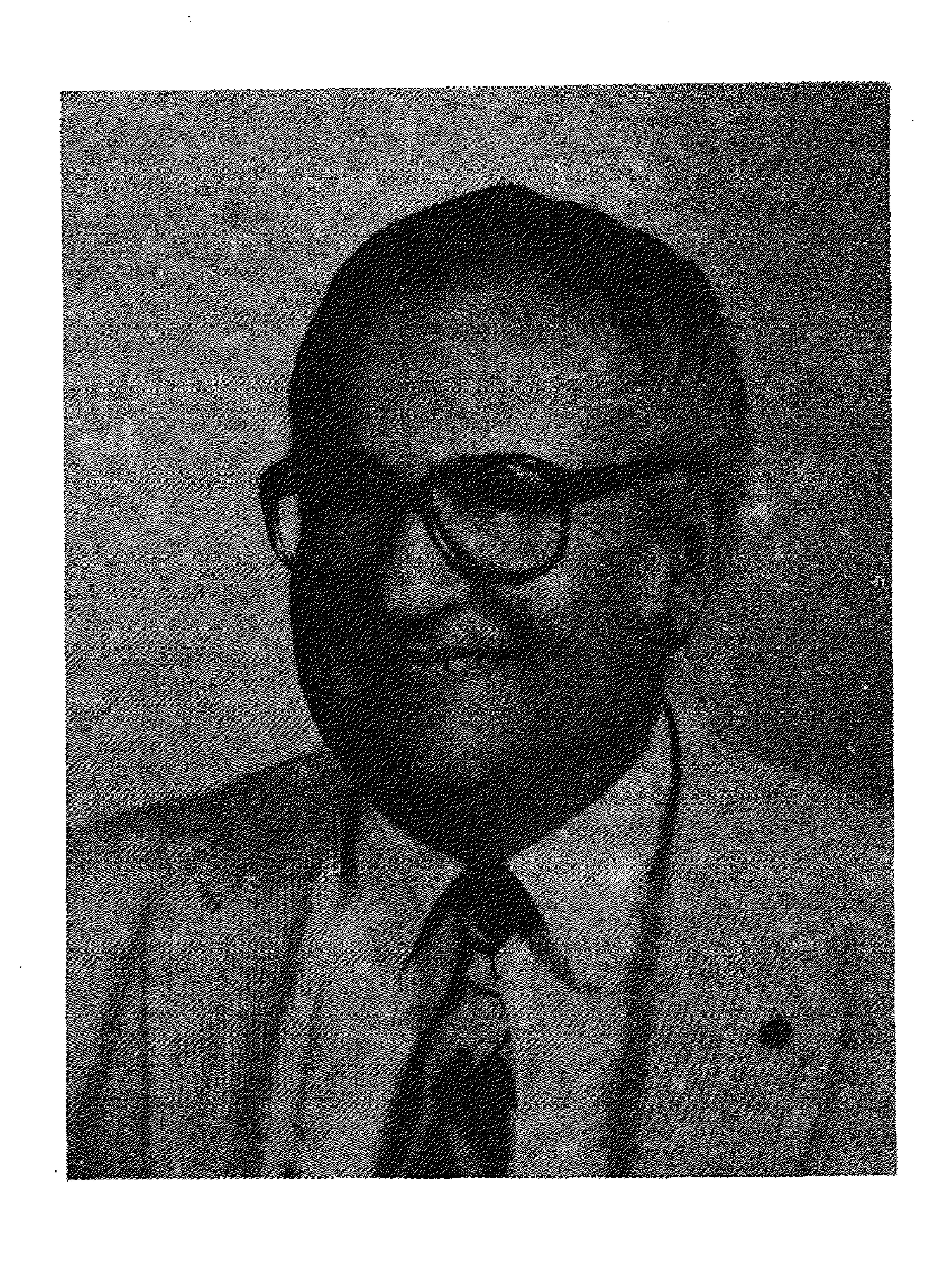
١) من الحكومة اللبنانية وسام الإستحقاق فى ١٩٣٣ ، ونيشان الأرز الوطنى من رتبة الوشاح الوطنى ١٩٩٣ .

٢) وسام الأكاديمية الفرنسية من رتبة ضابط ١٩٤٦ .

٣) وسام القديس غريغوريوس الكبير من رتبة كومندور من الحبر الأعظم ١٩٥٠ .

٤) وسام الفونس العاشر من رتبة كومندور من حكومة أسبانيا وقد منحته عدة جامعات كبرى فى العالم الدكتوراه الفخرية .

انتقل إلى الديار الباقية فى يناير ١٩٩٤ عن ٨٨ عام . وقد فقد الأدب العربى أحد كبار أعلامه وألمع نجومه .



الاستاذ / صلاح الدين البستانى

صلاح الدين البستانى
١٩٢٧ -

ولد بالقاهرة فى ٧ / ٤ / ١٩٢٧ ، امتاز منذ نعومة أظفاره بالصبر والمجازفة ، أتم دراسة الإبتدائية والثانوية بمدارس القاهرة ، وقد مال منذ صباه إلى الصحافة ، فالتحق بالجامعة الأمريكية بالقاهرة - بقسم الصحافة بها ، ونال منها شهادة البكالوريوس فى الصحافة عام ١٩٥١ وهو ابن الشيخ يوسف البستانى .

نشاطه الصحفى :

١) عمل مراسلا لجريدة الزمان (خلال معركة القنال) فى الإسماعيلية عامى ١٩٥١ ، ١٩٥٢ وكذلك مراسلا للجريدة الفرنسية (Journal d'Egypte)

وكان من أبرز أعماله الصحفية المبكرة خلال خدمته فى هاتين الصحيفتين ، اشتراكه فى حوادث معارك قناة السويس ، بين الفدائيين المصريين والقوات البريطانية المحتلة ، إذ كانت عدسة التصوير لا تفارقه فى أثناء تجوالهُ فى منطقة القنال .

وقد أعتبر الصحفى الوحيد المصرى ، الذى تمكن من إختراق الحصار الذى فرضه الچنرال أرسكين قائد القوات البريطانية على دير الراهبات بالإسماعيلية ، وتصوير جثمان الراهبة الأخت انطونى تيمبرز ، التى صرعها رصاص الإنجليز ، وعرض نفسه مراراً للموت ، بشجاعة فائقة فى سبيل السبق الصحفى ، ومن طريف ما يذكر فى هذا الصدد أن الأستاذ ادجار جلاد باشا صاحب جريدة الزمان والچورنال ديچيبت ، أبلغه هاتفيا ، أنه لا يود نشر صورته كشهيد من شهداء الصحافة ، بل يود نشرها فى فرصة غير هذه !!

٢) عمل فى القسم الخارجى بجريدة الأهرام عامى ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ .

٣) بعد وفاة والده المرحوم الشيخ يوسف البستانى تفرغ للنشر وتوزيع الكتاب المصرى فى جميع أنحاء العالم .

٤) عضو اتحاد الناشرين العرب .

٥) أستاذ زائر فى كلية الآداب - قسم المكتبات - جامعة القاهرة (١٩٧٥ - ١٩٨٦) .

إنتاجه الأدبى :

١) تاريخ الصحافة خلال الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١) بالإنجليزية

The Press during the French Expedition in Egypt .

٢) معركة القنال كما شاهدتها فى ١٩٥١ - ١٩٥٢ .

٣) ربع مليون مثل من أمثال الشرق والغرب .

٤) العروة الوثقى لجمال الدين الأفغانى والإمام محمد عبده .

٥) جدار العار فى برلين .

٦) بيتهوفن - الموسيقار العبقرى الأصم .

٧) فاجنر اللحن الثائر .

٨) The journals of Bonaparte in Egypt (1798 - 1801) in 10 volumes

٩) Bonaparte's Egypt in Picture and Word .

١٠) الصحافة السرية البريطانية خلال الاحتلال (١٩٥١ - ١٩٥٢)

١١) ألف كلمة للإمام على ابن أبى طالب - تحقيق موثق .

١٢) مايزال يترسم نهج المرحوم والده الشيخ يوسف البستانى فى نشر الكتب الأدبية الهادفة للكتاب والأدباء .

نشاطه الإجتماعى :

١) عضو بنادى روتارى القاهرة منذ عام ١٩٦٩ بتوصية من ا. د محمد فطين .

٢) سكرتير نادى روتارى القاهرة من ١٩٧٧ - ١٩٧٩ .

٣) رئيس نادى روتارى القاهرة عامى ١٩٨٠ - ١٩٨١ .

٤) الإشراف على تحرير نشره روتارى القاهرة فى فترات مختلفة .

٥) زميل (بول هاريس) منذ عام ١٩٧٥ .

٦) يقوم بإلقاء محاضرات توعية بأهداف جمعيات الروتارى فى مصر - فرنسا - انجلترا - ألمانيا - الولايات المتحدة - أسبانيا .

قدراته اللغوية :

متمكن من القراءة والكتابة باللغات العربية - الإنجليزية - الفرنسية - الألمانية - الأسبانية .

نشاطه الرياضى :

١) كشاف قديم ، متمرس بأهداف الكشافة منذ صباه علما وعملا .

٢) من هواة فن الرماية ، حاز على عدة بطولات عالمية فيها ، وآخرها فوزه ببطولة جائزة اوروبا الكبرى للرماية فى المكسيك عام ١٩٩٤ ضمن بطولة العالم فى الرماية على الحمام.

الأسرة التيمورية

مقدمة :

أمر الأسرة التيمورية عجيب فى تاريخ المجتمع المصرى الحديث . أسرة غنية ذات أصل أجنبى ، ينتمى أولوها إلى طبقة الحكام ذوى الأصول التى يتباهون بها . تلك الطبقة التى وضعت نفسها فى مرتبة فوق الشعب " الفلاح " ، لها لغتها وسلوكها وعاداتها التى أظهر ما فيها التعالى على الشعب .

ومع ذلك نرى أفراد هذه الأسرة المنحدرين من أولئك " الحكام " يشغلون بمهام مختلفة عما كانت تهتم به تلك الطبقة ، يهتمون باللغة العربية التى تنظر إليها طبقتهم شزرا ؟ .. وبآدابها وعلومها .... ويندمجون فى حياة الشعب ويعبرون عنه فى شعر ونثر تعبيرا يتميز بالروح الشعبية نفسها .

الأسرة التيمورية من الناحية التاريخية :

جاء الجد الأكبر " السيد محمد تيمور كاشف " إلى مصر مع الحملة التركية المرسلة إليها بعد خروج الفرنسيين منها ، وترقى فى الجندية حتى صار من كبار القواد ، ثم وكل إليه عدة مهام إدارية ، ثم ترقى إلى منصب الكشوفية ومنها لزمه لقب الكاشف الذى كان يلقب به حتى بعد تركه تلك الأعمال (١) .

---

(١) كتاب لعب العرب ص ٦٨ .

والكاشف من أسرة كردية كانت تسكن إحدى بلاد ولاية الموصل بكردستان ولأفراد هذه الأسرة نعرة وتفاخر بأصلهم العربي ، إعتمادا على ما أثبته مؤرخو العرب في أصل الكرد وجزم به محققوهم ، كابن الكلبي وابن خلكان وغيرهما من إتصال نسبهم بقحطان ، وأنهم من نسل (عمر مزيقاء) ابن عامرماء السماء أو أنهم عدنانيون في قول آخرين . على أن هذه الأسرة تمت إلى العروبة لسبب آخر من جهة الشرف ، على ما يتقله خلفهم عن السلف وهو علة ورود أسماء أفرادها في الأوراق والصكوك القديمة مقرونة بلفظ " السيد " حتى أن المترجم لما بنى دارة بدرب سعادة سنة ١٢٣٠ هـ نقش على رخامة بابها (السيد محمد تيمور) .

وأعقب السيد محمد تيمور الكاشف ولده الوحيد " اسماعيل " الذى مال من صغره إلى الأشتغال بالعلوم والآداب فتأدب فى العربية والعلوم الاسلامية على من اختارهم والده من المؤدبين ، وتخرج فى التركية والفارسية على يد عبد الرحمن سامى باشا (١) ولبراعته فى الانشاء التركى اتخذه محمد على كاتبا خاصا ، ثم عين وكيلا لمديرية الشرقية فمديرا لمديريات أخرى ، ثم تولى عدة مناصب كبيرة بديوان الخديوى فى عهد ابراهيم باشا وسعيد باشا واسماعيل باشا الذى منحه لقب باشا .

وكان مشغوفا بالعلم والعلماء ، لا يخلو مجلسه منهم ، مولعا بالمطالعة يرى أسعد أوقاته الساعة التى يقضيها فى المطالعة ، مع المغالاة فى اقتناء الكتب النفيسة شراءً واستنساخا ، والإقبال عليها بالمطالعة ، حتى روى عنه أنه كان يقول : " إنى أستحى أن يقع فى يدى كتاب ولا أطالعه " .

ومات اسماعيل عن ابن واحد هو العلامة " أحمد تيمور باشا " وابنتين إحداهما الشاعرة عائشة التيمورية التى مالت منذ صغرها إلى التعلم ، ثم صارت شاعرة كبيرة وصار شعرها من التراث العربى الخالد ، وكانت تنظم الشعر عندما ولد أخوها " أحمد تيمور " فأرخت لولادته

---

(١) كتاب لعب العرب .

على الطريقة القديمة ، وكان والده قد أسماه أحمد توفيق ، .... قالت :

قالت لوالده الشقيقة حينا	xxx	حيا مصابيح البنات شقيقى
فاهنأ بمولود بدا تاريخه	xxx	وجه المنى بُشراك بالتوفيق

وتاريخ ميلاده (١٢٨٨ هـ) تدل عليه حروف الشطر الثانى من البيت الثانى مات والده وهو صغير ، وتلقى تعليمه الأول فى داره وإتجه إلى تعليم اللغات العربية والفرنسية والتركية والفارسية (وسيأتى تاريخه فيما بعد) وأنجب أحمد تيمور الأديبين الكبيرين محمد تيمور ومحمود تيمور وهو ما سيأتى ذكره .

وبعد فلنرجع إلى ما بدأنا به هذه المقدمة من العجب لأمر هذه الأسرة التى مالت عن مسلك أشباهها من الأسر ذوات السراء والوشائج التى تربطها بالأسرة الحاكمة المتعالية على الشعب، والتى تعد نفسها جنسا متميزا عنه ... مالت عن ذلك كله تتلمس النسب العربى معتزة به ، وتشغل نفسها بلغة الشعب وثقافته وسوف نرى منها الأديب محمد تيمور فى قصصه ومقالاته وسائر كتاباته يشتعل حماسة من أجل المجتمع المصرى ويتخذ الأدب والفن وسيلة إلى إصلاحه وتقدمه ، بل سنراه يسخر من الحكام وطبقته ويجردهم مما يدعونه من أسباب التعالى عليه . وحب الأدب فى هذه الأسرة ، ينبع من تلك المكتبة " المكتبة التيمورية العتيدة " ، إنها عالم من الأحياء عاش فيه التيموريون وأحبوه ، وجذبهم نحو العائشين فيه ، والمشتغلين به ، من العلماء والأدباء ومعظمهم من الفقراء وكلهم من طبقة الشعب .

لم تكن مجالس " أحمد تيمور " تشتمل على أحد من أبناء الأسر المشابهه " أبناء الذوات " بل كان روادها وأصدقاء صاحبها محمد يمتون إلى أصدقائه " الكتب " بالصله الفكرية المشتركة . وسوف نرى ولده (محمد تيمور) فى تاريخ حياته وآثاره ينطلق من هذا الأصل ، فيحيا حياة فكرية وإجتماعية لا يلوى على شىء ولا على أحد من طبقته الإجتماعية ، وينزل من قصره للبحث عن الأدباء والفنانين ... البائسين فى ذلك الحين .... يبحث عنهم ويلقاهم ويعايشهم ويشاطرهم اهتماماتهم الأدبية والفنية ، بل يقودهم إلى آفاق جديدة فى الأدب والفن .

أحمد تيمور باشا
١٨٧١ - ١٩٣٠
(من أعلام النهضة العربية الحديثة)

كان أحمد تيمور كاشف ، أحد هؤلاء الذين عقدت أواصر المحبه بينهم وبين والى مصر محمد على ، فتقلب في مناصب عدة ، وأظهر من الكفاية والإخلاص ما حببه إلى النفوس . وجاء ولده إسماعيل من بعده ، فوصل إلى مالم ينله والده ، حيث كان رئيسا للديوان الخديوى العالى فناظرا لخاصة ولى العهد (محمد توفيق) .

كان إسماعيل ذا علم وفضل ، فقد حرص على تثقيف عقله ، وإنارة ذهنه ، فأكثر من المطالعة واقتنى الصحف النافعه . وكان يقول لأصدقائه : " انى لأستحى أن أرى الكتاب فلا أتصفحه " . وفى بيته العريق نشأت كريمته الشاعره الشهيره عائشه التيموريه ، فكانت الزعيمة الأولى للنهضة النسوية فى مصر ، ثم ولد له قبل وفاته بسنتين ، فى (٥ نوفمبر سنة ١٨٧١ م) ولده العلامة الثبت المغفور له الحاج أحمد تيمور باشا .

نشأ الطفل فى بيئة مثقفه ، فقد كانت أخته الشاعره تلقنه الحروف الهجائيه والأرقام الحسابيه ، وحين ناهز الثامنه أخذ يحفظ القرآن على يد مدرس خاص ، حتى أتمه فى مدة وجيزة ، ثم ألتحق بمدرسة كليبر الفرنسيه ، وهى يومئذ مدرسة الخاصه من أبناء الأعيان ، فأتقن بها اللغة الفرنسيه ، وكانت آخر عهده بالمدارس ، فخرج منها إلى بيته فى سنه الباكرة ونعيمه المديد .

لم يركن الناشىء إلى اللهو في ظلال الغنى الوارف ، والثراء الطائل ، كأبناء الأعيان فى عهده ، بل شغف بالدراسه والبحث فى صباه الزاهر فاختار لنفسه أساتذه من كبار العلماء بالأزهر ، يدرسون له ما ينفعه من العلوم التى تتصل باللغة اتصالا وثيقا ، فكان من مشايخه محمد عبده ، وحسن الطويل ، ومحمد محمود الشنقيطى ، كما أتقن الفارسيه والتركيه على يد

المرحوم حسن عبد الوهاب .

ولقد كان منزل الأستاذ الإمام محمد عبده فى عين شمس ندوة علميه زاخره ، يؤمها كبار المثقفين فى مصر ، فيطيب السمر فى مجلس وقور تتعدد فيه المشارب ، وتختلف الألوان ، فمن أدب ولغة إلى سياسه واجتماع ، إلى فقه وقانون . وكان علامتنا - رحمه الله - يحرص على مجلس أستاذه ، فتعددت معارفه وتفتحت أمامه أبواب مغلقه ، دفعته إلى البحث ، وشجعته على الإطلاع ، لذلك أنشأ فى منزله بدرب سعاده مدرسه كمدرسة أستاذه . وجعلها موردا رائقا لأعلام الفكر ، وأمراء المعرفة ، فكنت تجد فيها السياسيين والأدباء والفقهاء والقانونيين .

ولقد كانت اللجنة التى ألفها الأستاذ الإمام لإحياء اللغة العربية ، صيحة قويه فى آذان الغافلين عن التراث العلمى الضائع ، فاتجهت الأنظار إلى العناية بالمخطوطات القديمه وكان لأحمد مجهود كبير فى هذا المضمار ، فقد بذل ثروه طائله فى إنشاء مكتبته العامره ، ولا يقدر جهده غير من يعلم أن المخطوطات العربية كانت فى هذا الزمن تحفا غاليه تزدان بها حجرات الأغنياء والموسرين ، حيث يتفنن كل ثرى فى جمع الصحائف وتجليدها ورصفها لتكون أداة من أدوات الزينه مهما كلفته من المال ، وإن كانت لا تفيده أقل فائدة لإنقطاع صلته بالبحث ، وعزوفه عن القراءة ، فهو - إذ يجمعها فى بيته - يهتم بالحلية والزينه ، لا بالقراءة والاستفادة ، فإذا طلبها باحث من أهل العلم تعذرت عليه . فبذل تيمور لهؤلاء ثمنا غاليا حتى أغراهم بالتنازل عن مجلداتهم إليه ، أضف إلى ذلك جهده الدائب فى جمع ما تبعثر فى المتاحف الأوروبية من مخطوطات ، فقد كان يستنسخ (بالصور الفوتوغرافية) من مكتبات أثينا وروما والآستانه وباريس والفاتيكان ما يعلمه من ذخائرها العربية . وصادف أن - ذهب إلى أداء فريضه الحج سنة ١٣١٢ هـ فشاهد بالمدينه المنورة مكتبة شيخ الاسلام إذ ذاك (عارف حكمت) فهام بما تحتويه من نوادر المؤلفات ، وغرائب المخطوطات ، فنسخ صورة من فهرسها الجامع ، وأخذ يبحث عما تضمنه من مجلدات . وكثيرا ما كان يكلف دور الكتب فى القاهرة ودمشق والقدس بإرسال صور فوتوغرافيه لما ليس لديه من مخطوطاتها الثمينة ، حتى تكونت له خزانته

العامرة ، فكانت تضم أكثر من عشرين ألف مجلد ما بين مطبوع ومخطوط ، وذلك فوق ما لديه من المصادر الإنجليزيه والفرنسيه ، وخاصة ما يتصل منها بالآداب العربيه ، والمعارف الشرقيه ولقد بنى لمكتبته دارا خاصه بالزمالك ، وأعد بها حجرة لنومه ، وأخرى لغذائه ليتسنى له أن يقضى بها أكثر أوقاته ، كما وضع لها فهرسا عاما وقع فى عدة مجلدات ، والغريب أنه بعد أن أقر عينه بهذه الذخيره الغاليه ، وقفها على طلاب المعرفه فى الشرق ، اذ أهداها إلى دار الكتب المصريه بالقاهره .

ولقد قرأ ما عثر عليه من مخطوطات . وكثيرا ما علق على هوامش الصحائف بما يعن له من تصحيح وتوضيح ، وإنك لتقرأ كثيرا من المطبوعات الاخيره فتجدها تنص على ما رآه تيمور من توضيح وتصحيح ، وقد يكون له رأى يناقض ما فى الكتاب ، فيفرد الصحائف المتعدده لإيضاح بحثه ، ولسنا نجد له شبيها فى هذه الناحيه سوى أستاذه الشنقيطى ، فقد تركا من التعليقات الهامه ما يذكر لهما بالحمد والثناء .

ولقد كان أحمد تيمور يجود بمخطوطاته على كل سائل من باحث أو ناشر ، وأحياناً يتكلف إرسالها لمن يطلبه فى شتى البقاع العربيه ، متحملا نفقات البريد المسجل ، على رغم ما كان يسيئه كثيرا من أخلاق المستعيرين ، فقد كان منهم من يهمل فى واجب المحافظة على الصحائف فيردها ممزقه مشوهه ، بل لقد بلغ من أحدهم أن أخذ منه النسخه الخطيه لكتاب " الضوء اللامع " (قبل طبعه) ثم أبى أن يردها إليه إباء تاما ، فإذا ما احتاج اليها صاحبها ذهب إلى المستعير فراجعها عنده ، كأن لم يكن ربها الأحق بها . ولم يسمح له نبله أن يقف مع هؤلاء موقفا يصيبهم منه ملامة فيالدماثة الأخلاق !!

ولقد كانت وفاة الأستاذ الإمام كارثة كبرى على الشرق والإسلام ، جزع لها تيمور أشد الجزع ، فأوصد ندوته ، وحمل مكتبته إلى ضيعته فى (قويسنا) وظل معتكفا بها وقتا مديدا حتى زاره العلامه الأستاذ محمد كرد على فعرض عليه أن ينتقل ثانيه إلى القاهرة ، لأن مكتبته الثمينة معرضة للضياع فى هذه الناحية المهملة ، وقد يشتعل الحريق فى ضيعته كما يحدث

كثيرا فى قرى الريف فتذهب مكتبته سدى بعد أن تجشم فى جمعها ما تجشم ، فراقه هذ الرأى ، وقدم إلى القاهرة ، لا ليفتح ندوته ، بل ليعكف على أبحاثه فى جو هادىء ، وكانت أعوام خصبه ، كتب فيها تيمور مؤلفاته العلميه فرفع الراية الأدبيه ونزل إلى الميدان .

ولقد كان الرجل متيقظا إلي ما تخرجه المطبعه من كتب وأبحاث ، فهو يقرأ مايرى فيه النفع و الإفادة فإذا شاهد خطأ بادر إلى تصحيحه فى أمهات الصحف السياره كالمؤيد والهلال والفتح والهدايه والزهراء والمقتبس والمقتطف . وحسبك أن تعلم أن بين آثاره : (١) تصحيح القاموس (٢) تصحيح لسان العرب (٣) نقد القسم التاريخى من دائرة المعارف الوجديه ، وكلها ناطقه بعمقه فى النقد ، وأدبه فى الرد .

على أن مجرى الحوادث فى زمنه قد كان يفتح أمامه أبواب التأليف خدمة للحقيقه ، ودحضا للباطل . فقد ألف كتاب (معجم اللغة العاميه) ليرد به على الدعوة التى قام بها المغرضون لنصرة العاميه على العربيه ، كما سطر كتاب (البرقيات) ليشهد بفضل اللغه واتساع صدرها، ومن آثاره القيمه غير ما قدمناه (١) ضبط الاعلام (٢) لعب العرب (٣) الآثار النبويه (٤) التصوير عند العرب (٥) تراجم الأعيان (٦) موضع قبر الإمام السيوطى (٧) المذاهب الاربعه (٨) نوادر المسائل (٩) مذهب الزيديده ونحلهم (١٠) أبو العلاء المعرى ، وغير ذلك ، حيث لم تطبع أكثر مؤلفاته فى حياته مع ما توفر لديه من وسائل النشر ، عزوفا عن الشهرة وتجنبا للغرور .

أما كتابه عن (أعيان القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر) فقد تعمد أن يقطعه قطعا بعد أن أنجز منه صحائف عده (جمعت فى كتاب مطبوع) لأنه وجد الكثيرين من معارفه يرغبون أن يكتب عن فلان بما لا يتفق مع الحقائق التاريخية .

ولقد كان يتعصب للعرب تعصبا زائدا ، فكتب البحوث الضافيه عن حضارتهم الراقيه وأفرد مؤلفات خاصه تنطق بتقدمهم فى شتى الفنون الحية . منها كتاب (لعب العرب) و (التصوير عند العرب) ففيهما ما يبهج الناظر ويسر الباحث .

ومما يعلمه الجميع أنه كان يؤرخ رسائله وعقوده بالتاريخ الهجرى ، وفيها ما يصل إلى الشركات الأجنبية ، ومن لا يتصلون إلى العربيه بسبب ، كما كان يحرص على استعمال الألفاظ العربيه فى كتابته ومحادثته ، فيسمى (التليفون) هاتفا ، و (الجنيه) دينارا و (السكرتير) كاتم السر ، ولما ضاق صدره بالكلمات الأوروبيه التى تستخدمها الصحافه فى المخترعات الحديثه وضع لها ألفاظا عربيه من عنده ، ثم نشرها على الناس وقد بلغ من تعصبه للعربيه أن كتب اليه الأستاذ كاظم الدجيلى يسأله عن مخطوط للكلبى فى (مثالب العرب) يريد أن ينشره على الناس ، فكتب اليه تيمور يقول : (انه مفقود ، وليت كل كتاب مثله قد فقد حتى يستريح الناس منه) .

أما مناصبه الرسميه فى الدولة فلم تتعد العضويه فى مجلس الشيوخ ، وقد قبلها مرغما ، وكان بوده أن يتفرغ فى عزلته للبحث والانتفاع ، ولكن لم يسعه غير الخضوع لارادة الملك فؤاد ، فقد اختاره بنفسه ، كما أنعم عليه بالباشويه تقديرا لجهوده العلميه .

ولئن ضاق علامتنا بمجلس الشيوخ ، فقد رحب أكمل ترحيب بما أسند اليه من المهام العلميه ، فقد عين عضوا فى لجنة إصلاح الأزهر سنة ١٩٢٤ فقام بواجبه مهتديا بأفكار أستاذه الإمام ، كما اختير عضوا فى مجلس إدارة دار الكتب فكان صاحب الرأى الأول فيما يعرض من شؤون ، ولا نبالغ إذا قلنا أن الترتيب الذى تقوم عليه الدار الآن قد كان ثمرة آرائه ، ونتيجة تدبيره . ومن أحق منه فى هذا الباب ؟ وقد كانت حياته دعامة قوية فى بناء المكتبه العربيه ، ولولا جهوده المشكوره ما ارتقت إلى ما هى عليه من رفعة وسمو .

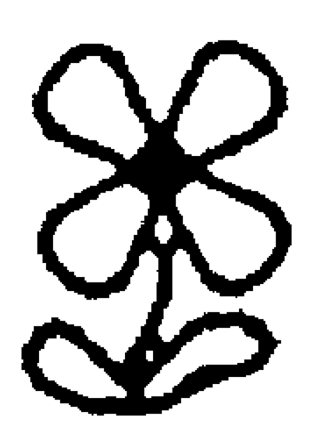
بقى أن نتحدث عن آثاره والمجامع الطيبة العلمية التى أنشئت فى حياته ، فقد تكون بمصر مجمعان متواليان كان أحمد من رجالهما العاملين ، فقد دعا بملء فيه إلى تجنب الدخيل ، ونادى بالرجوع إلى المجامع العربيه واستفتائها فيما يجد من أسماء ، وإذا كنا نشاهد كثيرا من المتحمسين لهذا الرأى ، فان تيمور صاحبه الأول ، وإن كنا نخالفه فى مذهبه حيث لا نرى مانعا من تعريب بعض الأسماء الاجنبيه اذا كانت مستساغه لدى الذوق العربى .

أما أخلاقه الكريمه فكانت مضرب المثل فى السمو والرقه . وماذا تقول فى كريم متواضع يبعث بالرواتب الشهريه سرا إلى من أخنى عليهم الدهر ؟ وحين أشتهر أمره فى ذلك تألم غايه الألم ، ثم هداه تفكيره الطيب إلى المصارف الماليه ، فكان يكتب لها عناوين الموزعين لتتولى إيصال الحوالات إليهم دون إشاره إلى اسمه . ولقد حتم عليه خلقه الرفيع أن يبتعد عن دوافع الشهره الأدبية ، فظلت مؤلفاته منسوخه فى بيته ، ولم يدفع إلى المطابع غير القليل من إنتاجه مع تهافت الناشرين ، وبعد الصيت . ولقد عمل عشاق أدبه على إخراج آثاره فظهر كتاب (ابو العلاء) و (ضبط الأعلام) و (تراجم الأعيان) و (التصوير عند العرب) فى أوضاع مقبوله .

كما أنه كان يساعد المؤلفين بإرشاداته ، ثم يأبى عليهم أن يشيروا إليه من قريب أو بعيد فاذا وقع أحدهم فى ذلك صادف منه أعنف لوم وأقساه ، مما تداول خبره لدى الجميع .

ولقد كان أسلوبه علميا دقيقا يهدف إلى المعنى المراد من أقرب طريق ، فلا نشاهد فى تركيبه عبارة قلقة أو كلمة غريبة مع اتساع أفقه فى اللغة أو حيلة بديعية مما شاع فى آثاره غيره ، بل تجد نمطا بديعيا من القول تسرى فيه جداول الرقة والانسجام .

وبعد ، فلقد كان تيمور نادرة فى كل شىء ، نادرة فى طبقته لأنه الوحيد المتفرغ إلى البحث من أرباب الثروة والجاه ، ونادرة فى إتجاهه لأنه الباحث الذى طرق أبوابا مغلقة ، فأكمل الناقص وفتح الطريق ، ونادرة فى تواضعه لأنه العالم الذى ظلت كتبه فوق مكتبته فنشر أكثرها بعد وفاته .



عائشة التيمورية
١٨٤٠ - ١٩٠٣
شاعرة الحب والألم

نشأت الشاعرة المجيدة عائشة التيمورية فى بيت كل من فيه يعتز بالعلم ويرعى الأدب ، وشهدت فى طفولتها كبار الكتاب وأعلام الشعر يجتمعون فى صالون والدها اسماعيل تيمور باشا فأتجهت إلي الميدان الأدبى متأثرة بذلك الجو الذى كانت تعيش فيه وكانت تعيش فى عز ونعمة ، ولكنها تنصلت من عبء المفاخرة بذويها وأهلها ولم تفخر إلاّ بعصمتها وعفافها فقالت :

بيد العفاف أصون عز حجابى ××× وبعصمتى أسمو على أترابى

وقد ولدت شاعرتنا فى مدينة القاهرة فى قصر والدها فى (درب السعادة القائم خلف المحافظة القديمة) وكانت ولادتها فى عام ١٨٤٠ ميلادية - فى العهد الأخير من حكم محمد علي . وكانت وفاتها فى عام ١٩٠٣ م - فى حكم الخديوى عباس حلمى الثانى فقضت فى هذه الحياة نحو أربعة وستين عاما شهدت فيها تطور مصر فى عهد سبعة من حكامها وفى عصر يسوده التزمت والاحتشام ، ولكنها حياة تغلي ، تريد أن تحطم القيود لتنطلق وكان والدها " اسماعيل تيمور " وهو كردى قد تقلب فى المناصب الرفيعة حتى رقى إلى الرئيس العام فى الديوان الخديوى أما والدتها فجركسية الأصل وأما الشاعرة فمصرية المولد والنشأة والتربية والمقام فتقاسم أصلها عناصر ثلاثة كردى وتركى وجركسى .

ولقد درجت فى مهاد العز تكتنفها فخامة القصور ، ولكنها أبت أن تحيا حياة فتيات الطبقة الراقية وقد استطاعت أن تفرض نفسها على عصرها المتكتم المتحشم ، متخطية العوائق والعراقيل ، نافذا بصرها بين أطباق الظلام ، وحين كانت المرأة فى ليل دامس الجهل جاءت شاعرتنا برقا يبشر بحاضر المرأة العربية ومستقبلها وكان لها شرف السبق إلى نور المعرفة واختطاف أزاهير الأدب فى عصر تعذرت فيه الوسائل وضاقت المجالات . ورغم أن عصرها

بمنأى عن تعليم الفتاة وتثقيف عقلها وتربية روحها إلاّ أنها شبت نزاعة إلى العلم ، طلاعة إلى الأدب ، تهوى البحث ، مدمنة على القراءة فأثارت النزاع بين أبويها ، فأمها تريد أن تكون كسائر بنات جنسها ، تقبل على حرف النساء كالنسيج والتطريز ، ولكن والدها يرى فيها ومضه من العبقرية فيشجعها على ما تصبو إليه من صناعة الأدب ، يأمر الأم ألا تقف فى سبيل ميلها ورغبتها والأم تطيع وذلك بأن يترك أمر " عائشة " كله لأبيها الذى جمع بين الإدراك والمقدرة ، فسيرها فى الاتجاه الذى تطلب نازعة عن الابرة التى تكره ، والمنسج الذى تقلى ، وعاد بها إلى مجالس الأدب وأحضر لها اثنين من الأساتذه المعلمين (ابراهيم مؤنس) ليدرس لها القرآن الكريم والفقة والخط . و " خليل رجائى " ليدرس لها علوم النحو والصرف واللغة الفارسيه ، ثم اختار لها بعض الأديبات من النساء ، عندما ظهر له بوادر نبوغها فى الأدب ، ولاحت مخايل براعتها فى نظم الشعر هما السيدة فاطمة الأزهرية والسيدة ستيتة الطبلاوية لتتلقى عليهما النحو والعروض حتى أتقنت بحوره ، وأحسنت الشعر ، وصارت تنشد القصائد المطولة والأزجال المنوعه ، وكانت قد تزوجت قبل أن تتم دروسها فى العروض وتمرن على نظم الشعر ، وطوتها الحياة الزوجية فى غمارها وشغلتها عن الشعر والانشاد ، ومازالت كذلك حتى شبت كريمتها الكبرى " توحيدة " فألقت اليها زمام البيت تدبره .

ومرت على الشاعرة فترة فقدت خلالها والدها ثم زوجها بعد ثلاثة أعوام ، فأقبلت على الدرس والمطالعة مستعينة باستاذيتها " الأزهرية والطبلاوية " ، وظلت تنظم القصائد والموشحات والأزجال باللغات الثلاث : العربية وهى لغة وطنها الجديد وبالتركية لغة وطنها الأصلى ، وقالته بالفارسيه وهى لغته من أدباء العرب والترك لغة " مدرسيه " ومد الموت يده إلى زينة دنياها فطوى ابنتها توحيده فذاقت شاعرتنا الحزن الأكبر وكانت محنة قاسية خلقت منها الشاعرة الثكلى ، وكانت أيتها الكبرى تتجلى فى مرثيتها الرائعة التى تقول فيها :

إن سال من غريب العيون بحور	xxx	فالدهر باغ والزمان غدور
ولَهى على " توحيدة " الحسن التى	xxx	قد غاب بدر جمالها المستور

بنتاه ... يا كبدى – ولوعة مهجتى xxx قـد زال صفـو شأنه التكـدير

وهكذا شاخت حياتها قبل أن تبلغ الأربعين ، ولبثت تبكى كريمتـها سبع سنين حتى ضعف بصرها ، ورمدت عيناها ، وعاشت فى وحدة ووحشة ، وظلت تسمع الدنيا أنات قلبها الثاكل وما تعانيه من تاريخ الأسى والمرض فقالت حين أصابها الرمد وسرى ألمه فى الجفون :

اذا شكت الورى سقم العيون xxx فإنى اشتكى ألم الجـفون

فـلا جفـن يطـاوعـنى فـأبـكى xxx ولا صبر أزيل به شجـونى

وظل أبناؤها يعزونها لطول حزنها ، وينصحون لها بالإشفاق على نفسها فاستمعت لنصحهم وشفيت عينها من الرمد الذى أضربها فقالت :

لما استـغـثـت بـفـضل الله يسر لى xxx أكحـال صـبـر أفـالـتنى مـن القلق

كم قلت فى محنتى يا رب خذ بيدى xxx واكشف سقامى وجد بالنـوم للأرق

فـبـالـصـغيرين أهدى الشكر معترفا xxx لخالقى مـا صـفـا الـبـدران بـالأفـق

وهنا أقبلت على آثارهـا الشعرية تنشـرها ، وكانت قد أحرقت أشـعارها الماضيـة ، ولم يبق منها إلاّ الشىء القليل بالعربية والتركية ، أما شـعرها بالفارسية فاحرقته مع محفظة فقيدتها التى حرقت قلبها بموتها وقد بقى من آثارها :

١ – ديوانها العربى المسمى " حلية الطراز " وقد طبع غير مرة .

٢ – ديوانها التركى الفارسى " شكوفة " وقد طبع بمصر والآستانة وايران .

٣ – " نتائج الأحوال فى الأقوال والأفعال " وفيه استقصاء لأحاديث السلف وهى رواسب القصص التى سمعتها وكانت بارقة أمل للفن القصصى الحديث عندنا كما أنها ذات مغزى أخلاقى .

٤ – " مرآة التأمل فى الأمور " وهى رسالة عالجت فيها الموضوعات الإجتماعية ، وتسرب الفساد فى المجتمع وأكملتها . بمقالتها فى جريدة " الآداب " وعنوانها " لا تصلح العائلات إلا بتربية البنات " ولغة هذة الرسالة وسابقتها هى لغة المقامات والسجع .

وبهذه الرسالة تعد عائشة التيمورية الرائدة الأولى فى عصر التنوير للمرأة المصرية بلا منازع وهى محطمة قيود الجهل والتقاليد الموروثة ، بإثبات وجود وكيان وعظمة فكر المرأة المصرية .

وهكذا ترى تاريخ حياتها يفيض بالنور على الحركة الأدبية والفكرية وأنها كانت نجما ساطعا فى ظلام الحياة النسائية لذلك العهد البعيد . كما يكشف عن نفس زكية تتراءى فيها المشاعر الدقيقة والنزعات النبيلة ، كما يتجلى فيها العنصر الكريم الذى أنبتها نباتاً حسنا ، وتعهدها تعهدا صالحا . ويبدو هذا جليا حين تقول عن نفسها :

بيد العفاف أصون عز حجابى ××× وبعصمتى .. أسمو على أترابى

ولفكرة وقادة ... وقريحة ××× نفاذة ... قد أكملت آدابى

ولننتقل فى هذا الضوء الكاشف إلى الحديث عن شعر التيمورية ، وقد كان خمسة أقسام : الثلاثة الأولى " شعر المجاملة والشعر العائلى والشعر الغزلى " وقد تلقت فيه التأثر من الناس وأعادته اليهم نشيدا ، أما القسمان الآخريان " الشعر الأخلاقى والشعر الدينى أو الإبتهالى " فقد تلقت التأثر فيه من مختلف الجهات فخاطبت نفسها وناجت فيها النبى الكريم عليه السلام مبتهلة إلى العزة الآلهية .

وإنها لتصور لنا كيف بدأت تنظم الشعر فتروى فيما كتبته عن نفسها حادثة تركها الزهور فى رعاية البدر لتلبى نداء أمها ولما عادت وجدت البدر لم يرع وديعتها فعاقبته وبكت على ما أصاب زهورها ، وعرضت الأبيات على والدها فشجعها لأنه فهمها فكان المعين لها . ثم تذكر لنا الدافع لنظمها الشعر ، وأنها تحاكى به من نبغن فى الشعر والأدب فى عصر الجاهلية والإسلام : (عليه بنت المهدى وليلى الأخيلية والخنساء وغيرهن من الشاعرات) :

لقد نظمت الشعر شيمة معشر ××× قبلى ذوات الخدر والأحساب

كبنية (المهدى) و (ليلى) قدوتى ××× وبفطنتى أعطيت فصل خطابى

وخصصت بالدر الثمين وحامت ××× (الخنساء) فى (صخر) وجوب صعاب

وهنا نقف عند شعرها " الأخلاقى والدينى " فهو الذى نريده معالم الطريق للمرأة المثالية التى يتطلبها المجتمع الجديد الذى فك أغلالها وأرادها بناءة تصنع الأجيال الصاعدة .

أما شعرها الأخلاقى فهو يطوف فى دائرة صغيرة تفيض فيها الكلمات المسكنه من الصبر والتجلد والإنذار بأن الأيام متقلبة فهى اذ تحذرنا لأن الأيام لا تدوم تقول :

لا تقر بدنيا أقبلت وصفت xxx بكل ما ترتضى واحذر عواقبها

وترى أن خير شىء وسط التحول فى العسر واليسر ، هو انتهاج طريق العفه والصلاح فتقول :

رب الدراهم أحصاها وعددها xxx فى حصن أكياسه ألفا على ألف

والحمد لله إذ عدى لمسبحتى xxx وعن سواها ترانى قاصر الطرف

ومنها حفظ اللسان لأننا جميعا بشر تشوهنا العورات الأخلاقية فتقول :

إحفظ لسانك من ذم الأنام ودع أمر xxx الجميع لمن أمضاه فى القدم

معايب الناس لا يكبرن عن غلطى xxx إذ نعمت بها فى محفل الهمم

بل هى تتمنى أن تتجرد من كل شعور فلا تنتظر السعادة كى لا تفاجأ بالفشل كقولها :

فلا تقل لى متاع وهى عارية xxx واليأس عندى راحات اعترافاتى

على أن الراحة الكبرى عندها فى الصلاة والإلتجاء الى الله الذى هو وحده يسعد ويشفى وهذه العاطفة تصل بين شعرها الأخلاقى وشعرها الدينى فتجعل منهما مزيجا واحدا .

وها هى ذى تستغيث بخالق الخلق وكاشف الضر فتعدد نعم الله على من أغاثهم من أنبيائه مبتهلة إليه – سبحانه – أن يغفر ذنبها ويلطف بها فتقول :

وبت أدعو عليم السر قائلة xxx يا غافر الذنب جد لى باستجابات

يا كاشف الضر عن (أيوب) مرحمة xxx حين استغاثك من مس المضرات

وصاحب الحوت قد نجيته كرما xxx لما دعا بابتهال فى الضراعات

وابيت العين من (يعقوب) وانسكبت xxx حزنا على(يوسف) من فيض عبرات

ومنذ شكا البث [1] للرحمن عاد له xxx نور العيون قرينا بالمسرات

و(يوسف) الصديق حين دعا xxx في ظلمة السجن من بعد الغيابات

أوليته الحكم والملك العظيم كما xxx آتيته العلم من أسنى العنايات

وقد علمت باخلاص (الخليل) غدا xxx والنار من حوله في روض جنات

وقد رفعت يمين الذل داعية xxx إليك يا رب أرجو غفر زلاتي

فأمنن على بألطاف لتخرجني xxx من الضلال إلى سبل الهدايات

ولقد كانت العاطفة الدينية حية كل الحياة عند شاعرتنا المؤمنة ، فإنها كانت تقية تصلى وتصوم وتقوم بكل الفرائض الدينية ، وما أحزنها إبان مرضها بالرمد إلاّ حرمانها من تلاوة ما تحفظ من القرآن ، والأحاديث ، وشغفها بقراءة الفقه فلقد كان كل ذلك غذاءها وراحتها وأنسها وكمالها فتقول :

غدوت برفقة الفرقان صبا xxx أسائل في التلاوة كل تال

ولولا أن حفظ النصف منه xxx شفى قلبي لذبت من اشتغالي

ولعمري (للحديث) حياة روحي xxx وراحة مهجتي ونفيس مالي

وكم في الفقه من درر تحلت xxx بها فكري ومن درر غوالي

أمس الكتب من شغفي عليها xxx وأبلى حرة من سوء حالي

تمس الصحف الأسمى يميني xxx وقد وضعت على قلبي شمالي

وشعرها الديني كسائر شعرها ، يتناول الناحية المألوفة للجميع في غير عمق ، وهو كما قلنا يمتزج بالعاطفة الأخلاقية من حيث الإعتراف بالذنوب ، والرغبة في التوبة ، ومن ثم يبدو وفيه الاستعداد لساعة الرحيل كقولها :

---

(١) البث بالثاء : الحزن .

أتـيـت لبـابـك الـعـالـي بـذلـي xxx فإن لم تعف عن زلـلـي فـمـن لي

مـقـرا بـالـجـنـايـة وإمـتـثـالـي xxx لأسـر النفـس فـي عقدى وحـلـي

ومـعـتـرفـا بـأوزار ثـقـال xxx أقـاد لـحـمـلـهـا طـوعـا لجهلي

أقـر بزلـتـي مـن قـبـل كـي لا xxx تـقـر جـوارحـي بـالذنب قبلي

أتيت ولي ذنوب ليس تحـصـي xxx أقـول لـراحـمـي بـالـعـفو كن لي

ولـم أعـدد لذاك الـحـي زادا xxx اذا الأظعـان (١) قد قامت بحملي

وذكر ساعة الرحيل يحملها على وصف بعض ما يجول فى القلب من الأطماع ، حتى عند سرير المحتضر أمام حشرجة النزع ، وعند هيل الثرى على نعوش الأقربين :

أراك بلمتي يا شـيـب غـطـنـي xxx وقـل حـان الـرحيل غدا . لعلي

فـأول مـا تـرى جـدثـا مـهـولا xxx تـهـيـل ثـراه كـف أخ وخـل

وقد رجعوا كأن لم يعـرفـونـي xxx وهـم نـسـبـي وأبـنـائـي وأهلي

وتـشـتـغـل البـنـون بقسم مال xxx وأنـا بـسـؤالـه في عظم شـغـل

فـلـنـت لـوحـدتـي ولـكـل عاص xxx لـه رحـمـاك مـن بـعـدى وقـلـبـي

وها هى ذى شـاعـرتـنـا التـقـيـة الورعة تلوذ بـحـمـى - النبى عليه السـلام - وتترنم بمدحه وبتمجيد أمته فى قصيدة عدتها أربعون بيتا تعارض فيها (نهج البردة) مستهلها :

أعن وميض سرى فى حندس الظـلـم xxx أم نسـمـة هـاجت الأشواق من (إضـم)

فـجـدد الـيّ عـهـدا بـالـغـرام مـضـى xxx وشـاقـنـي نـحـو أحـبـابـي بـذى سـلم

إنـي رددت عـنـانـي عـن غـوايـتـه xxx وقـلـت يـا نـفـسـي خلي باعث الندم

ولـذت بـالـمـصـطـفـى رب الشفاعة إذ xxx يـدعـو المنادى فتحيا الناس من رمـم

---

(١) الأظعان : الجمال .

وفيها تقول :

ولذت بالمصطفى رب الشفاعة إذ xxx يدعو المنادى فتحيا الناس من رجم

(طه) الذى قد كسى إشراق بعثته xxx وجه الوجود سناء الرشد والكرم

(طه) الذى كللت أنوار سنته xxx تيجان أمته فضلا على الأمم

روحى الفداء ومن لى ان أكون له xxx هذا الفداء وموجودى كمنعدم

وهكذا نرى فى شعر " التيمورية " شعاع من نور الفضيلة ونغمة من مكارم الأخلاق ، وهى حين تقع فى حيرة وتتردد بين ما يخالجها من عوامل الإغراء بملذات الحياة . وبين نزعتها إلى البر والتقوى تقول :

كيف السير إلى أرض المنى وأنا xxxx بطاعة النفس فى قيد الضلالات ؟

لا تجد الجواب إلاّ فى الإبتهال الذى الفناه فى شعرها الدينى مما جعلنا ننعته بالشعر الابتهالى الذى يشغل جزءا ضخما من ديوانها (حلية الطراز) ويتناثر بين أبواب الشعر الخمسة التى ذكرناها حتى فى شعرها الغزلى كقولها :

حى الرفاق .. وصف للحى اشواقى xxx وحدث الركب .. عن تسكاب آماقى

وبلغى .. يا صبا .. إن جزت نحوهم xxx أفى حصيم على عهد الهوى باق

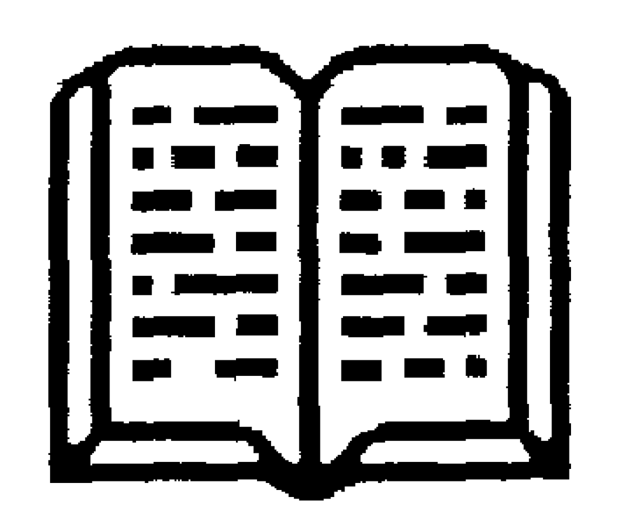
كيف اصطبارى .. وأحشائى بها حرق xxx من جذوة مالها .. من جرها .. واق

لقد جزعتنى صروف الدهر مزلقا xxx لواعجها .. كحميم او كغساق

أسال حر الهوى قلبى وأبرره xxx جفنى .. على يد آفاقى .. واحداقى

هذا شواظ الهوى ملتهباً xxx وفى النفس من آثار إحراقى

وبعد فهذا شعر أوحى به فرط تقوى شاعرتنا ونقاء نفسها وروحانيتها الحارة وهو يبث في النفوس النشوة الغنية من طيب المعنى وحلاوة السبك وجمال النظم ينساب فى الوجدان فيبلغ مكامن الشعور والتأثر بلا تكلف للفظ ولاتصنع للعبارة وان من يوازن بين شعر هذا الديوان وما كان يجرى عليه الشعر العربى فى ذلك الحين الذى عاشت فيه الشاعرة فانه سيجد فى شعر (التيمورية) مثلا قويا رائعا من بلاغة الشعراء فى ذلك العصر الذي يعد فجرا للنهضة الأدبية بعد ركود طال أمده .



محمد تيمور بك
١٨٩٢ - ١٩٢١

ولد عام ١٨٩٢ فى مهد المجد واليسار ، قضى الفترة الأولى من طفولته فى (درب سعادة) حيث يقوم قصر الأسرة التيمورية الذى بناه جده الأكبر سنة ١٢٣٠ هـ ثم انتقلت الأسرة إلى عين شمس طلبا للجو الجاف الملائم لصحة عميدها (أحمد تيمور باشا) التى ابتدأ يغزوها " الروماتيزم " ، وهناك يبنى الباشا الطيب مساكن لخدمه بجانب قصره ، وهناك يستأنف الأولاد حياتهم وفرحهم المعتاد (اسماعيل ، محمد ، محمود) وألعابهم مع أولاد الخدم والجيران والفلاحين .

توفت والدة محمد تيمور وهو صغير ، فتولت تربيته - تحت رعاية جدته - مربية مصرية كانت له بمثابة الأم ، ولم تكن الأسرة كغيرها من الأسر التى تتخذ المربيات الأجنبيات وكان الوالد قد أحجم عن الزواج بعد وفاة زوجته ، فقصر همه على القراءة ومجالسة العلماء ورعاية أولاده

كان أول ما فعله الوالد فى تعليم ولده " محمد " أن أحضر له فى الدار معلما اسمه " الشيخ ابراهيم رضوان " ثم ألحقه بالمدرسة الإبتدائية وفى خلال ذلك كان يوجهه إلى قراءة الشعر العربى . يتحدث الأستاذ محمود تيمور فى كتاب " شفاء الروح " عن نشأته فيقول : وخطر لوالدى أن يحفظنى أنا وأخواى معلقة امرىء القيس ، وكانت مهمة شاقه علينا فقد كنا فى سن لا نستطيع معها فهم بيت واحد منها ، واستطعنا بعد شهر أستظهارها جيدا . وحفظ محمد تيمور غير (معلقة امرىء القيس) قصائد أخرى من أشعار العرب وعندما انتقل إلى المدرسة الثانوية ودرس فيها العلوم العربية كالنحو والبلاغة كان يطالع إلى جانبها دواوين الأقدمين وخاصة ديوان المتنبى ، والمعرى وأبى نواس ، وكان لذلك تأثيره فى ميله إلى الشعر ، فجعل ينظم مقلدا لما يقرأ ويحدثنا شقيقه الأستاذ / محمود تيمور فى تلك الفترة من حيث تأثير

هذه القراءة فى تكوينه الأدبى فيقول :

فتحسن أسلوبه فى النظم وارتقى ، فجعل ينظم غير قصائده الخاصة ، قصائد الترحيب والتكريم لفرق لاعبى الكرة من المدارس المختلفة ، وكان يلقيها بنفسه فى المقاصف التى كانت تعدها المدرسة ، بأعتباره من أعضاء فريق لاعبى الكرة بمدرسته ، كذلك نظم قصائد المدح والثناء والوداع لأساتذته فى خاتمة الأعوام الدراسية ، حتى لقبه الجميع بشاعر المدرسة الخديوية .

والواقع أن أهتماماته الأدبية كانت موزعة بين الشعر والمقال والصحافة والمسرح فى كل أطوار حياته ، وقد عرف أثناء مرحلة تعليمه الثانوى - عدا مواهبه فى الشعر - بالبراعة فى كتابة موضوعات الإنشاء واحتدم منها تطلعه إلى الكتابة والنشر فى الصحف ونستطيع أن نستشف من رواية " الشباب الضائع " شدة ولعه بالنشر فى الصحف وهو طالب .

فكان يبعث بمقالاته الحسنة الأسلوب ، ذات المواضيع الإجتماعية والأخلاقية إلى جريدة المؤيد كما نشر سلسلة مقالات وطنية أخرى يشرح فيها معنى الوطنية الحقة وكيف يكون المصرى وطنيا بعمله لا بقوله ، وسلسلة أخرى تنتقد كثيرا من عاداتنا الخبيثه .

أما قصائده فكان ينسج فيها على منوال الأقدمين ولم تكن له شخصية ظاهرة فيها .

ويجمل لنا الأستاذ يحي حقى بوادر اهتمامه فى الصحافة والمسرح بهذه العبارات الوجيزة :

ونراه وهو صبى يصدر مع أخيه محمود - لمن ؟ مجلة يطبعها على البالوظة يستنفذ فيها اهتزازات قلبه وسط أخبار المنزل والأهل والأصدقاء ، ثم إذا شب قليلا ، جرت رجله إلى المسرح وتعلق به فؤاده ، وأصبحت أسماء مؤلفيه وممثليه قوام تفكيره ، وخفق قلبه فلابد أن يكون له أيضا فرقته ، أفرادها أخواه وأخصاؤه - بل وخدمه - أما مسرحها ففى بهو البيت ، يدعو إليها الأسرة وعلى رأسها جدته العجوز التى تولت تربيته ولابأس من جلوس الخدم أيضا أو يدعو إليها جمعا من أصدقائه ....

يقول الشعر فى سن مبكرة ويهوى الغناء ، اذا أكب على كتبه المدرسية ، لا يلبث أن يرفع رأسه وينطلق منشدا قصائد الشيخ سلامة حجازى وتواشيح القبانى ، كل هذا لا يكفكف من حاجته للتعبير عن نفسه ، فكان من طبعه الشغف بتقليد كل ما كان يراه غريبا مضحكا من الحوار وحركات من حواليه ، هذا التقليد ، أو فن التمثيل فى أول أدواره الذى كان يصل إلى درجة بعيدة من الخفة والنغاشة ما يثير ضحك ذوى الوجوه المقنعة بالحزم والعبوس والذى كانت تبعثه سخرية باسمة ، ومن إغراقه فى سرد وقائعه الصبيانية ، وما يصل إلى سمعه من عجيب المنقول ، سرد طلى يستهوى الأذن رغم ما يشوب الرواية من ثرثرة الصغار (١) .

وبعد أن أتم محمد تيمور التعليم الثانوى أراد أن يسافر إلى أوروبا ، وحاور والده فى نوع الدراسة التى يرحل من أجلها . كان منذ صغره مشغول بالأدب والفن ، ولم يقتنع الوالد أن يسافر ولده لشىء من هذا ، فالحصول على " الشهادة " كان الغرض الأول بل الوحيد لمثل هذا السفر بل للتعلم حتى فى مصر .

وعلى ذلك لم يكن أمامه إلا أن يتذرع بأى شىء للسفر إلى أوروبا ، فقبل أن يدرس الطب فى برلين ولم يمكث بها إلاّ شهرين لم يجد فيهما ميلا إلى الطب ولا حبا للبقاء فى برلين .

كانت باريس قبلة الأنظار لطلاب الأدب والفن ووجد أن القانون هو أقرب شىء (مما يراد له الحصول على شهادة فيه) إلى الآداب ودراسته فى باريس فرصة للإتصال بالحياة الأدبية والفنية هناك .

وما يقضى أشهرا فى فرنسا " باريس " حتى يقوم الصراع بين ميوله الحقيقيه وبين دراسته القانون وقد تحدث عن ذلك الصراع فى شبه قصة (هو وهى) .

ونلحظ شبها بين موقف تيمور فى باريس وموقف توفيق الحكيم فيها ، من حيث أن كلا منهما ذهب إلى هناك ليدرس القانون إرضاء لوالده ، ومجاراة للظروف والدوافع الإجتماعية ولكن

---

(١) كتاب فجر القصة المصرية ص ٧٥ .

النفس وأهدافها كلها متجهه إلى عالم الأدب والفن .

لم ينغمس محمد تيمور بباريس فى الشهوات والمتع الحسية ، إذ انصرف إلى الفن والأدب المسرحي ، وجذبه ما طالع من التعبير عن الانسان العادى والتعاطف معه ، وهاله الفرق بين الحياة الإجتماعية والثقافة هنا وهناك . ذهب ببذرة ديمقراطية من بيئته المنزلية ، نمت هناك نموا هائلا ، فملأت نفسه بالمشاعر والأفكار الاصلاحية ، وحفزته نحو الثورة الأدبية التى أعلنها بعد العودة إلى بلاده ، وكانت ثمرتها لا إنتاجه الأدبى فقط بل شملت جيلا من الشباب انطبع بطباعه وسار على نهجه وكان أثره بعيد المدى فى الحياة الأدبية المصرية .

وقد تفتحت عينا (محمد تيمور) فى أوربا على عالم يختلف كل الإختلاف عن العالم الذى نعرفه فى مجتمعه بمصر فى ذلك الوقت ، وبخاصة عالم المرأة ، وقد كتب فى ذلك كثيرا بعد عودته ، راميا إلى استحثاث قومه للتقدم ، رأى الفتيات فى باريس يناقشن الرجال فى الأدب والفكر ويبدين آراء سديدة فيذهب فكره إلى الموازنة ويقول :

" كنت أجد فى هذه المناقشات عالما جديدا لم تره عينى فى مصر " (١) .

ويقول أيضا : " وازنت بين نسائنا ونسائهم ، أستغفر الله بل بين رجالنا ونسائهم ، فرأيت الفرق كبيرا والبون شاسعا ، نساء أوروبا يناقشن الرجال فى الأدب والسياسة والفلسفة ورجال مصر يتناقشون فى أنواع " الأوتوموبيلات " وجمال الملابس ، وإذا ألقت بهم الصدفة أمام موضوع جدى مزجوه (بالطرائف) المصرية المستملحة التى تطير فى جوف الفضاء أما نساؤنا ..... ؟

---

(١) مؤلفات محمد تيمور ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

بعد العودة من فرنسا

مكث محمد تيمور فى فرنسا ثلاث سنوات ، كان خلالها يعود إلى مصر ليقضى الأجازة الصيفية بها وفى المرة الثالثة صمم أن يعود إلى فرنسا ولكن الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) وقفت فى طريقه ، إذ أقفلت أبواب البحر والبر فاضطر إلى البقاء فى مصر أملا أن يتغير الحال ، ولكن الحرب طالت فداخله اليأس والحزن على ضياع مستقبله ، وكانت هذه الفكرة مسيطرة عليه لآخر أيام حياته .

تحير ماذا يفعل ؟ طرأت له فكرة الاشتغال بالزراعة ، فالتحق بمدرسة الزراعة العليا ولكنه عدل عنها بعد أشهر قضاها فى المدرسة اذ لم يجد فى نفسه الميل لها . لم يضع وقته سدى ، توافر له فى هذا الطور من حياته (الشباب ، الوقت ، والمال) فلم تكن مدعاة إلى المفسدة بل إلى الجد والإنتاج فى المجال الذى ملك كل مشاعره منذ الصغر ، أمده الشباب بحماسة عجيبة نحو الأدب والفن وتوافر له الوقت - على قصر المدة التى اختصرها الموت - فتفرغ ولم تضطره ضرورة العيش إلى الاحتراف ومعاناة البؤس بؤس الأدباء والمفتنين فى ذلك الزمان سبع سنوات (١٩١٤ - ١٩٢١) وزع فيها طاقته العجيبة إلى ألوان من الأدب والفن ، استطاع فيها أن ينتج ما جمعه شقيقه الأصغر محمود تيمور فى ثلاث مجلدات كبيرة الحجم بعنوان مؤلفات محمد تيمور وهى فيما يلى:

الجزء الأول

كتاب " وميض الروح " ، مصدر بمقدمة عن تاريخ محمد تيمور وشرح أعماله بقلم شقيقه محمود تيمور ويحتوى على ستة كتب :

الكتاب الأول : ديوان محمد تيمور وهو مجموعة من نظمه .

الكتاب الثانى : الوجدان وهو مجموعة قطعه الوجدانية .

الكتاب الثالث : مقالاته الأدبية والإجتماعية التى نشرها فى الجرائد المختلفة .

الكتاب الرابع : مجموعة قصصه الصغيرة بعنوان : " ما تراه العيون " مضافا إليها رواية الشباب الضائع .

الكتاب الخامس : خواطر وهو مجموعة خواطره عن الحياة .

الكتاب السادس : مذكرات باريس ، وهو مجموعة مذكراته عن حياته فى باريس

الجزء الثانى

كتاب حياتنا التمثيلية ويشمل الأبواب التالية :

الكتاب الأول : تاريخ التمثيل في فرنسا ومصر (فى خمس مقالات) .

الكتاب الثانى : التمثيل الفنى واللافنى .

الكتاب الثالث : محاكمة مؤلفى الروايات التمثيلية ، وهو مجموعة من المقالات الفكاهية النقدية عن الجو المسرحى فى مصر ، ونقد كتاب المسرح بأسلوب المحاكمات وهم : فرح أنطون - ابراهيم رمزى - لطفى جمعه - خليل مطران - وآخرين ..

الكتاب الرابع : نقد الممثلين المشهورين في عهده وهم : الشيخ سلامه حجازى - جورج أبيض - عبد العزيز خليل - عمر وصفى - روزاليوسف - منيرة المهدية - عزيز عيد - ميليا ديان وآخرين ..

الكتاب الخامس : مقالات عامة عن فن التمثيل .

الكتاب السادس : القصائد التمثيلية أو مجموعة من لوحاته المسرحية

الكتاب السابع : مسرحية الهاوية . وهى رواية كوميديا ، درامية ، أخلاقية من ثلاث فصول ، هدفها محاربة " آفة إدمان الكوكايين " التى انتشرت وقتها بين أفراد الشعب .

وحين تحدث محمد تيمور فى تاريخ المسرح المصرى ، اعترف بفضل السوريين الذين وفدوا إلى مصر وألقوا فى تربتها أول بذار الفن المسرحى ويذكر بالتقدير أسماء الرواد الأول وهم

النقاش ، أديب أسحق ، الخياط والقباني وهذا هو الطور الأول للمسرح المصرى .

أما الطور الثانى فهو اشتغال المغنى المشهور سلامة حجازى بالتمثيل ، وما تميز به عهده من ارتقاء أسلوب التعريب للمسرحيات الأجنبية المترجمة عن شكسبير Shakespeare ، كورنى Corneuil ، واسكندر ديماس الكبير .

أما الطور الثالث هو انفصال سلامة حجازى عن اسكندر فرح وتمثيله مستقلا على مسرح دار التمثيل العربى .

والطور الرابع يبدأ بعودة الممثل الكبير جورج أبيض من دراسته الفنية فى فرنسا وقيامه بتمثيل الروايات العالمية المترجمة .

ولكن محمد تيمور لم يقتصر على تجديد أطوار المسرح المصرى فحسب ، بل يحلل كل طور فيها تحليلا جادا ، فهو يرى أن التمثيل لم ينجح فى الطور الأول لكونه شيئا جديدا لم تره العيون من قبل ، وفى الطور الثانى نجح التمثيل لاستخدام الأغانى والألحان ، ونجح أيضا فى الطور الثالث بالإضافة إلى المحسنات الغنائية جمال المناظر والملابس أما فى الطور الرابع ، طور الفن الصحيح ، فنحن فيه أقرب إلى الفشل منا إلى النجاح .

ثم ينتقل بعد ذلك إلى نقد المسرح الكوميدى ممثلا فى نجيب الريحانى وعلى الكسار ، وينسب اليهما العمل على فساد الأذواق بأعمال لا تعبر عن الفن فى شىء ، سوى مشاهد مفككة العرى مشوهة التأليف ، تجمع بين المواقف المخجلة والنكات البذيئة ويفسر محمد تيمور إقبال الجماهير على هذا اللون ، برغبته فى الترفيه وقضاء ساعة من وقته ، يغسل فيها قلبه من أدران الهموم والأحزان .

ويتحسر محمد تيمور عن تجاهل المثقفين خطر ما يقدمه الريحانى والكسار [١] منذ البداية

---

(١) جانب محمد تيمور الصواب فى الهجوم على الريحانى والكسار وهما من أعمدة المسرح الكوميدى فى فلسفة مسرحياتهم .... !!

حتى استفحل الأمر ، وكان يجب إيقاف هذا النوع من التمثيل الكوميدى الهابط بكل وسيلة مشروعة وكان يقترح حلا مادامت مسارح الريحانى والكسار تتمتع بإقبال جماهيرى (يحمل صاحبيها على تطعيم مسرحياتهم الفكاهية بقليل من الفن) ويتحدث عن لذة التضحية التى تعادل لذة النجاح .

الجزء الثالث

كتاب المسرح المصرى

مصدر بمقدمة عن محمد تيمور ورواياته التمثيلية ، بقلم صديقه الكاتب الكبير محمود عزمى ويحتوى على ثلاث مسرحيات كبيرة وهى :

١ – العصفور فى القفص : كوميدية ، درامية ، أخلاقية من ثلاث فصول ، تعالج مشاكل التربية الخاطئة فى الجيل السابق وما تنجم عنه من علاقات سيئة بين الآباء والأبناء .

٢ – عبد الستار أفندى : كوميدية أخلاقية ذات أربع فصول ، عن مساوىء الطبقة الأرستقراطية فى مصر .

٣ – العشرة الطيبة : أوبرا ذات أربعة فصول ، وهى تعريض بالحكم التركى ، ولو أنها أخذت فى نقد الحكم المملوكى ، وقد قدمها إلى نجيب الريحانى لتمثيلها ، وانتقدها الكاتب الناقد ابراهيم رمزى لأنها تعرض بالحكم التركى .

وله فيما عدا ذلك :

---

١ – ترجم عن الفرنسية إلى العربية مسرحيتى (الأب لوبونار) و (لجان إيكار) ، و" اللغز " لبول هرفير .

٢ –نشر أغلب إنتاجه الفنى والأدبى فى جريدة السفور .

ولم ينشر لمحمد تيمور أى كتاب فى حياته ، ولكن شقيقه الكاتب الكبير محمود تيمور بك جمع كل إنتاجه وطبعه باسم " مؤلفات محمد تيمور " فى ثلاثة أجزاء ، كل منها مجلد كبير بالمطبعة السلفية عام ١٩٢٢ .

وفى سنة ١٩٢٧ نشرت القصص القصيرة والخواطر فى طبعة ثانية مستقلة باسم " ما تراه العيون " وصدرت طبعة حديثة لهذه المجموعة فى سلسلة كتب " المكتبة العربية " التى يشرف عليها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الإجتماعية مصدرة بمقدمة الأستاذ الشاعر عزيز أباظة باشا .

أثره فى المسرح

كان محمد تيمور – وهو فى أوروبا – فى صراع بين الدراسة الطبية والقانونية التى ترجى له ، وبين الاشتغال بل الولع بالأدب والفن الذى يستحوذ عليه ويملك كل مشاعره واهتمامه ، فلما عاد إلى مصر ولم يستطع العودة إلى فرنسا كان حزينا لا لأنه لم يكمل دراساته التى بعث من أجلها (وإن تظاهر بذلك أمام الأهل) ولكن لعدم إمكانه متابعة دراساته فى الفن المسرحى ، والحياة الفنية فى فرنسا ، وقد كان من الممكن له استكمال دراسة القانون فى مصر لو أراد ، وكان إلتحاقه بمدرسة الزراعة العليا محاولة منه لإرضاء والده ولكنه ما لبث أن نفض يده من هذه الدراسة وانتهى إلى التمسك بالفن والمسرح .

وفى مجال الفن والأدب وقع محمد تيمور فى صراع أعنف وأقصى ، صراع بين رغبته الحقيقية أن يكون ممثلا ، وأن ينهض بفن التمثيل بمصر وبين حبه لوالده فى الدرجة الأولى ورعايته لتقاليد طبقته فى الدرجة الثانية .

وفى نطاق هذا الصراع ، وتبعا لملابساته ، تنقل بين أنواع الإنتاج الأدبى ومحاولاته فى التمثيل ، وعلى الرغم من انضمامه لجماعة أنصار التمثيل ، وتحمسه لها لم يسارع إلى اعتلاء

خشبة المسرح وإنما لجأ إلى فن آخر قريب من فن التمثيل أغرق فيه نزعاته التمثيلية ، وهو فن " المونولوج " يؤلفه ويلحنه ثم يلقيه على الجمهور ، فى حفلات السمر التى كانت تقام فى النادى الأهلى ونادى الموسيقى ونادى موظفى الحكومة وغيرها ... ووجد مجاله فى هذا الفن .

وكان عالم الديالوجات والمونولوجات بالنسبة له المعبر إلى خشبة المسرح والخطوة الأولى التى خطاها ليكون ممثلا وكاتبا مسرحيا معا ، وكانت بعض المحاورات التى يلقيها منظومة نظما شعريا أنيقا ، وامتازت كما امتاز شعره بالروح الرومانسية .

وعلى الرغم من أنه لم يحترف التمثيل طويلا - بعد أن مثل فى مسرحيتين فقد استطاع فى هذا المدى القصير أن يؤكد وجوده بأدواته الغير مكتملة التى كانت تحتاج إلى الزمن ليعطيها مزيدا من العمق والخبره .

وقد مثل محمد تيمور أول أدواره المسرحية فى مسرحية ابراهيم رمزى و (عزه بنت الخليفة) ذات الأسلوب الغنائى التى تعد من بواكير هذا النوع من المسرحيات التى ظهرت على المسرح المصرى فى ذلك الوقت ، فى دور " الأمير سيف الدين " وأعانته موهبته الصوتية وحرارة عاطفته ورشاقة حركاته قبل سائر مواهبه الأخرى ، على أن يخرج هذا الدور ويؤديه على أكمل وجه وهو الممثل المحاط بفتنة الشباب ، ونبل الاماره وروعة الشعر وسحر الموسيقى . وقد نجح فى دوره فى هذه المسرحية أبلغ نجاح ، وكان حديث الناس فى ذلك الوقت ، ولما أعيد تمثيل هذه المسرحية بعد نحو شهر على مسرح دار الأوبرا السلطانية فى الحفل السنوى الذى قدمته الجمعية الخيرية الاسلامية تحت رعاية السلطان حسين كامل الذى حضر الحفل وأعجب بتمثيل محمد تيمور ، ومن مفارقات القدر أن هذا الإعجاب سيمنع تيمور بعد قليل من إعتلاء خشبة المسرح إذ يختاره السلطان أمينا فى قصره !! ومثل محمد تيمور مسرحية أخرى هى " العرائس " التى ترجمها اسماعيل وهبى المحامى ، عن الكاتب الفرنسى بيير وولف ، فى دور المركيز " روجيه دى مونكلار " وقد أبدع فيها أيما ابداع وقد عكس تمثيله لهذا الدور مستواه القوى لدى الجماهير .

وكان محمد تيمور أول ممثل من طبقته ، يعتلى خشبة المسرح وتبعه يوسف وهبى وكانت عوامل تشجيعه مع ذلك ، رؤيته بعض المثقفين من الطبقه الوسطى يتقدمون إلى هذا الميدان أمثال جورج أبيض وعبد الرحمن رشدى ومحمد عبد الرحيم وغيرهم ...

وفى مجال التأليف المسرحى سبقه مؤلفون كثيرون ، ولكن ما ألف قبل تيمور كان أكثره مسرحيات تاريخية وأقله مسرحيات إجتماعية لم تكتمل النضج الفنى ، فكانت إضافة محمد تيمور فى هذا المجال ، المسرحيات التى تتناول مشكلات الحياة المعاصره له ، بمعالجة فنية لم تتوفر لمن قبله ، وقد تحمس للتأليف عن المجتمع المصرى ، واعتبر الإعراض عنه أول أسباب التدهور للتمثيل فى مصر ، يتضح ذلك من قوله :

" والآن نريد البحث عن أسباب تدهور التمثيل العربى ، وأول هذه الأسباب هو تهافت جوقاتنا الفنيه على تمثيل الروايات المترجمة التى لا يفهمها الشعب المصرى ولا يرى فيها شيئا من أخلاقه وعاداته ، ليس التمثيل هو أن تقدم للجمهور روايات أجنبية محبوكة السبك ولكن التمثيل هو أن تقدم للجمهور روايات تبحث فى شئونه العصرية ليأخذ منها درسا يستفيد منه (١) .

وأما إضافته للنقد المسرحى فتتمثل فى أمرين :

الأول : أن كتابته التقليدية كانت وليدة العلم والدراسة .

الثانى : عدم احتياجه للكسب المادى ، الأمر الذى يدفع النقاد المسرحيين إما إلى الإفراط فى المديح وإما إلى الإفراط فى النقد والواقع فى هذا أو ذاك الرغبة فى الحصول على النفع المادى .

وذلك ما يقوله الأستاذ الكبير زكى طليمات (٢) :

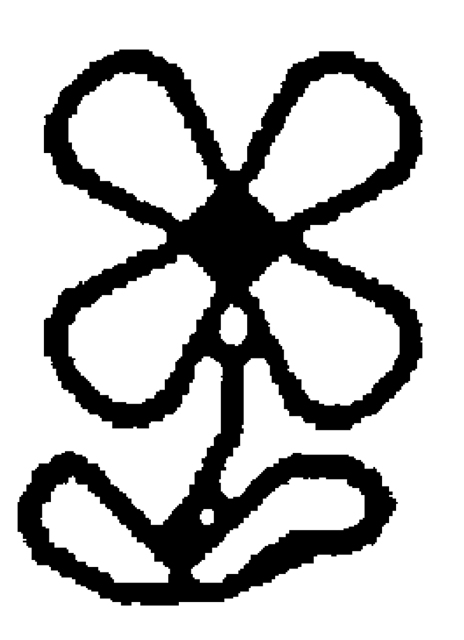
---

(١) مؤلفات محمد تيمور ج ١ ص ٤١ ، ٤٢ .

(٢) مقدمة الجزء الثانى من مؤلفات محمد تيمور .

" ليس تيمور أول من نقد فى صحيفة ولكنه أول من كتب عن علم بأوضاع الفن وأصول الفن الذى تناوله بكتاباته ، وأقل ما أسداه (تيمور) إلى هذه الحركة التى يحق أن تنتسب إليه بأعظم وأكبر قسط من تأسيسها ، أنه حاول رفع النقد المسرحى عن التحامل والتحيز ."

وانتقلت روحه إلى الرفيق الأعلى وهو فى شرخ الشباب وعنفوان الصحة والقوة عام ١٩٢١ بعد إصابته بالحمى التيفوديه ، فترك وراءه فراغا كبيرا وأبّنه الأدباء والكتاب والشعراء .



محمود بك تيمور
١٨٩٤ - ١٩٧٣

ولد فى ١٦ / ٦ / ١٨٩٤ فى درب سعادة ، وهو الحي الذى يقع بين الموسكى وباب الخلق بالقاهرة ، وهذا الحى أصيل فى شعبيته ، يجمع أشتاتا من الطوائف والفئات وهو حافل بالصناع والتجار وأرباب الحرف من كل صنف وفيه تتوهج التقاليد والعادات والخصائص التى تتبلور فيها شخصيتنا المصرية فى المدينة .

ثم انتقلت أسرته إلى عين شمس ، الضاحية القريبة من القاهرة ، فعاش هناك حياة ريفية بكل ما للريف من أوضاع ونظم ، وبعد ذلك عادت الأسرة إلى القاهرة فسكنت حى الحلمية وهو حى وطني كان يقطنه فى ذلك العهد مئات من العلماء والموظفين وذوى الجاه ، وكان له طابعه فى النماذج البشريه التى يموج بها .

وفى أثناء ذلك كان يقصد إلى الريف ليقضى فى عزبته الأجازات الصيفية ، حيث كان الفلاحون يعيشون حياتهم المألوفه ، وكان يلذ له أن يختلط بهم والسمر معهم ويزاول ما يزاولون من أعمال .

هذه الحيوات المختلفة فى تلك البيئات الشعبية والوطنية والريفية كانت بمثابة الينبوع الثرى الذى أغترف منه محمود تيمور ما استطاع أن يستمد منه الصور الحافلة بهذه الحيوات وأحداثها وشخوصها التى ترسبت فى أعماقه وفى هذا يقول :

" والحق أنى لو تصورت أولئك الذين رسمت صورهم فى كتبى القصصية وقد مستهم نعمة الحياة لانطلقوا يتلمسون طريقهم إلى موطنهم ، هذا يخطوا إلى درب سعادة ، وهذه تسأل عن أهلها فى عين شمس ، وذلك يطرق بيته فى حى الحلمية ، وتلك تطلب القطار ليبلغ بها ساحة القرية .

هذا فيما يتعلق بالناحية الظاهرية من حياته ، ناحية البيئة التى نشأ فيها والظروف التى

أحاطت به ، أما فيما يتعلق بالناحية الباطنية أى المزاج النفسى والأفق الفكرى فإن تيمور يقول :

" عندما ألتفت خلفى متكشفا ماضى حياتى ، أرى أربعة عوامل أساسية قد عملت فى تكوينى كاتبا : الأول : والدى أحمد تيمور والثانى محمد تيمور أخى والثالث حوادث خاصة كان لها تأثير فى تحويل مجرى حياتى والرابع والأخير مطالعاتى فوالدى جدير أن يكون أورثنى مؤهلاته الكتابية وقد تعهدنى منذ النشأة وحبب إلى المطالعة والتأليف ، وأخى هذب هذا الحب وأذكاه ، وحوادث حياتى ثم مطالعاتى هى التى عينت لى تلك الوجهه التى أترسمها الآن فى حياتى الأدبية .

ومن المؤثرات القوية على فنه القصصى كتاب ألف ليله وليله فقد أثر فى تيمور تأثيرا كبيرا لأنه وجد فيه التراث الذى يساعد القصصى والقصاص على إنماء موهبة التخيل فالخيال هو العامل الأساسى فى التأليف القصصى وبدونه يكون القصاص عاجزا عن الخلق والابتكار ، فتخرج آثاره سطحية لا تزيد قيمتها على تدوين الحوادث الجارية .

ولما تهذب ذوقه فى المطالعة أقبل بشغف على قراءة " المنفلوطى " فقد كانت نزعة الرومانسية الحلوة تملك عليه مشاعره وأسلوبه السلس يسوسه وفى ذلك يقول تيمور :

وكل انسان فى أوج شبابه تطغى عليه نزعة الرومانسية والموسيقى فيصبح شاعرا ولو بغير قافية ، وقد يكون أيضا شاعرا بغير لسان . "

أهدافه من القصة :

مذهب محمود تيمور فى معالجة الفن القصصى ، هو اللامذهبية ، لأنه لايحب أن يتقيد بمذهب معين يحيط قصصه بسياج واحد ، وإنما يرسل قلمه على سجيته ، ليعبر عن أحاسيسه وعن التجربة الفنية التى عاناها ، وأما أهدافه من قصصه فهى فيما يلى :

أولا : محاولة التفطن لمواطن الجمال والقوة والخير فى هذا الخليط الكبير المشتت الملتبس من

تصرفات الانسان .

ثانيا : محاولة تفسير ظواهر الضعف والإسفاف والإنحراف فى طوايا النفس البشرية المعقدة ، المغلوبة على أمرها بما لا يحصى من أسباب وعلل .

ثالثا : محاولة إلقاء أضواء على زوايا من الحياة ، حافلة بألوان المفارقات وتنازع المشاعر حيث تتجلى محنة الضمير الانساني في الصراع بين الأهواء الرخيصة والمثل العليا .

رابعا : كان أهم هدف له من معالجة فن القصة ، التبصير بالطبع البشرى وتجميل لوحة الحياة وتعزية لأخيه المسكين ذلك الانسان .

ثقافته والعوامل المؤثرة فى تكوينه الأدبى :

كان محمود تيمور ذا موهبة أدبية خصبة ، يتسم بما يميز الفنان من رهافة الحس ورقة العاطفة وقوة الشعور بالجمال والقدرة على التعبير عما يحسه .

وقد تآزرت على صقل موهبته الفطرية البيئة الأدبية التى درج عليها، والظروف التى أحاطت بنشأته فأبوه عالم أديب ، وأخوه قصاص بارع ، وقد اشتد ميله منذ الصغر إلى القراءة ، واستهوى فكره وقلبه ما حوته مكتبة والده من روائع التراث ، فنهم منها ما شاء ، وأفاد بذلك معرفة واسعة متعددة الجوانب ، وثقافة أصيلة ساعدته على امتلاك ناحية اللغة وحذق دقائقها والإقتدار على تطويع أساليبها لمقتضيات التعبير القصصى ومراجعه .

وكانت رحلاته إلى بلاد الغرب فرصا مواتية ، اكتسب بها مزيدا من الخبرة من البيئات المتنوعة ومظاهر الحضارة ومشاهد الجمال وألوان الحياة والطباع والنزعات والأهواء وقد أتقن اللغة الفرنسية وقرأ لكبار أدبائها ، واطلع على روائعها القصصية ، وتابع الإنتاج القصصى ومذاهبه فى الأعمال الفرنسية والآثار المترجمة إليها ، وكان يدعو إلى ذلك دعوة صريحة بقوله :

" وبديهى أن ذخائر ذلك الزاد الثقافى تتوافر فيما تمخضت عنه آداب الامم التى أعرقت فى

صناعة القصة ، وأستصفت من مراسها الطويل زبدة صالحة " .

وكتب فى مجموعته القصصية (فرعون الصغير) متحدثا عن " موباسان " الأديب الفرنسى قال :

" وتابعت قراءتى إياه فى شغف عظيم ، واتسعت مطالعتى فيما بعد فى القصص الاوربى وتشبعت ، ولكنى حتى اليوم ، مازلت محتفظا لموباسان بالمكان الأول من نفسى " .

ثم قال :

" وانتقلت بعد ذلك إلى القصص الروسى ، وقرأت لتشيكوف وتورجنيف ومن ماثلهما ولقد كان من الطبيعى أن يقرأ إنتاج أخيه الاكبر الأديب محمد تيمور وأن يتاثر به فى اتجاهاته ... ومنها النزعة الواقعية فى قصصه .

وقد عاصر الكاتب نشأة القصة العربية وحركة تطورها منذ بدأت الترجمة ، فاقتباسا فتقليدا فابتكارا ، حتى استوت وأضحت مورقة مزهرة .

وكان وفيا لهذا الفن الذى كلف به ، وتتبع آثاره وتطوراته على المستوى الوطنى والعالمى .

وكان من أقوى العوامل لسبقه مضماره ، إيمانه القوى برسالته ، ورغبته المتحمسه فى أن تصبح القصة العربية واضحة المعالم ، جلية الشخصية بين فنون البيان ، وبالرغم من حداثة عهدها بالقياس إلى غيرها من الفنون البيانية التى تمتد أعراقها إلى الماضى البعيد .

أطوار فنه القصصى

١) الطور الرومانسى :

أولع تيمور أول أمره بالأدب القصصى ذى الطابع الرومانسى ، ولذا كان من مجموعته القصصية الأولى رومانسى النزعه يعتمد المبالغه فى تصوير الأحداث والإمعان فى الخيال – ومجموعة قصصه (فرعون الصغير) تمثل روح فنه فى العهد الاول .

٢) الطور الواقعي :

ثم اخذ يتخلص تدريجيا من الرومانسية ويتجه إلى الواقعية ، واستقام عليها فنه القصصى، وربما كان ذلك راجعا إلى أسباب منها :

ا) التطور القوى الذى أدرك الحياة الإجتماعية والإقتصادية فى مختلف الميادين ، لأن الأدب بوجه عام وأدب القصة بوجه خاص مرآة للمجتمع ، يفصح عن جوانب حياته ونفسيات أهله .

ب) نمو الوعى القومى إبان النهضة ذلك الوعى الذى أدى إلى دعم الشخصية المصرية وإنهاء المقومات الخاصة للشعب .

ج) انتشار الفكر الإشتراكى الذى يولى وجهه شطر الشعب ، وتتجه دعوته فى مجال الأدب والأدباء إلى أن يضعوا مواهبهم فى خدمة المجتمع، ولمساعدة الشعوب على التخلص من مشكلاتها ، وضروب الشقاء والقلق والخوف التى تعانيها .

ومن مميزات فنه القصصى فى هذا الطور :

---

١) أنه يمثل الفن الواقعى ، فينقل عن الحياة وما يجرى فيها من المواقف والأحداث والشخصيات فى موضوعية وبدون جنوح إلى الخيال والتحليق فى آفاقه البعيدة .

وليس معنى ذلك أنه لا يضفى من ذاته على هذه القصص ، بل أنه يخرجها من خلال نفسه وأحاسيسه غير مبتعد بها عن الواقع الذى يستوحى عناصرها منه ، أو يؤلف بحيث تظهر وكأنها تعيش فيه .

٢) إنه فى نزعته الواقعية يتجه إلى الطبقة الشعبية ، فيصور حياة الكادحين والبائسين فى الريف والمدينة ، وله قدرته على إبراز الطابع المحلى للبيئات التى يعرض لها من حيث المشاهد وملامح الشخصيات والأزياء والعادات والتقاليد ،وبذلك يعرفنا تعريفا كاشفا ما بأنفسنا وبمجتمعنا فى صدق وفى غير زيف .

وله مع هذه نزعته القومية التى تتمثل فى كثير من أعماله الفنية ، كما أن مداه اتسع – فيما بعد – فصار قصصه ذا نزعة إنسانية .

٣) إنه بلغ مدى بعيدا فى فن القصة من نواحيها المختلفة من حيث : البناء والحبكة الفنية ورسم الشخصيات فى براعة حتى لتحس أنفاسها وتلمح الحياة فى كلماتها وحركاتها كما تحس أن قلبه مملوء عطفا عليها ، حتى على الذين خضعوا لظروف قاسية او منحرفة ..

٤) وله قدرته البارعة على استخدام اللغة الفصحى ، والتزامها والتأنق فيها أحيانا ، ولكنها فى جملتها من السهل الممتنع ، وهو ممن لا يبيحون العامية إلاّ فى الأدب التمثيلى ومع استخدام اللغة الفصحى نراه يطوعها فى براعة لمطالب المواقف والحوار والشخصيات على الوجه المألوف لها وقد أعانته على ذلك خبرته اللغوية الواسعة ، وقدرته على الإشفاق وإحياء الألفاظ التى تقتضيها المواقف والتقاط الصحيح من بين الألفاظ التى يشيع استخدامها فى اللغة الدارجة ، ومن ذلك على سبيل المثال ما ورد فى بعض قصصه مثل الجرن ، الصرة ، اللفة ، المصطبه ، ... الخ

ومثل هذه الألفاظ تمنح أسلوبه حيوية وصدقا فى التصوير ، وتساعده على التوفيق فى تحقيق الأصالة الفنية مع سلامة اللغة وصحتها ...

٥) وقد تنوع إنتاج تيمور بين القصة القصيرة والرواية ولكن أشد ما يميزه ويحببه إلى النفوس فنه التى بلغت روعتها فى قصصه القصيرة الواقعى والإنسانى ، وقد بلغ عدد مؤلفاته واحد وسبعين مؤلفا ، ترجم كثير منها إلى اللغات الأجنبية ولم يظهر فى تاريخ القصة القصيرة حتى الآن أديب ينهج ذلك المنهج الفريد الذى نهجه تيمور فى كتابة القصة ، ليخلق منها وحدة فنية كاملة وهو ليس قصاصا فحسب ولكنه فيلسوف يتعمق فى حياة الناس ، ويغور فى نفوس أبطال قصصه يترجم من فلسفتها فى الحياة والحب والجمال .

وكان البعض يأخذ عليه تمسكه باللغة العربية الفصحى فى كتابته ، إلاّ أنه أراد لأدبه الخلود ، ولا سبيل لخلود قصصه إلاّ بالتعبير السليم ، باللغة الفصحى ..

ولما كان الكاتب له مطلق الحرية فى اتخاذ الوسيلة لإبلاغ الرسالة ، فلقد وجد هذا الأسلوب التأييد الكبير من العالم العربى وسائر الشعوب الناطقة بالضاد على إختلاف لهجاتهم .

ولايستطيع الكبير دراية فى القصة العربية ، سواء القصة القصيرة أو القصة الطويلة أن يغفل الدور الريادى للأستاذ محمود تيمور كما لا يستطيع أديب قاص أن ينكر تأثره بفنه القصصى . وأن أساتذه القصة القصيرة المعاصرون فى شتى بقاع الوطن العربى خرجوا من معطفه ومن منا لا يذكر له (نداء المجهول - وسلوى فى مهب الريح - وشمروخ - وما إلى ذلك من أعمال نجح تيمور فى أن يجعلنا نتعاطف معها سواء كنا من المثقفين أو من غيرهم) وسيظل كتاب القصة المعاصرون يذكرون أعماله الأدبية الخالدة من (الحاج شلبى - أبو على عامل أرتست - إلى معبود من طين فى عام ١٩٦٩) كما كان لا يمل من الحديث عن فن القصة وعن إرشاد أصحاب المواهب الأدبية من الشباب الذى يقصدونه ، وذات مرة جلس فى إنتظار إنعقاد جلسة لجنة القصة بالمجلس الأعلى للعلوم والآداب (التى كان عضوا فيها) وجاء اليه مجموعة من الشبان يستشيرونه فى الطريقة التى ينشرون بها أعمالهم ، فأخذ تلك الأعمال وفحصها واختار منها أصلحها ونشرها على نفقته ؟؟

وقال عنه الدكتور طه حسين فى حفل استقباله عندما اختير عضوا بمجمع اللغة العربية عام ١٩٤٧ قال وهو يتحدث عن زيادة تيمور فى عالم القصة :

(وسبقت أنت إلى شىء لا أعرف أن أحدا شاركك فى الشرق العربى كله إلى الآن ، سواء ذهب أحد مذهبك أو جاء أحد فيما بعد بخير مما جئت به ، فلن يستطيع أن يتفوق عليك ، لأنك فتحت له الباب ومهدت له الطريق ، ويسرت له السعى ، وأتحت له أن ينتج وأن يمتاز وأن يتفوق ، هذا الذى تفوقت فيه وامتزت ، وسجلت به لنفسك خلودا فى تاريخ الأدب العربى ، لا سبيل إلى أن يمحى هو القصص على مذهبه الحديث فى العالم الغربى ...

ثم يقول طه حسين فى نفس الكلمة :

(وإنك لتوفى حقك إذا قيل إنك أديب عالمى بأدق معانى الكلمة وأوسعها ، ولا أكاد أصدق أن

كاتبا مصريا مهما يكن شأنه قد وصل إلى الجماهير المثقفة وغير المثقفة كما وصلت أنت اليها)

أدب الرحلات :

وهذا لون جديد من أدب تيمور وفنه ، فتح به بابا للباحث فى تاريخ الأدب العربى الحديث وهذا اللون كما هو جديد فى أدب كاتبه ، فهو جديد فى فن الرحلات ، لأنه قريب إلى أن يكون قصة فى رحلة أو رحلة فى قصة !!

فهذه خواطر كتبها محمود تيمور خلال رحلته إلى أمريكا استغرقت ستة أشهر كانت خيرا وبركة على الأدب سجلها فى رواية " أبو الهول يطير " وكانت مفتاحا لعالم جديد فى نفس تيمور لعله لم يكن مطلعا عليه حتى واتته الظروف فانطلق فى أرجاء هذا العالم يكشف ويلقى الضوء ، حتى جمع ثروة ثمينة فى هذا الضرب الجديد فى فنه ، وأخرجها للناس أثرا يتألق جدة وروعة ...

ولقد كان تيمور يعيش خلال الزمن الطويل الذى قضاه فى دعم أسس القصة العربية فى خلق الشخوص وتصوير عوالم تناسب هذه الشخوص ، حتى طلع الأدب بقصته الرائعة . (نداء المجهول) يجوب فيها عوالم جديدة ، ويصور فيها مشاهد رائعة فى دقة بالغة ثم قويت هذه الظاهرة فى فنه واختفت الشخوص التى يخلقها خياله لتحل محلها شخصية فتجعل منها مادة موضوعية ويعرض على القارىء أحاسيسه ومشاعره ونظراته للحياة فى غير مواربة أو زيف .

لقد انطلق تيمور فى كتابه " أبو الهول يطير " من القيود التى يفرضها فى القصة عليه من التزام التعبير بما يناسب كل شخصية من شخصيات قصصه فلا يتعدى ذلك ، وما يفرض عليه من عدم الخروج عن جوهر القصة وحوادثها . فهو هنا يعبر عن نفسه وأفكاره فى حرية ثم ينطلق به التفكير فيخرج عن جو موضوعه إلى جو نفسه ، ومن جو نفسه إلى عوالم من التفكير

(٨) عوالى .

(٩) أبو شوشة والمركب .

(١٠) قنابل .

(١١) حواء الخالدة .

(١١) اليوم خمر .

(١٣) إبن جلا .

(١٤) أشطر من إبليس .

(١٥) كذب فى كذب .

(١٦) طارق الأندلس

كتب الرحلات :

(١) أبو الهول يطير .

(٢) المائة يوم .

(٣) شمس وليل .

صور وخواطر :

(١) ملامح وغصون .

(٢) النبى الانسان .

(٣) شفاء الروح .

(٤) عطر ودخان .

إنتاجه اللغوى :

(١) حوالى ثلاثة آلاف اصطلاح عربى جديد (معجم الحضارة)

(٢) كتاب طلائع المسرح .

(٣) القصة فى الأدب العربى وبحوث أخرى .

(٤) خطوات على الشلال .

(٥) الأدب الهادف .

(٦) مشكلات اللغة العربية .

اما ما ترجم من قصصه إلى الانجليزية

قصص من صميم الحياة المصرية .

أما ما ترجم إلى الفرنسية

(١) عزرائيل القرية .

(٢) شفاه غليظة .

(٣) بنت الشيطان .

(٤) كل عام وأنتم بخير .

(٥) نداء المجهول .

(٦) زهرة المرقص .

(٧) غراميات سامى .

(٨) حلم سمارا .

(٩) حياة الأشباح .

وقد ترجمت أعمال تيمور إلى اللغات الأجنبية منها الإنجليزية – الفرنسية – الألمانية – المجرية – الإيطالية – العبرية – الروسية – القوقازية – اليوغوسلافية .

وتم حصوله على عدة جوائز :

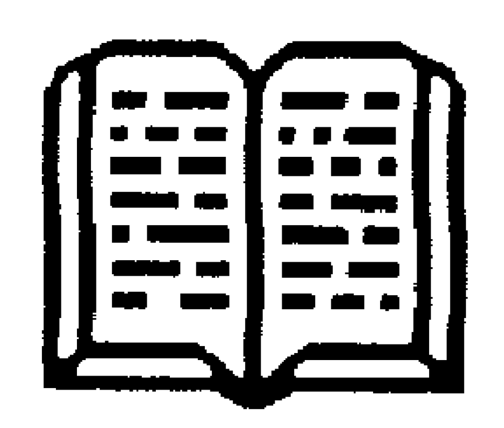
(١) جائزة المجمع اللغوى ١٩٥٠ .

(٢) وجائزة أحسن كتاب شرقى – الفرنسية عام ١٩٥١ .

(٣) وجائزة الدولة الأدبية التى اقتسمها مع توفيق الحكيم ١٩٥٢ .

(٤) وقلده الرئيس جمال عبد الناصر جائزة الدولة التقديرية فى الأدب ١٩٦٢.

وقد انتقلت روح هذا الرائد العظيم إلى الرفيق الأعلى عام ١٩٧٣ بعد أن ترك تراثا خالدا على مر الزمان .



أحمد فؤاد تيمور
١٩٢٠ -

الأستاذ / أحمد فؤاد تيمور هو آخر أدباء الأسرة التيمورية
وهو أبن شقيق الأديب الكبير محمود بك تيمور والده اسماعيل
باشا تيمور كان من رجال القصر الملكى توفى سنة ١٩٤٧ م
وجده أحمد باشا تيمور الذى ذكرت سيرة حياته آنفا

ولد أحمد تيمور برمل الإسكندرية فى ١٤ / ٨ / ١٩٢٠ ثم انتقلت العائلة إلى القاهرة وأقامت فى قصرها بالحلمية الجديدة فالتحق فى طفولته بروضه أطفال الحلميه الجديده وأستحضر له والده شيخا بالمنزل لتحفيظه القرآن الكريم ، وبعد أن بلغ أشده التحق بمدارس الجزويت بالظاهر حيث أتم مناهج التعليم الإبتدائى والثانوى . كان يقضى يومه منذ الصباح الباكر الساعة ٧.٣٠ ص حتى الثامنة مساء ميعاد عودته إلى المنزل بالمدرسة وفق برنامج تعليمى شديد ، وكان عليه أن يؤدى واجباته بالمدرسة كما يتناول غداءه بها . وقد مهد له السبيل فى تذوق اللغة العربية والإحساس بجمالها مدرس فذ وهو الأب منصور الذى عنى بتلقينه دروس اللغة العربية ، وقد اشتهر حينا بقسوته مع تلاميذه الذين لايستجيبون لتوجيهاته أو يتكاسلون فى أداء ما يفرض عليهم من واجبات .

أما الطالب أحمد فؤاد تيمور فكان أثيرا بحبه وتقديره ، لأنه كان يؤدى ما يفرض عليه بل يزيد .

وكان والده اسماعيل باشا تيمور يتابع دراسته ويشجعه على القراءة فى أمهات الكتب الأدبية التى تحفل بها مكتبته .

ولما نال شهادة البكالوريا الفرنسية ثم التحق بمدرسة الحقوق الفرنسية فى عهد ناظرها المسيو بواييه وكانت الدراسة بها مسائية مما شجعه على موالاة الاطلاع على الأدب العربى فى

النهار . نال ليسانس الحقوق الفرنسية سنة ١٩٤٨ . ثم التحق بالقصر الملكى فى ٢ / ٤ / ١٩٤٩ فى وظيفة تشريفاتى واستمر فى عمله فى العهد الملكى والعهد الجمهورى حتى عام ١٩٨١ وصل فيها إلى منصب كبير الأمناء ، وقد رأى السيد رئيس الجمهورية المرحوم محمد أنور السادات مد خدمته ثلاث سنوات إلاّ أنه لم يستكمل هذه المده نظرا لمرضه وسفره لإنجلترا للإستشفاء وحين عاد قدم استقالته .

المؤثرات التى تأثر بها :

أولا : رضع أحمد فؤاد تيمور لبان الأدب منذ نشأته لأن أسرته كلها تتمتع بخواص أدبية فريدة وكان والده من كبار المثقفين ، فكان يجيد مع العربية الإنجليزية والتركية والفرنسية والإيطالية ، ساعده ذلك فى تمرسه الأدبى ، فكان شديد الإقبال على المطالعة فى مكتبة والده عزوفا عن اللهو الذى اشتهر به أبناء الطبقة الأرستقراطية وتزوج فى شبابه من إحدى قريباته وتمتع بحياة زوجيه هانئة يسودها الإخلاص والوفاء ويحف بها الحب والسلام ، مما أذكى روحه الأدبية وأوحت اليه كتابا فريدا فى مادته وهو من الشعر المنثور يعبر فيه عن امارات حبه لزوجته وحياته أسماه (صلوات الحب) خلاف ما استن عليه شاعران كبيران وهما المرحوم عزيز أباظه باشا وعبد الرحمن صدقى الذى أنتج كل منهما ديوانا من المراثى يعبر عن لوعة كل منهما بعد وفاة زوجته .

ثانيا : اضطر أحمد فؤاد تيمور إلى الإلتحاق بالقصر الملكى لأن المحاكم المختلطة التى كان بحكم تخرجه من مدرسة الحقوق الفرنسية مؤهلا للعمل محاميا أمامها قد ألغيت سنه ١٩٤٨ ، وتعذر عليه ممارسة المحاماه باللغة الفرنسية وإذا أراد أن يعمل محاميا أمام المحاكم الوطنية كان عليه استئناف الدراسة لنوال شهادة المعادلة فى القانون . ناهيك عما يتطلبه العمل فى سلك المحاماه من جهد متواصل وعناء طويل لكى يستقر له المكان المرموق .

ولما كان من أسرة ذات ثراء فلم يكن مضطرا للعمل فى المحاماه أمام المحاكم الوطنية .

كل هذه الظروف مجتمعه أدت إلى الإلتحاق بالعمل فى القصر الملكى فى ٢ / ٤ / ١٩٤٩ والعمل فى العهد الملكى والجمهورى معناه التقيد بظروف القصر وتقاليده ، فيمتنع على المشتغلين به الإتصال بالجماهير وارتياد المقاهي والمشارب العامة وهذا لعهدى قيد شديد للأديب الذى يستمد مادته من الإتصال بالجماهير والإلتصاق بالمجتمعات الأدبية والثقافية والسياسية ، لذلك لم يزد انتاجه على أربعة مجموعات قصصية ورواية كبيرة وهناك ثلاث كتب أخرى معده للطبع . والقيود التى فرضت عليه وقفت حائلا دون استزادة انتاجه لأن الأديب القصاص الذى يستمد تفوقه وإتقان فنه من تشجيع الأدباء والصفوة من المشتغلين بالأدب رغم أن هذا لم يمنع أن يكون أول تشجيع له من عمه الأديب الكبير رائد القصة العربية فى الشرق العربى محمود بك تيمور حيث قدم له مجموعته الأولى التى صدرت سنة ١٩٧٠ باسم (أمومة حائرة) وهى عنوان القصة الأولى التى أطلق المؤلف اسمها على المجموعة كلها يقول محمود بك تيمور فى المقدمة :

" هذه قصة قصيرة اخترت أن أقدم لها وما أقصد بهذا التقديم مجاملة كاتبها لمكان قرأته منى بقدر ما قصدت إلى تقدير ما فيها من قرابة الفن وهى أعز وأبقى ، وليس غيرها أولى بالمجاملة والأيثار لقد استرعى انتباهى من القصه أنها طليعة طيبة وما أحرانا أن نهتف لمثلها من الطلائع كى تأخذ الكفايات المبشره حظها من النماء والإزدهار ، وليست هذه القصة التى تنطوى على أحداث فخام وشخصيات معقدة ونهايات مثيره ، ولكن قيمتها تتركز فى لمستها الإنسانية الصادقة وفى منحاها الطبيعى الهين المألوف الذي سارت فيه بدءا وختاما (ثم أخذ فى تحليل القصة وإظهار مواقع البراعة والحبكة فيها) وختم تقديمه قائلا :

والقصة فيها الواقع من حقائق الحياة ومنازع النفس فى أسلوب يؤثر الجمال والتأنق لفظا وعبارة وكأنما الكاتب يعنى قصيدة أو يعزف لحنا وتحوى هذه المجموعة أقاصيص تدور حول بعض القضايا الإجتماعية والنفسية المعاصرة تعرفنا على عالم الإنسان المعاصر وهو يعمل وهو

يثور وهو يحب وهو يتطلع إلى غده القادم .

مجموعة أسرار : سيرة ذاتية

هذه المجموعة تحوى تجارب ومشاهدات من حياة المؤلف أغدق عليها من فنه الساحر وخياله المتوثب ، ما جعلها قصصا تمور [1] بالحياة ، تثير شوق القارىء وتستحوذ على تفكيره ، طيلة القراءة ، يظل مشدودا بها حتى ينتهى .

مجموعة أعترف إليك : صدرت عام ١٩٧٠

ومجموعة ثلاث زهرات التى صدرت فى عام ١٩٧٣ .

نجد أنه تعرض فيها جميعا لأصول وقواعد (فن كتابة القصص القصيرة) من حيث الوحدة الفنية – وعنايته برسم شخصيات هذه القصص ، واهتمامه بالتحليل النفسى . بحيث ظهرت عناصر القصة فى كل هذه المجموعات .. متماسكة البنيان ... مرسومة المعنى ... والهدف والمغزى ، ومنها كل عناصر التشويق ... الذى يستحوذ مع القارىء فى صورة أخاذة ، تدفعه لمتابعة القراءة فى نشوة واستمتاع .

خصائص فنه القصصى

أن مجموعاته القصصية تشعرك وأنت تقرأها بالطابع المصرى فى صيغة الوقائع وتحليلها وفى العواطف التى نمليها وفى الأسلوب الذى ينتظمها .

فالأسلوب مصرى تظهر فيه بساطة الحياة المصرية ووضوحها وانفساحها وشدة ضيائها وهو أسلوب بسيط كل البساطة سليم فى بساطته واضح ولا تعقيد ولا أبهام فيه منبسط يتناول تحليل الوقائع والعواطف تحليلا سلسا خاليا من كل عنف تظهر فى ضوءه دقائق الحياة

---

(١) تمور : مكتظة .

البسيطة والصغيرة بنفس الوضوح والهدوء الذى يهز قلبك حتى تنتهى إلى عقده القصة وحين تنحل هذه العقده أمامك فى مأساة فاجعه أو حب هزيم أو وفاة أشد من الحب قسوة .

وبساطة أسلوب هذه القصص وإنبساطه ووضوحه يتفق كل الإتفاق والوقائع التى يجعل منها المؤلف قوام كل واحدة من أقاصيصه ، فكلها وقائع عادية تواقع الحياة التى تراها أعيننا كل يوم . لا تعمل فيها ولا تلفيق أمور مما يندر فى هذه الدنيا ولا فواجع قاسية تجىء أثرا لعواطف عاصفة بل هى الحياة كما تراها أنت وأراها أنا وذكريات ما فى الحياة كما يذكرها الناس جميعا وهى لذلك تصل بجمهرة الناس من مختلف الطبقات فى حياتهم العاديه وليت الأسرار الغامضة التى تنشىء الخيال ، وليست الحالات النفسية المريضة مما يحلو لبعض كتاب الغرب أن يجعلوه فى هذا الجيل موضع بحثهم ونظرهم .

ويلاحظ أيضا أن الكاتب على إلمام كبير باللغة العربية فأسلوبه متقدم وعباراته سلسة وألفاظه عذبة تعبر عن أفكاره بوضوح لولا أن بعض قصصه فيها كثير من الأطناب فهو يسجل المعنى الواحد بعديد من العبارات لكى يظهر ثراءه اللغوى .

وفى قصة ثلاث زهرات من المجوعة القصصية التى بهذا الاسم تهزك أحداثها هزا ، فهى تمثل قصة درامية مؤثرة عن ولد تعذب بإفتراق أمه عن والده وكيف تمنى أن يراها وينعم برؤياها كما تخيلها عن صورة لها فى البيت ولكن القدر كان يخبىء له مأساة دامية فبدلا من أن يستقبلها وهى عائدة من أوربا إنسانة حية ترزق ليطوقها بذراعه فى شوق ولهفه ، إذ إنه يفاجأ بأن القادم على ظهر الطائرة جثمانا محمولا فى تابوت !!

أما مجموعته القصصية (أسرار) فإن أبرز ما فيها قصته (إعجاز الحب) التى يقدمها إلى زوجته بقوله (إلى زوجتى الهامى ... آية اعتراف) ، وهى السيدة سميحة احسان . وهو يعترف فى هذه القصة ، بأنهما زوجان متحابان ، هو عالم آثار وهى فتاة جامعية .. أحبها ... أحبته على الرغم من فارق السن بينهما .

وفى روايته الطويلة زورق الأحلام يعالج المؤلف موضوعا كاملا ، زاخرا بحياة تامة واحدة

... أو أكثر ، فلا يفرغ القارئ منها إلاّ وقد ألَمَّ بحياة أبطالها فى مداخلها المختلفة وتعالج الرواية ... رؤية فلسفية لتفكير بعض الأشخاص ... ومفارقات فكهة تربط ما بين الأحداث الدرامية .. مما يجعل الرواية متماسكة البنيان .

إنتاجه الأدبى :

١) القلب الحائر (قصة طويلة) صدرت عام ١٩٣٦ .

٢) أعترف لك مجموعة قصصية صدرت عام ١٩٦٩ - سلسلة اقرأ عدد رقم ٣١٥ .

٣) أمومة حائرة مجموعة قصصية صدرت عام ١٩٧٠ .

٤) ثلاث زهرات مجموعة قصصية صدرت عام ١٩٧٣ .

٥) أسرار مجموعة قصصية صدرت عام ١٩٨٢ وهى سيرة ذاتية .

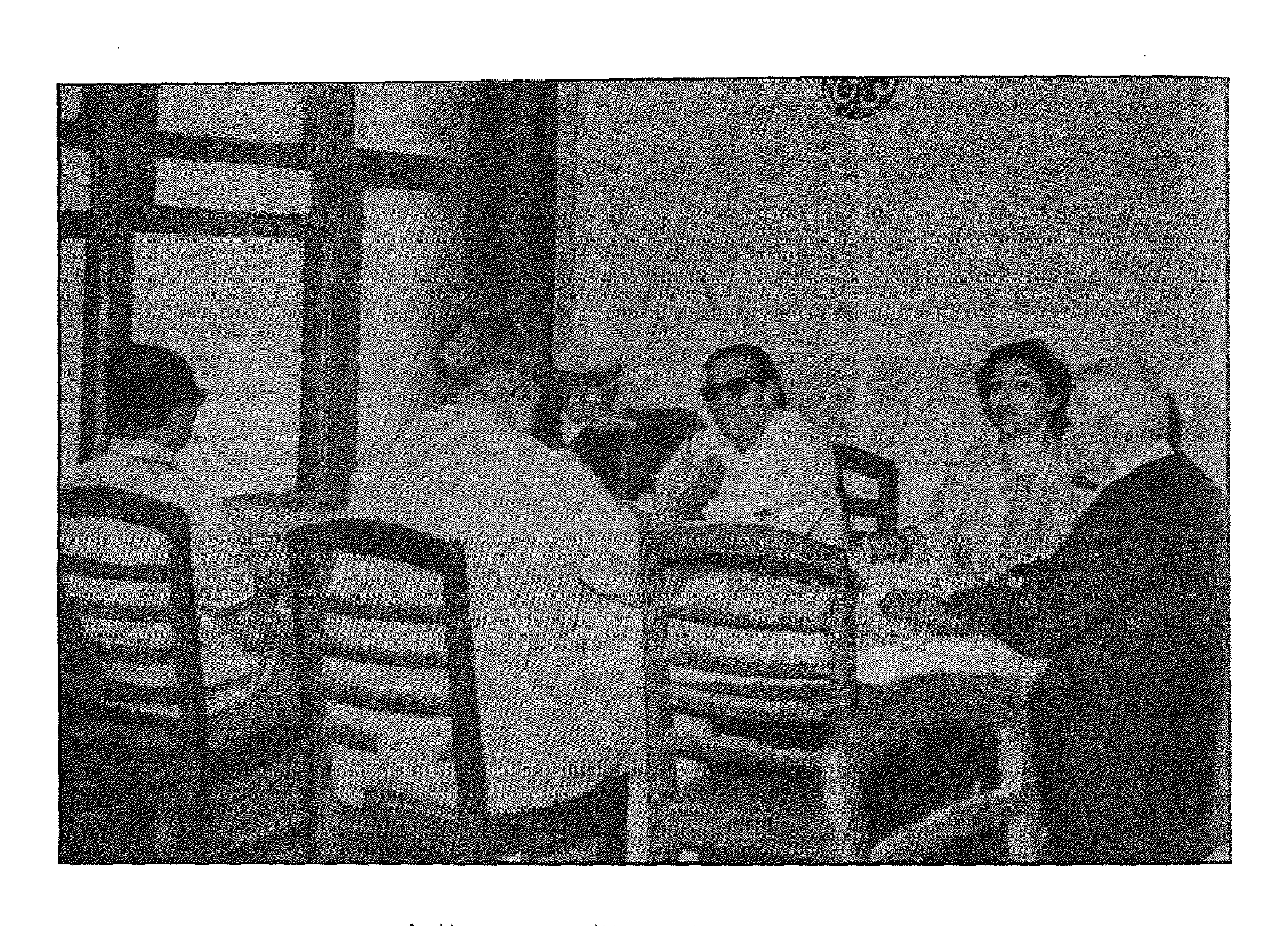
٦) صلوات الحب ديوان من الشعر المنثور صدر فى ١٩٨١ وهو الديوان الأول .

٧) وحى الخاطر ديوان شعر صدر فى عام ١٩٩١ وهو الديوان الثانى .

٨) زورق الأحلام قصة طويلة ظهرت ١٩٩٢ .

٩) ذخيرة الكاتب وهو كتاب لغوى للمعانى - تحت الطبع .





المؤلف فى ندوة الكاتب الكبير توفيق الحكيم
بالأسكندرية مع الصحفى الكبير فكرى اباظة
ونجيب محفوظ وثروت اباظة عام ١٩٧٨

الأسرة الأباظية

مقدمة :

تمتاز الأسرة الأباظية بولوع عدد كبير من أفرادها بالأدب والشعر ، وليس أدل على ذلك من حرصهم على إقتناء الكتب الأدبية ودواوين الشعر يثرون بها مكتباتهم ، وبعضهم ينظم الشعر ولايخلو جيل من أجيالهم من كاتب أو شاعر أو راوية أو أديب .

وكان عميدهم سليمان باشا أباظه يصوغ الشعر السهل ويحوك النثر الجزل ويكتب الرسائل على النسق البديعي . فلا يفوته كاتب فى عصره . وكان حافظ ابراهيم بك - شاعر النيل - يشيد بشعره ويذكر بيتا أثيرا بإعجابه ، جاء ضمن قصيدة له فى رثاء أخيه السيد باشا أباظـه .

ولو أن إظلام الليالى من الأسى xxx ووقع الخطوب السود ما طلع الفجر

ويقول عن هذا البيت ، وددت لو أن لى هذا البيت من الشعر بنصف ديوانى كله ، وكان يردد أيضا مع شديد الإعجاب قوله فى الفخر :

سيوف ثباتى فى قراع الشدائد xxx تجردها أيدى التجلد لا يدى

يقولون : سالمهن إن كنت ذا نُهى xxx وعزمى يقول : الحزم قمع المعاند

وقد اشتهرت العائلة الأباظية باحتضانها شاعر النيل : حافظ ابراهيم

- وطالما خف إلى ديارهم زائرا ، فحظى بالتكريم والتقدير فلا غرو فى ذلك ، فقد ورثوا الكرم الحاتمى ماجد عن ماجد ، وكم مدح بنى أباظه ، فهو الذى يمدح عميد الأسرة الأباظية فى عهد المغفور له : سليمان باشا أباظه ، ويشبه بلدته (طاهرة)

قبلة الأدباء بالبيت والقدس اذ يقول :

سليمان ذكرت الزمان وأهله xxx بعز سليمان وإقبال دنياه

تحل بحيث المجد ألقى رحاله xxx (مظاهرة) والبيت والقدس من أشباه

فبنوا أباظه أدباء وشيوخهم نقدة جهابذة فى الأدب نثرا وشعرا - نذكر منهم المغفورله اسماعيل باشا أباظه . وشيخ البرلمان القاضى الأديب جمال الدين أباظه الذى نقب فى الأدب واللغة وطرائف المفردات والتعبيرات وقد لخص حافظ ابراهيم أمجاد الأسرة الأباظية الأدبية فى هذا البيت

بنى أباظه مازالت ديارهم xxx أفق البدور وغابة للصناديد

وكان لوثيق علاقته بهم ، وشدة التصاقه بهم كأنما يحسب نفسه واحدا منهم ، فلا يحس فى ديارهم بوحشة الإغتراب . والتفوا به يكرمونه ويشيدون به ، ويتغنون بشعره ويشجعونه فكثر فيهم شعره ، لذلك حين غاب عن الدكتور طه حسين ان للأسرة الأباظية تأثير فى شاعريته مما جعله يقول - أى طه حسين :

" إن شعره فى رثاء أصدقاءه الأباظيين متكلف لا يدل على حزن صادق ولا لوعة ، وإنما دفع إليه واجب المجاملة ، وإنك لتحس عندما تقرأه كأنك تقرأ شعر طالب وضع أمامه نماذج من الشعر القديم وأراد محاكاتها . فأخذ معانى القدماء وذهب مذهبهم فى الغلو السقيم ."

ويشبه الدكتور طه حسين تعزيته للأباظيين بتعزيته للإنجليز فى فقد ملكتهم وقد رد عليه المرحوم دسوقى ابراهيم باشا أباظه بقوله :

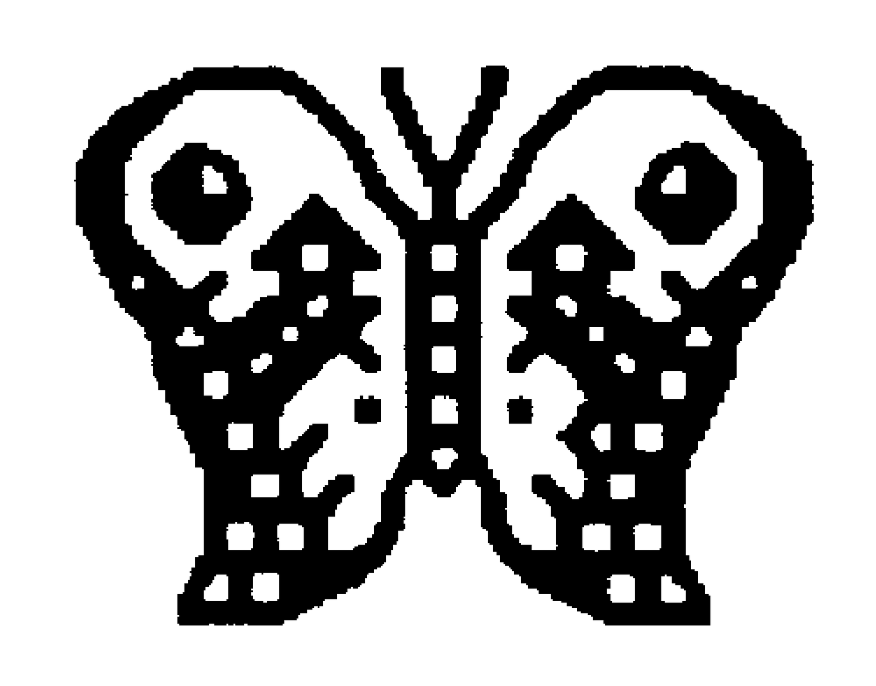
" ولست أدرى لما يكون الأمر كذلك ؟ وقد حدثت القراء بنشأة ما كان بيننا من صلة ، ولما يشبهنا الدكتور طه حسين بالإنجليز ، غفر الله له - وأجدادنا عرب علموا الناس الوطنية والثبات ، ولم نعبد اليوم ما كنا نحرمه بالأمس ، ولاحرمنا اليوم ما كنا نعبد من دون الله ولا اتخذنا السياسه تجارة " .

أما علاقات الأسرة الأباظية بأمير الشعراء أحمد شوقى فكانت ظاهرة بارزة أمام المجتمع الذى عاصره . فمن الذين سمعوا لشعر شوقى لا يذكر الكاتب الكبير والخطيب الذى هز المنابر وبهر الألوف من السامعين فكرى باشا أباظة ، الذى كان يكل اليه الشاعر إنشاد قصائده ،

فتحوز الرضا والتقدير من كافة الأنحاء والأنداء ومعلوم لنا ان إلقاء القصيدة لا ينفصل عن أدائها ، وكلما أجاد القارئ للقصيدة وانفعل بما جاء بها من معانى كلما كانت قراءته ذات تأثير خطير فى الجماهير .

وقد أشاد أمير الشعراء أحمد شوقى بك بمناقب فكرى أباظه الأدبية وأخلاقه فى قصيدة عصماء سترد حين يجيء دور الكلام عنه فى مكان آخر من هذا الكتاب .

وللأسرة الأباظية باع طويل فى مهمة توثيق العلاقات المصرية السودانية فى العهود الماضية ، ومن المشهورين فى ذلك ، فؤاد أباظة باشا رئيس الجمعية الزراعية الملكية سابقا – عبد الله بك أباظه – فكرى باشا أباظه وشوقى أباظه باشا .



فكرى أباظه باشا
الصحفى الكبير
١٨٩٥ - ١٩٧٧

مولده :

ولد فى قرية كفر أبو شحاته - التابعة لمركز منيا القمح - عام ١٨٩٥ وكان والده المرحوم / حسين بك أباظه - من خريجى الأزهر ، وهو أحد أبناء السيد باشا أباظه - لذلك كان من المقرر أن يستكمل فكرى تعليمه بعد انتهاء المرحلة الإبتدائية بالأزهر ، أسوة بوالده ، لولا أن والده استدرك الأمر ففضل إرساله مع شقيقه فؤاد وعثمان لتلقى العلم بمدارس القاهرة . فألحقه بالمدرسة السعيدية وحين أتم دراسته الثانوية ألحقه بمدرسة الحقوق الخديوية ، وقد اشتهر فى فترة تلقيه العلم بالحقوق بمواقفه الوطنية - حتى انه اتهم بامتناعه عن استقبال السلطان حسين كامل حين زيارته للمدرسة عام ١٩١٥ - وتحريض الطلبة الآخرين على ذلك احتجاجا على إعلان الحماية البريطانية ، ومهادنة السلطان للإحتلال البريطانى آنئذ وتقرر فصله من المدرسة إلى أن عفى عنه السلطان فى مارس من نفس السنة .

اشتغل بعد تخرجه فى مدرسة الحقوق بالمحاماة . وافتتح له مكتبا بأسيوط ، وكان محاميا نابغا - اشتهر بصولاته وجولاته . فى فن المرافعات داخل المحاكم وصدرت لموكليه أحكام تعتبر نصرا له . كواحد من طليعة المحامين فى مصر .

ولما اشتعلت الثورة المصرية عام ١٩١٩ اشترك فيها فكرى أباظة خطيبا وصحفيا وقائدا للثوار - وكان وقتئذ بأسيوط ، فخطب فى أكبر كنائسها ، وألف نشيدا قوميا تغنى به المسلمون والأقباط ، وطلبت السلطات البريطانية القبض عليه ولكنه تنكر فى زى تاجر مواشى ، وسافر فى (قطار لمهمات القوات المحتلة) ثم انتقل من مكتبه إلى الزقازيق ثم خاتمة المطاف افتتح

مكتبة بالقاهرة فى شارع شريف بعمارة الايموبيليا ، ومن أوائل إنتاجه الأدبى الكبير (الضاحك الباكى) ويعتبر أول مؤلف عن أدب الثورة وقد ترجم على صفحاته أدق أحاسيسه الوطنية والعاطفية وقد طبع هذا الكتاب أكثر من مرة ونَفَدَ من السوق فى كل مرة .

نشاطه الصحفى :

بدأ العمل فى الصحافة فى يناير سنة ١٩١٩ - ومن أشهر مقالاته السياسية فى عام الثورة ما كتبه بجريدة الأهرام (كتيب صغير) فى ٩ / ١١ / ١٩١٩ - مهاجما فيه طابور الخيانة الذى كان يحضر الأذهان للحكم الذاتى وهاجم الإحتلال الإنجليزى والمندوب السامى فى مجموعة مقالات نارية .

ويعتبر فكرى أباظة من رواد الصحافة الوطنية الذى كان يتغنى باسمه باعة الصحف فى العشرينيات ، وهم يعلنون عن مقالاته النارية ضد الإحتلال الإنجليزى .

وما من قضية عربية إلاّ وكان له فيها موقف دفاع عن الحق العربى والمصير العربى وما دفاعه عن شعب فلسطين ببعيد ، وظل فكرى أباظة يناضل بالكلمة الشريفة والنقد البناء واللسان العف ولم يسقط القلم من يده إلاّ فى اليوم الذى لاقى فيه ربه راضيا مرضيا ، ففى مجلة المصور الصادرة صباح ٢٢ / ٢ / ١٩٧٩ مقال بقلم فكرى أباظة - ولم يكن يعرف رحمه الله أن هذا العدد سيصل إلى القراء بعد أن يكون قد أصبح ذكرى فى ضمير شعبه وأمته .

وقد أرسى قواعد النقابة الصحفية ، وله الفضل فى إنشاء دار نقابة الصحفيين بشارع عبد الخالق ثروت ، وقد غذى هذه النقابة بتأييده وتعضيده ودافع عن مصالح الصحفيين المادية والأدبية بكل وسيلة ممكنة .

وصف الكاتب الكبير داود بركات رئيس تحرير الأهرام فى العشرينيات مقالات فكرى أباظة

قائلا : " إنها ضرب من الأدب والإنشاء سماه العرب طرفه ، وعرفه مولانا صاحب القاموس بالعجيب والغريب المستحسن ."

ويقول الأديب الكبير عبد العزيز البشرى :

" مقالات فكرى أباظة ، وكم شق باعة الصحف حناجرهم باسم فكرى أباظة ولكم تظرف الناس وتنادوا بحديث فكرى أباظة ... ألحق وأنف حقدى حقدى راغم ، أن هذا الفتى قد استحال كاتبا كبيرا ، لقد أصبح فكرى أباظة على شباب السن شيئا مهما فى مصر ، وبعبارة أوضح شيئا لايستغنى عنه الأدب ، ولا تستغنى عنه اللغة . ولا تستغنى عنه السياسة أيضا . فكرى أباظة إذا هو معنى من معانى الحركة وعنصر من عناصر الحياة فى هذا البلد ، فهو لازم كالرمل للنازحين إلى الإسكندرية فى الصيف و (الكافيه ريش) [1] على الأقل للثاوين بالقاهرة وهو لازم لزوم الفن الجميل يستروح به كل بلد وفى كل جيل . "

ويجيب الأستاذ عبد العزيز البشرى على سؤال ، لماذا يحب الناس فكرى أباظة ؟ فيقول : " إنهم يحبونك للفن الجميل وحده ، إنهم يؤثرونك لمحض الموهبة التى آثرك الله بها على الناس جميعا ، وهم يحبون مقالك كما يحبون أم كلثوم – وما كانت أم كلثوم يوما ما (سعدية مخلصة) ولاسمع عنها أنها من دعاة الهزيمة ... إنك يا فكرى مصور فظيع أسلمك مفاتيح القلوب " .

وقد صاغ عنه أمير الشعراء أحمد شوقى بك قصيدة عصماء رائعة معددا فيها مناقبه مذيعا محاسنه ، وتعد قصيدة نادرة فى ديوان شوقى لمدح أحد كتاب مصر المشهورين .

إبنى أباظه إن رافع بينكم xxx جعل المكارم فيه والإحسانا

فكرى أذقت القوم عفو بلاغة xxx وزففت محضا للنهى ولبابا

من كل فاكهة وكل فكاهة xxx هيأت نقلا واتخذت شرابا

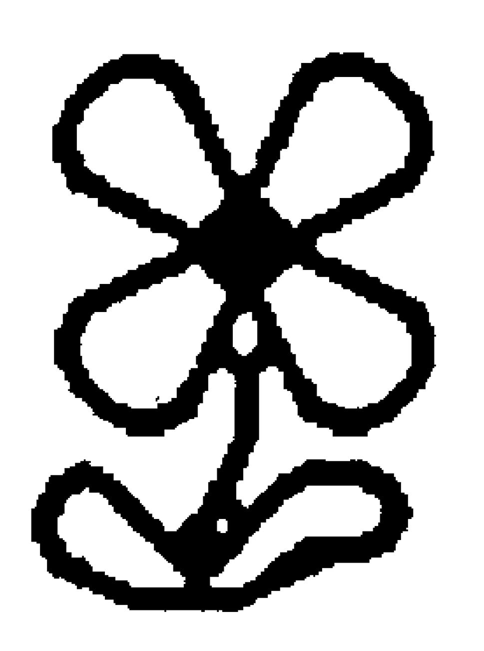
---

(١) مقهى الأدباء والموسيقيين والمثقفين فى شارع سليمان باشا (طلعت حرب حاليا)

مــازلـت تــنــشـر كــل طيبة الشذى	xxx	حـتـى جـمـعـت مـن الـزهــور كـتـابـا
فــأتــى ألــذ مـــن الـربـيــع وعــهــده	xxx	فـصـلا وأمـــتـع فـــى الـبـدائـع بـــابـا
تلك الـرسـائل لـو شكـوت بها الـهوى	xxx	عـطـفــت عـلـى أهـل الـهـوى الأحـبـابا
عـاتـبـت فـيــهـا الــحـادثـات بـحــكـمة	xxx	حــتــى لـكــدت تـلـيـنـهـن عـتـابـا
ولو استطعت شفيت من أضغانـها	xxx	شـيــع الـرجــال بمصر والأحـزابـا
ونــراه أرفـــع أن يــقـــــول دنية	xxx	يـــوم الـخـصـومـة أو يـخـط سـبـابـا
لا يـخــدم الأمم الرجـال إذا هـموا	xxx	لم يـخـدمـوا الأخــلاقــا والآدابـــا

أحمد شوقى

ولقد كانت العلاقات وثيقة بين أمير الشعراء والخطيب الذى هز المنابر وسحر الاسماع فكرى أباظة . لان الأول رغم نبوغه الشعرى لم يكن يملك موهبة الالقاء ليظهر بها شعره ، وليدعم بها أثره ، حين يلقى شعره على الجماهير فكان يستعين بالخطيب الشاب فكرى أباظة ليلقى قصائده ، فيهز بها النفوس ويحرك بها الأفئدة ، ويترجم معانيها الحافلة ومراميها الغالية بصوته الجهورى ونبراته المعبرة . فتبلغ قصائد شوقى أهدافها ، وتحقق آثارها وتبوىء صاحبها مكانه المأمول ومركزه المشمول فى إمارة الشعر وصدارة البيان .



فكرى أباظه نقيبا للصحفيين

تردد فى المراثى التى نشرت وقت وفاته بأنه النقيب الأول فى تاريخ نقابة الصحفيين ولكن الحقيقة انه كان النقيب الثالث - مع أنه كان أيضا النقابى الأول - وبين هذين المعنيين يتلخص تاريخ المرحلة الأولى لنقابة الصحفيين .

كان النقابى الأول لأنه الصحفى الكبير الذى مكنت له عضويته فى مجلس النواب السابق أن يدافع عن قيام القانون الأول لنقابة الصحفيين عام ١٩٤١ - ولولا هذا الدفاع ما صدر هذا القانون . وانعقد المجلس المنتخب الأول للنقابة فى جلسته الأولى لانتخاب النقيب وأعضاء مكتب المجلس ، وكان المرحوم محمود أبو الفتح صاحب جريدة المصرى هو المرشح لمنصب النقيب . ولكن كان صاحب أعلى الأصوات فى انتخابات المجلس هو فكرى أباظة ، فقد صاح محمود أبو الفتح قبل التصويت قائلا لفكرى : ان النقيب بحكم الأصوات هو أنت ... فرد فكرى (لكننى لا أقبل أن نغير ما اتفقنا عليه من قبل) .

هكذا كان فكرى أباظة النقابى الأول وليس النقيب الأول . وللظروف السياسية كان النقيب الثانى هو المرحوم عبد القادر حمزه - صاحب جريدة البلاغ .

وفى ديسمبر عام ١٩٤٤ انتخب فكرى أباظة نقيبا للصحفين .

وقد كان مجلس النقابة يلتقى بالمسئولين فى دور الحكومة والقصر ، وعلى رأس المجلس نقيب غير فكرى أباظة ، ومع ذلك كان المسئولون الكبار يخاطبون فكرى أباظة فى هذه اللقاءات باعتباره النقيب - وحاول فكرى أباظة تصحيح هذه الواقعة لرئيس الوزراء فى إحدى اللقاءات - فرد عليه الرئيس المذكور - هذا لا يغير فى الأمر شيئا طالما نحن متصورون أنك النقيب .

ولا غرو فى ذلك - فقد كان فكرى أباظة فى السنة الأولى للنقابة يمثل نقابة الصحفيين فى لجنة الجدول التى كانت تنعقد بدار محكمة الإستئناف - برئاسة رئيس المحكمة - وكم أنقذ مصير مئات من الصحفيين القدماء الذين لا تنطبق عليهم المواصفات الخاصة (من الشهرة

والخبرة والمؤهلات العلميـة) لقبولهم أعضـاء فى النقابة . وكـان من المقرر رفضـهم من جدول النقابة ولكنه أقنع رئيس لجنة الجدول بالعدول عن قرار الرفض .

كذلك كان له الفضل فى الدفاع عن قانون معاشات الصحفيين فى البرلمان حيث أن قانون النقـابة الأول الصـادر فى ٢١ / ٣ / ١٩٤١ لا ينص على أن للصـحـفـيين مـعـاشـات . اكـتـفـاء بالنص على أن لهم (صندوق ادخار) . فلما لوحظ ان صندوق الادخار لا يحقق التأمين سعت النقابة لإصدار قانون المعاشات .

كما ان لفكرى أباظة الفضل فى إنجاز هذا البناء الكبير لنقابة الصحفيين الذى تكلف مبلغ اربعين الف جنيه (اسعار ١٩٤٤) . وقصة ذلك أن الحكومة منحت الأرض للنقابة . ولم تمنح النقـابة إلاّ عشـرة آلاف جنيـه فقط إعانة لبناء المبنى - فـمـا كـان من فكرى أباظة إلاّ أن أخذ صورة فوتوغرافية بالقدر الذى تم بناؤه - وعرضها على رئيس الوزراء وقال له :

(هل يرضيك ألاّ نتم هذا البناء) ، ومـازال يقـوم بهـذه الحـركة البـارعـة حـتى تم البناء كله وافـتـتـحت الدار رسـمـيـا عـام ١٩٤٩ فى حـفلة فـخـمـة حـضـرها الوزراء والكبـراء ورجـال الدين الإسلامى و المسيحى .

وكان فكرى أباظة أول نقيب صحفيين يمنح رتبة الباشوية بحكم مركزه كنقيب للصحفيين .

الثبات على المبدأ :

مع تعدد مناقب فكرى أباظة فإن منقبة هامة تفوقت على باقى مناقبه وهو ثباته على المبدأ السياسي الذى اعتنقه منذ العشرينيات .

وهو مبدأ الحزب الوطنى (**لا مفاوضة إلاّ بعد الجلاء**) ، والاستـقـلال التـام أو الموت الزؤام ، (مصـر والسـودان وحـدة لا تنفصم عراها) والمناداة بالديمقراطية والدستور . وظل مخلصا للحزب الوطنى ولذكرى مصطفى كامل الذى ربى أجيالا على الصوفية السياسية التى

كانت من مبادىء الحزب الوطنى .

وعقب الإحتفال بإقامة تمثال مصطفى كامل سنة ١٩٤٠ فى الميدان المسمى باسمه اقترح على الحزب تنظيم مباراة أدبية بين الشباب المصريين ممن لا يزيد عمرهم عن ثلاثين عاما موضوعها (جهود مصطفى كامل فى نواحى الإنشاء القومى وخاصة فى الإجتماع والإقتصاد والتعليم وعلاقة ذلك بالدعوى القومية) وكان عضو لجنة التحكيم فى هذه المباراة الوطنية مع المرحوم انطون الجميل باشا وعبد الرحمن الرافعي بك ومحمود العمرى .

وقد أقام الحزب الوطنى حفلة شائقة فى صالة على الدله) بشارع عبد الخالق ثروت فى ١١ فبراير ١٩٤١ حيث وزع الجوائز الممنوحة من المرحوم محمد محمود جلال بك نائب بنى مزار - وعضو اللجنة الإدارية بالحزب الوطنى - وحضر الحفل رهط كبير من عظماء الدولة منهم صاحب مقام رفيع واصحاب معالى وسعادة . وكان الفائزون فى المباراة : (نجيب توفيق (المؤلف) وعلى منصور - خالد السيد - محمد السعيد) [١] .

عمله فى مجلة المصور :

فى أكتوبر ١٩٢٤ آثر اميل وشكرى زيدان أصحاب مجلة الهلال أن يكون للهلال شقيق أصغر - فأصدرا المصور كمجلة سياسية تطبع بالروتوغرافور - وكان من أبرز كتابها منذ العدد الأول فكرى أباظة - ثم إشتغل إميل زيدان برئاسة التحرير إلى أن وقع الإختيار على فكرى أباظة لرئاسة تحرير المصور . وكان ذلك إبتداء من العدد رقم ٤٧١ الصادر فى ٢٠ / ١٠ / ١٩٣٣ وظل رئيسا للتحرير وصاحب المقال الرئيسى فى المصور حتى وافاه الأجل

---

(١) كتاب مصطفى كامل : باعث الحركة الوطنية لعبد الرحمن الرافعي .

المحتوم يوم الخميس ١٥ فبراير ١٩٧٧ . وفى مجلة المصور مقال عن العدد المقرر صدوره يوم الجمعة ١٦ فبراير ١٩٧٩ .

أثره الإجتماعى فى مجلة المصور :

كانت مجلة المصور منبره الإجتماعى الذى تحدث منه للشعب - محاولا دراسة مشاكله الإجتماعية . ففى أول مقال له بتاريخ ٢٦ ديسمبر ١٩٢٤ أى بعد شهرين من صدوره) كان بعنوان (هل أتزوج) وفيه يعرض حسنات الزواج ومزاياه من ناحية ، ومتاعب الزواج ومشاكله من ناحية أخرى .

(ولقد كان فكرى أباظة فى أخريات أيامه نادما لأنه لم يتزوج ، وكان ينصح كل تلاميذه بالزواج المبكر حتى لا يكون مصيرهم كمصيره وحتى لا يتعبوا فى الحياة كما تعب هو) ؟ ثم يعلن فى ختام المقال تردده بين الإقبال على الزواج وبين الإحجام عنه - ثم يقول فى النهاية اذكروا يا زملائى غير المتزوجين - أن هناك وطنا وأن هناك شرعا وأن الشرع جعل الزواج أساس العمران . وأن الوطن إعتماده على كثرة النسل فاعتبروا الزواج - على الأقل - حكمة شرعية أو نصيحة وطنية وأقدموا عليه وتقبلوا حكم القضاء والقدر وأطلب لكم ولى الرحمة .

وفى ٢ يناير ١٩٢٥ يتحدث عن شباب اليوم (شباب عام ١٩٢٥) ويذكر فكرى أباظة بداية مقاله ، انه عندما كان تلميذا فى المدارس الإبتدائية والثانوية كان زملاؤه فى غاية التواضع والمسكنه : مصروف ضئيل ، ملابس جاهزة ، كنا لا نعرف البارات ولا التياترات - أما اليوم ، فرحمه الله على ما مضى - المصروف مصروف الأغنياء والوارثين - الملابس تفصيل أحدث بيوت الأزياء والتفصيل ، البارات مكان المقابلات ، (التياترات) أبونيه مستمر . كان العرقسوس والليمون والخروب مشروبنا العادى . أما اليوم الوسكى والبيرة والكونياك مشروب الجميع ويقول فكرى أباظة فى عام ١٩٢٥ - فى المنزل دار الزمان على الآباء وأولياء الأمور فهدم عروشهم

وهشم تيجانهم وقضى على زعامتهم ، واحتل الأبناء مكان الآباء - هذا نوع من أنواع البلشفية العالمية ، ولست أبالغ إذا قلت إن فى منازلنا ثورة أهلية جرفت السعادة العائلية والحقوق الأبوية. على أن هذه مسألة داخلية تسوى بين الأب وابنه . أما المشكلة الحقيقية فهى أن فى البلد شركة مفاسد - جديدة مؤلفة من (البوكر) والكوكايين وبنات الهوى ، والشباب مع الأسف الشديد من أكبر المساهمين فى هذه الشركة ، فلئن صح أننا قطعنا شوطا بعيدا فى حياتنا السياسية فلا جدال فى أننا قطعنا شوطا أبعد ولكن إلى الوراء فى حياتنا الإجتماعية ... والشباب عماد المستقبل - فله ان يختار له ولأمته بين الموت وبين الحياة ؟

ويصور فكرى أباظة بأسلوبه الرشيق الانتخابات فى مصر ... فى ١٦ يناير ١٩٢٥ يقول :

دقت الطبول ، أطلقت القنابل ، بدأت حرب الانتخابات .. ارتفعت أثمان (الديوك) والفراخ والحمام . الآن والآن فقط ينسحب (حاتم طى) من مكانه فى عالم الكرم . ويحتله كل مرشح من أحزاب الشمال أو أحزاب اليمين .

ثم يقول : الانتخابات فن قائم بذاته له أصول وله قواعد ، أما قاعدته الأساسية فهى المال ، مهما قلت عن الوطنية ومهما تكلمت عن الإخلاص ، ومهما ذكرت عن الجاه فلابد من الصرف ، لابد من المال ...

ثم يقول للانتخابات وعود وللانتخابات أكاذيب ، الانتخابات أكبر مظهر لفوضى الأخلاق ... ويهنىء فكرى أباظة الجنس اللطيف لحرمانه من حق عضوية البرلمان . حتى لا يقاس ما يقاسيه المرشحون للانتخابات البرلمانية .

ويكتب فكرى أباظه فى ٣٠ يناير ١٩٢٥ - فى المصور أيضا - موقف عن مونت كارلو نمرة ٢ ، مجمل المقال أن أحد الأمراء المصريين وبعض الأغنياء الإنجليز قد أسسوا شركة غايتها - جعل هليوبوليس بالاس أوتيل - ناديا للعب القمار . يزاحم - مونت كارلو نفسها وأن الحكومة المصرية لا تعارض فى هذا المشروع الذى يفيد مصر فى ورداتها من ضريبة اللعب - فيكون سندا لاستجلاب الكثيرين من السياح إلى مصر - ويقول فكرى أباظه إنه سيكتب عن

هذا الموضوع لأنه من هواة البوكر بشرط أن تكون الفيشة بمليم - ولأن الأغلبية الساحقة من أصدقائه - السعديست أى السعديين والعدليست - أى أنصار عدلى باشا - والإتحاديست أعضاء حزب الإتحاد والإشتراكيست جميعهم بوكاريست - وينتهز فكرى أباظة فرصة حديثه عن البوكر والقمار ... و .... و ... ليهاجم الإحتلال الإنجليزى فيقول : الإنجليز سامحهم الله لا يكتفون بإحتلال الأرض والسماء فى مصر وإنما يريدون أيضا أن يحتلوا الجيوب : هم لا يكتفون باستعبادنا بوساطة السيوف والرماح والرصاص وانما يريدون استعبادنا ايضا (بالكوتشينة) وأقسم ان سلاح الكوتشينة أمضى وأحد من سلاح السيوف والرماح والرصاص.

ثم يقول فى نهاية مقاله : لئن شيد النادى الخطير فى هليوبوليس أو حلوان فاعلموا أيها المصريون أن بناءه العتيد أخطر عليكم وعلى مستقبل أبنائكم وأحفادكم من قشلاقات قصر النيل والقلعة والعباسية ومن معسكرات الإسماعيلية والقنطرة وأبوصربر .

وفى ٦ فبراير ١٩٢٥ - يكتب عن الزواج التجارى : - كما أن هناك زواجا عاطفيا ، وكما أن هناك زواجا سياسيا . فهناك أيضا زواج تجارى له عناصر خاصة رأسماله ، مصلحة ، بضاعة، نفاق ، أرباح ، خسائر ، ويعطى فكرى أباظة صورا رائعة من هذا الزواج ، زواج الفتاة الرشيقة الفقيرة من رجل جشع خطير غير فقير ، وزواج شاب فقير رشيق من سيدة جليلة خطيرة غير فقيرة : - كما يتحدث عن نهايات هذا الزواج ... الطلاق ... الوفاة ... وفاة الضحية

ثم يقول : - يجب أن يكون الزواج وليد العاطفة أو وليد التجانس - فإن كان معظم رأسماله المصلحة فاعلموا أن بضاعته نفاق وأن أرباحه خسائر .

وفى ٢٠ فبراير ١٩٢٥ يكتب عن عروس (اللوتارية) وفيه يبين مأساة الذين يتزوجون بزوجات لم يروهن قبل الخطوبة . لأن ولاة الأمور - أصحاب الشأن لا يسمحون برؤية الخطيبة أو العروس الزوجة الشريكة طول الحياة حتى الممات ... ويقول : يريد أولئك المتأخرون (أن يسحب الخطيب على خطيبته) كما يحصل السحب على أوراق اليناصيب . وأنت وبختك .

ويندد بهذه الأمور الشائعة فى عهده . لأن لها أوخم العواقب على الزواج – ويكتب فى ٢٧ فبراير ١٩٢٥ عن الواسطة .

يقول عن الدبلوم : (بله واشرب ميته) الدكتوراه (إرميها على الأرض) – الأهم الواسطة؟ الوسائط فوق الشهادات – ليس هذا عند الإلتحاق بالوظائف فقط بل عند الترقى – عند النقل – عند المكافأة – عند توزيع الواجبات وعند توزيع العقوبات .

ويقول : – فى النهاية – الوساطة فى نظرى بنت الرشوة ...(١)

تشجع كل عزيز النفس – ناضج الكرامة – قوى الشخصية أن يتذلل ، أن يتبدل أن يضعف . أن يعتبر حسن القيام بالواجب فى الدرجة الثانية . أن يصرف الوقت كله فى البحث عن الباب الموصل لنعيم الدنيا ، وحبه لمستقبل الوساطة .

يبذر فى الدواوين بذور الثورة على النظام . مادام نظام الترقى والتقدير مفقودا . ومتى شبت الثورة فى الدواوين فقل على مصالح الناس السلام . وفى ١٣ مارس ١٩٢٥ يتحدث عن عالم الطرب . وينتقد الأغانى المبتذلة ، ذات الألفاظ – الركيكة والمعانى السقيمة – ويعدد أمثلة من هذه الأغانى ، متحدثا عن آثارها السيئة فى الأسماع والعقول . ثم ينتقد عملية إصلاح العود والقانون فى بداية الحفلات . وكيف أن الموسيقيين فيه يأخذون وقتا على حساب المستمعين ونوقهم وراحتهم النفسية . ثم ينتقد أسلوب الجمهور أثناء الحفلات الموسيقية والغنائية والمسرحية من عدم الإلتزام بالنظام والصمت المهذب والإصغاء لكل ما يحدث على خشبة المسرح ، فيقسم الجمهور إلى أنماط سلوكية مختلفة فيها المهذب وفيها غير المهذب ... الخ .

---

(١) الوساطة وليست الواسطة فى اللغة العربية السليمة . راجع كتاب تذكرة الكاتب : أسعد خليل داغر مع أحمد تيمور باشا – دار العرب للبستانى ١٩٩٥ .

البرلمانى الممتاز

عرفت حلبات البرلمان ، النائب المعتز برأيه ، الواثق الحجة ، القوى البرهان ، والخطيب المجلى الذى طالما هز الأسماع وحرك القلوب بدفاعه المؤثر وعرضه الجذاب لمختلف القضايا الوطنية ، وكان أول عهده بالحياة البرلمانية حينما انتخب عام ١٩٢٦ نائبا عن دائرته بالشرقية (سنهوا) على مبادىء الحزب الوطنى حين قام الائتلاف الحزبى فى تلك السنة دفاعا عن الدستور .

ولقد ترك النائب فكرى أباظة ثروة سياسية وتشريعية ، ورقابية ، مرصودة على صفحات ومضابط مجلس النواب خلال أكثر من عشرين عاما .

إنه المعارض الشجاع الذى يذود عن الحق بالحجة والبرهان ، ويدافع عن قدسية الدستور وهو مع ذلك الفارس النبيل الذى لا يطعن خصومه فى الظلام وإنما يواجههم فى شجاعة الواثق المتمكن ، يشهر سيفه فى وجه سلطات الإحتلال ، والسراى ، وفساد السلطة التنفيذية ، كان نائبا قوميا تبنى قضايا وطنه مصر ، الذى أحبه إلى درجة العشق والتفانى ، ونبذ أعلى المناصب من أجل أن تتحرر إرادته من استعباد السلطة ، ومجاملة المسئولين على حساب قضايا الوطن ، وبذلك أرسى قاعدة المثل العليا للنائب الشجاع المتفرد على كل ما هو خطأ فى حق الشعب الذى يمثله ، ولا يلجأ للارتزاق السياسى من أجل فائدة أو مغنم شخصى ، ولا غرو فى ذلك ، إذ أنه كان ينتمى إلى حزب الأقلية ، الذى ليس له أن يحلم بالحكم أو المناصب ولو تسامح فى مبادئه أوعدل فيها ، لفتحت أمامه أبواب المناصب العاليه على مصراعيها ، ولكنه عاش نائبا أبيا كريما نبيلا ، يدافع عن حقه ويعلو صوته مندداً بالظلم ولكل عمل فيه التواء سياسى .

وفى معاركه البرلمانية كان مخاصما وليس خصما ، ومعاركا وليس باغضا ، ومحاربا وليس شانئا . وكان من أقطاب المعارضة فى البرلمان منذ عام ١٩٢٦ حتى عام ١٩٥٢ لم تفته دورة واحدة من غير أن تكون له مواقف تاريخية خالدة فيها ، تذكر وتشكر ولا تنكر ، بل هو بهذه

المواقف يعد جزءا من تاريخ مصر السياسي ومواقفه صفحات من الجهاد السياسي المصرى على مختلف ألوان الحكم فى تاريخ البلاد .

ولم يكن فكرى أباظة نائبا ممن يتسولون الخدمات من الوزراء بل كان راضيا بحاله قانعا بما رزقه الله من رزق ، ولذلك كان طويلا بقامته ، سامقا بكرامته بل متطاولا إلى رقى لا يطاوله إليه الحاكمون ، ولا يطوله ذوو السلطان والنائب السليم هو من لا يطامن [1] رأسه ويذل للسلطان فى سبيل المنافع !!

ومسألة أخرى تميز بها النائب الخالد فكرى أباظه إنه كان على مداعباته فى مقالاته وكتبه وأحاديثه الإذاعية وأسماره ، فهو جاد كل الجد فى خطاباته البرلمانية حتى أن السامع لخطبه يشك فى أن هذا المتكلم القوى الصوت ، البليغ العبارة العنيف اللهجة على الحاكمين هو فكرى أباظة ، المداعب المتلاعب بالألفاظ والعبارات فى كلمته بالأهرام أو فى المصور أو فى إذاعاته التى بلغت من خفة ظلها أن كل الناس يتركون أعمالهم ليستمعوا إليها ؟

لم يعرف النائب فكرى أباظه الحزبية العمياء ، والعصبية الهوجاء بل احترم مبادىء الحزب الوطنى القديم . لم يكن ممثلا ولا منافقا ولا متزلفا ولكنه كان مصريا قوى الصوت ، أمين الرسالة لا يخاف هضما ولا يخشى صنما ويتغنى دائما بمجد مصر ، ولذلك كان موضع احترام زملائه ، وحسن إنصاتهم لخطبه ومعارضاته ، ولم يكن أساس صراحته وشجاعته هو انتسابه للمعارضه على طول الخط فحسب بل أنه المنصف لو وجد مجالا للانصاف والمؤيد اذا كان الحق فى نظره ما يقال .

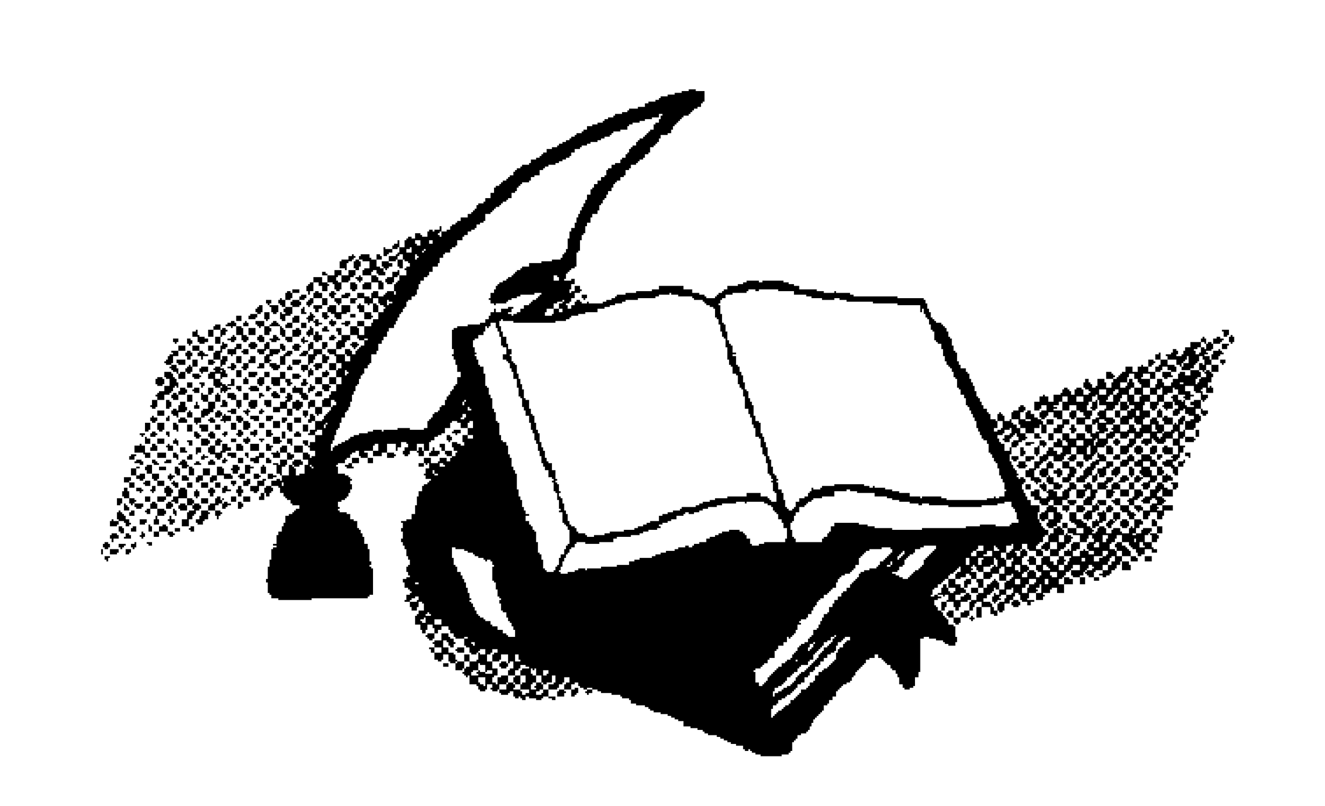
وكان أساس شجاعته وسلامة شخصيته من كل الأوشاب ، فما قال صديق أو خصم أن فكرى استغل نيابته أو انحرف عن جادة الاستقامة الخلقية ، ولذلك كان يستطيع دائما أن يفقأ العيون ولم يخزه واحد كائن من كان ؟؟ بنظره فيها علم يسقطه أو غلطة شائنة .

---

(١) يطامن : يطاطىء رأسه .

عاش فكرى من مداد قلمه ، ومن ثمرات صوته ، ولذلك عاش مكفوف الحاجة ، مكفول الحياة العادية ، ولكنه لم يعش من أصحاب الثراء ، وعندما بطش به الحاكم تعرض للأزمة التى لا ترحم الكرام ، وقد يسعى اليها اللئام الذين يحسنون الاستجداء على (حس الأزمات)

كان المثل الأعلى للنائب البرلماني الحر ، أينما كان ، فى كل صقع وفى كل مصر عاش من أجل مصر ، وتكلم من أجل مصر ، وصمت من أجل مصر ، ومن الصمت ما هو أكثر تعبيرا وأكثر تاثيرا من القول .



فكرى أباظه الفنان

لم يكن تقدير فكرى أباظة للفن وأهله نابعا عن عاطفة عارضة أو انفعال شخصى - كما يمكن أن يتبادر إلى الأذهان ، وانما كان عن اقتناع كبير بدور الفن فى التنمية للمجتمع والمشاركة فى ازدهاره ، وعن ايمان راسخ بدوره الأكبر والطليعى فى مقاومة الإحتلال والإستعمار .

فقد كان فكرى أباظة ذا مواهب فنية سبقت مواهبه الصحفية والسياسية والرياضية وسائر المواهب الأخرى التى أسهمت فى تكوين شخصيته الفذة النادرة .

وليس أدل على ذلك من أحاديثه وتصريحاته العديدة التى كان يروى فيها ذكريات طفولته وصباه ... عندما كان يحاول تقليد ومحاكاة بعض الشخصيات التى كان يعايشها فى صور كاريكاتورية لاذاعة .

ثم عندما كون مع لفيف من أفراد أسرته الكبيرة فرقة تمثيلية ، كان يقوم فيها بدور المؤلف والمخرج والممثل ، ووضحت هذه الموهبة الفنية بشكل أكبر عندما كان طالبا - بالمدرسة السعيدية - وعند انضمامه إلى النادى الأهلى ، حيث كان يشارك فى حفلاته السنوية بإلقاء الأزجال من تأليفه ، وأحيانا كان يؤديها فى صورة مونولوجات نقدية - يقوم هو نفسه بتلحينها وإلقائها .

وإن التاريخ الوطنى ليذكر بمزيد من الفخر والتقدير ذلك النشيد الحماسى الملتهب (بنى وطنى هلموا) الذى ألفه ولحنه الشاب فكرى أباظة وكان له دوره الفعال أيام ثورة ١٩١٩ وكيف أن الإستعمار الإنجليزى طارده فى الوجهين القبلى والبحرى من أجل ذلك النشيد محاولا القبض عليه ؟

وقد لا يعرف الكثيرون أن فكرى أباظة شارك بالتأليف المسرحى فى بداية النهضة المسرحية فى العشرينيات عندما تألفت شركة ترقية التمثيل ، وقد كتب لفرقة عكاشة (أوبريت غنائية)

باسم (سعاد) قبض ثمنا لها مبلغ عشرين جنيها - وهو مبلغ ضخم بالنسبة لأجور المؤلفين في ذلك الوقت .

ولكن المسرحية لم تظهر ولم تر النور بسبب تدخل المرحوم زكى عكاشه فى تعديل بعض أحداث المسرحية . واسمها ، ما لم يقبله فكرى ، ورفض أن يجرى أى تعديل - ورد له المبلغ واستعاد المسرحية - ومزقها على نفسه بعد ذلك أن لا يطرق باب التأليف المسرحى إذا لم تتوفر للكاتب الحرية فى الكتابة .

ثم مرة أخرى كانت له تجربة فى التأليف السينمائى ، حين ألقى محاضرة فى قاعة إيوارت التذكارية بالقاهرة عن " مشكلة السكان وزيادة النسل " تنبأ فيها بخطر الإنفجار السكانى فى المستقبل - (ما هو حادث الآن) .

وكان المخرج فؤاد الجزايرلى من المستمعين إلى المحاضرة . وأعجب بموضوعها كفكرة جديدة لفيلم سينمائى . وفى اليوم التالى اتصل به وتعاقد معه على كتابة قصة الفيلم وهو فيلم (خلف الحبايب) إخراج فؤاد الجزايرلى بطولة فوزى الجزايرلى وابنته احسان . ولكن ما أن ظهر الفيلم وشاهده فكرى أباظه فى العرض الأول حتى أصيب بصدمة وخيبة أمل من التعديلات التى تناولها السيناريو السينمائى ، مما جعله يعلن سخطه ، على الفيلم وبراءته من كتابة قصته - وأقسم أنه لن يطرق باب التأليف السينمائى فيما بعد .

وكان دائما يشجع ويناصر الفنانين فى الظروف القاسية التى يتعرضون لها - ومن مواقفه الجريئة الشريفة - قيامه كمحامى للدفاع عن المطربة القديمة فاطمة سرى عندما أنكر أحد أبناء العائلات الكبيرة زواجه العرفى منها [١] ، وقد رفض كل محاولات المعارف والأصدقاء لكى يتخلى عن هذه القضية . وحاول المدعى عليه أن ينال منه ويتهمه بأحقر التهم ليثنيه عن عزمه فما نجح . واستمر فكرى فى تبنى القضية حتى ظفر بنصرة موكلته - وهذه القضية هى التى

---

(١) محمد بك شعراوى إبن السيدة الكبيرة هدى هانم شعراوى .

استوحى منها الأستاذ / مصطفى أمين قصة فيلم فاطمة للفنانة الخالدة أم كلثوم .

وما رعايته للفنانة أم كلثوم بغريب عن الأذهان - فقد استمع اليها منذ فجر ظهورها الفنى حينما كانت تلقى التواشيح الدينية فى الصوه . (فى مولد المسلمى الصغير) وحرر لها أول عقودها الفنية بأتعاب قدرها (خمسون قرش) وظل معها حتى وصل أجره فى تحرير عقودها إلى ألف جنيه ، والجميع يعرفون موقفه منها وتشجيعه لها قبل أن تصبح المطربة المرموقة ، وتبرعه بالدفاع عنها عندما أدعى أحد أبناء الصعيد فى الثلاثينيات بزواجه منها وطلبها فى بيت الطاعة ، وقد عرف فى ساحة القضاء كيف يوقع المدعى ويضطره إلى الإعتراف بكذبه وبتحريض عمدة الزمالك له بهذا الادعاء - انتقاما من أم كلثوم - التى طالبت المسئولين بإزالة الساقية التى كان يملكها بجوار منزلها - مما تسبب منها إقلاق الراحة والضوضاء .

كما كانت تربطه العلاقات الوثيقة بعدد كبير من أهل الفن وفى مقدمتهم المطرب محمد عبد الوهاب ونجيب الريحانى ويوسف وهبى وأمينة رزق وزينب صدقى .. الخ .

وكان له الفضل الكبير فى إنشاء مجلة الكواكب عام ١٩٤٩ لتكون لسان حال أهل الفن وتسهم فى عرض نشاطهم وأخبارهم - وعندما صدر العدد الأول منها فى فبراير ١٩٤٩ أصر على أن تقيم دار الهلال حفلا كبيرا تدعو اليه نجوم الفن مع كبار المسئولين احتفالا بهذه المناسبة .

وفى الحفل ألقى كلمة رحب فيها الوزراء والمسئولين ونجوم الفن وعبر عن تقديره لرسالة الفن التى صدرت من أجلها المجلة الوليدة .

تأبينه فى البرلمان

قبل أن يوارى جسد فكرى أباظه فى مقره الأخير عقد مجلس الشعب جلسة لتأبينه صباح الخميس ١٥ فبراير ١٩٧٩ - **تحدث فيها رئيس المجلس صوفى أبو طالب** - فقال :

يعز على أن أنعى إليكم بل وإلى مصر جميعها علما من أعلام اللغة العربية هو المرحوم فكرى أباظة ، عرفته هذه - القاعة مناضلا قويا من أجل الدفاع عن القضايا المصيرية للأمة العربية - والدفاع عن قضايا الحرية والديمقراطية ، والدفاع عن المستضعفين فى أوطانهم فى سائر أنحاء العالم .

وقد تعددت أوجه إسهام المرحوم فكرى أباظة فى الحياة العامة فكان صحفيا نابها ومحاميا لامعا وبرلمانيا ممتازا عرفته الحياة النيابية أول - ما عرفته فى عام ١٩٢٦ نائبا عن الحزب الوطنى حينما قام الائتلاف الحزبى فى تلك السنة دفاعا عن الدستور .

وعرفته الصحافة بقلمه الصادق المعبر عن قضايا وطنه وشعبه - وعرفته - الإذاعة بالاحاديث البليغة وعرفه مجلس النواب يشد انتباه الجميع ويستحوذ على اهتمامهم بالقضايا الإجتماعية والسياسية التى يتناولها بالعرض والتحليل .

لقد كانت الكلمة سلاح فكرى أباظة وهى وسيلته للتعبير عما يشغل بال أبناء وطنه من قضايا .

وبقى فكرى أباظة يناضل بالكلمة الشريفة والنقد والبناء واللسان العف - ولم يسقط القلم من يده إلاّ فى اليوم الذى لاقى فيه ربه راضيا مرضيا .

ولم يقف دفاع فكرى أباظة عن قضايا وطنه مصر فقط ولكنه أمتد ليشمل قضايا الوطن العربى عامة - فما من قضية عربية إلاّ وكان له فيها موقف دفاع عن الحق العربى والمصير العربى الواحد - وما دفاعه عن شعب فلسطين عنا ببعيد .

هذه لمحة خاطفة من حياة الفقيد الكريم ، فقد عاش من أجل مصر واستعوض بحبها عن الولد والأسرة - ولقى ربه تاركا فى حياته ووطنه أحد المعالم البارزة فى تاريخ نضالنا الوطنى ووقف المجلس حدادا على روح الفقيد .

وتكلم السيد **فكرى مكرم عبيد نائب رئيس الوزراء لشئون مجلس الشعب** فقال " باسم الحزب الوطنى الديمقراطى وحكومته أشارك هذا المجلس الموقر فى أحزانه وفى

مرثاه لفقيد كريم هو المرحوم الأستاذ الكبير فكرى أباظة - ولقد كان فكرى مثلا يحتذى فى الخلق القويم والحوار البديع - والعبارة الرفيعة والبرلمانية الممتازة - كما كان صحفيا نابها ومحاميا ممتازا فقدته هذه الأمة بعد أن أدى واجبه كاملا فراح راضيا مرضيا إلى لقاء ربه .

كلمة العضو المهندس / **ابراهيم شكرى رئيس حزب العمل** :

" لقد فقدت مصر اليوم علما من أعلام الصحافة والوطنية - فقد كان فكرى أباظه رجلا وطنيا لم يحد يوما واحدا عن خطه الوطنى منذ بداية حياته - ولم يتأثر أبدا بأن يكون ضمن غالبية أو ضمن هيئة يمكن أن تنتفع بالحكم ، ولكنه كان دائما يقول الكلمة الشريفة والكلمة الوطنية ، وقد أرضاه الله سبحانه وتعالى :

فلم يمت إلاّ بعد أن رأى الحزب الوطنى الذى كان ينادى به دائما وقد أصبح حزبا للغالبية .

فلا شك أن فكرى أباظة يموت وهو راضى النفس - فقد أصبحت الكلمة التى عاش لها والفكر الوطنى هو الفكر السائد فى مصر - لأن مصر كلها تسير الآن فى التاريخ الوطنى الذى عاش فيه فكرى أباظة .

كلمة العضو سيد جلال :

كان فكرى أباظة رجلا وطنيا لا يخشى إلاّ الله - وكان يقول الحق دائما ولا يخشى لومة لائم ، فقد حمل من هذا المكان وأخرج من هذا المجلس بالبوليس فى سبيل الحق . وقد كنت من الأشخاص الذين تتلمذوا وتعلموا من فكرى أباظة فى مجلس النواب .

كلمة العضو مصطفى كامل مراد :

فقدت مصر علما من أعلام الأدب وقطبا من أقطاب السياسة وبطلا من أبطال الوطنية . هو المرحوم الأستاذ / فكرى أباظه ، ونحن هذه اللحظة اذ ننعيه فقد انتقل إلى جوار ربه . لنذكر كفاحه الطويل من أجل رفع راية حرية الصحافة فى مصر ورفع راية حركة الكلمة على مدى

يربو على نصف قرن من الزمان .كان فكرى أباظه نعم البرلمانى ، وكان نعم الصحفى وكان قديرا في كلمته ، موجزا فى خطبه ، صادق الرأى حر الكلمة ، قويا من أجل ما يعتقد أنه الحق ان مصر اذ تفتقد هذا المواطن العظيم ، إنما تدعو له بالرحمة والغفران .

العضو الوفدى / ممتاز نصار :

لا يفوتنى أن أشارك فى رثاء بطل من أبطال التاريخ الحديث فى مصر - فقد كان فكرى أباظة إنسانا متكاملا - وكان ضاحكا باكيا - كان يترجم كتابه الذى ألفه فكان يضحك فيه لما يفرح مصر ويبكى لما يحزن مصر فقد كان انسانا ومثلا كريما للوطنية الصادقة .

مات فكرى أباظة ولكن ذكراه ستظل باقية فى سجل الخالدين .

كلمة العضو / جمال عفيفى :

انها حقا لحظة من لحظات التاريخ الحزين ، حينما نعود بذكرياتنا إلى السنوات التى قضاها المرحوم فكرى أباظة تحت هذه القبة ، ونسترجع مواقفه كمناضل برلمانى ، ونستعيد ما جاء فى مضابط الجلسات التى تحدث فيها . فندرك إن فكرى أباظة كان فى مقدمة اولئك الذين بشروا ومهدوا لحياة ديمقراطية سليمة وانه كان فى مقدمة المناضلين من أجل الرأى الآخر وانه كان يقف وحده أحيانا أو مع نفر قليل يدفع عما يعتقد أنه الحق . ولعلنا جميعا نترسم هذه القدوة ونحن نباشر مسئوليتنا البرلمانية . ان تكريم ذكرى فكرى أباظة لا تكون فقط بكلمات نقولها ثم تمضى بل إننى أرجو من رئاسة المجلس ان تعرض على المجلس ان تتولى الامانة العامة جمع كل ما ورد فى مضابط جلسات مجلس النواب على لسان فكرى أباظة .

عزيز أباظه باشا
عميد المسرح الشعرى
١٨٩٨ - ١٩٧٣

مولده :

ولد عزيز أباظه فى ١٣ أغسطس ١٨٩٨ بقرية الربعمائة مركز منيا القمح بمحافظة الشرقية - والتحق فى طفولته بالمدرسة الناصرية الإبتدائية بالقاهرة - ثم أكمل دراسته بالمدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا - ثم المدرسة السعيدية بالجيزة وبعد أن نال شهادة البكالوريا سنة ١٩١٨ التحق بمدرسة الحقوق وتخرج فيها سنة ١٩٢٣ - واحترف المحاماه - بعض الوقت ثم انتظم فى سلك وظائف النيابة - ثم استقال ورشح نفسه لعضوية مجلس النواب - ونجح - وأصبح نائبا عن دائرته بالشرقية - فى سنة ١٩٣٣ عين مديرا لمصلحة تحقيق الشخصية - بوزارة الداخلية - ثم رقى وكيلا لمديرية البحيرة سنة ١٩٣٥ - فوكيلا لمديرية الجيزة وفى سنة ١٩٣٩ عين مديرا للقليوبية فالفيوم فالمنيا - ثم محافظا وحاكما عسكريا لمنطقة القناة سنة ١٩٤١ - ثم مديرا للبحيرة ثم مديرا لمديرية أسيوط - وفى سنة ١٩٤٧ عين عضوا بمجلس الشيوخ - وانصرف بعد ذلك للعمل فى الميدان الإقتصادى - وفى سنة ١٩٥٩ اختير عضوا لمجمع اللغة العربية وكان فى الوقت نفسه عضوا بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والعلوم الإجتماعية - وعضوا مراسلا بالمجمع العلمى العراقى - وقد شارك فى ثلاث لجان بالمجمع اللغوى وهى (لجنة القانون والإقتصاد - لجنة إنقاذ الحضارة - لجنة الآداب) - وهو أحد الشعراء المصريين اللامعين - الذين توفروا على إنشاء القصيدة العربية - الجزلة وقد منحته الدولة الجائزة التقديرية سنة ١٩٦٥ - وجاء بتقرير لجنة الجائزة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الإجتماعية - (ان الأستاذ عزيز أباظة يمتاز فى إنتاجه الأدبى بما وفق اليه من الإبداع الفنى فى شعره الغنائى والمسرحى)

وتوفى إلى رحمة الله فى ١٠ / ٧ / ١٩٧٣ .

مؤلفاته :

أولا : فى الشعر

١) رائد المسرح الشعرى

سيظل الشاعر الكبير عزيز أباظة علامة طريق فى تاريخ المسرح الشعرى العربى ، وسيظل ثباته وإصراره على الاستمرار فى الإضافة والإبداع ، رغم ماصادفه من جحود وتجاهل ، سيظل هذا كله عبرة للذين يكابرون التعبير ، سيظل موحيا لهم ومشجعا على الاستمرار وعلى تحدى الأشواك والعقبات !

ظل المسرح الشعرى خاليا بعد وفاة أمير الشعراء أحمد شوقى بك عشر سنوات لم يحاول أحد الشعراء أن يتابع ... ثم ظهر عزيز أباظة . وأصبح الشعر المسرحى العربى مدينا للرائد الذى مهد له الطريق الذى شقه شوقى وتحمل فى سبيل ذلك العثرات والغبار المثار ، وكل ما يمكن أن يتحمله رائد صلب عظيم وسيظل الشعر العربى المعاصر مدينا أيضا للشاعر عزيز أباظة بأنه هو الذى أعاد اليه الرونق والجمال والتألق .

وسيظل الأدب العربى المعاصر كله مدينا لعزيز أباظة بأنه أحد الذين أرسوا مكانة الأديب وجعلوا الإبداع جاها وشرفا ، يوفر للأديب من الكبرياء واحترام الآخرين ما لا يوفره كل مال الأرض .

وستظل سيرته وحسن تأتيه للأمور ، وكبرياءه مع لطف مداخله للمشكلات مثلا رائعا للأديب فى كل ما يتخذ من مواقف حيال ما تتحداه به الظروف .

المسرحيات الشعرية التاريخية التى ألفها :

١- مسرحية قيس ولبنى (من التراث القديم ومثلت على مسرح الأوبرا سنة ١٩٤٣) .

٢- مسرحية العباسة (مسرحية تاريخية) .

٣- مسرحية الناصر (مسرحية تاريخية)

٤- مسرحية شجرة الدر (مسرحية تاريخية)

٥- مسرحية غروب الأندلس (مسرحية تاريخية)

٦- مسرحية شهريار (مسرحية تاريخية)

٧- مسرحية أوراق الخريف (مسرحية تاريخية)

٨- مسرحية قافلة النور (مسرحية تاريخية)

٩- مسرحية قيصر (مسرحية تاريخية)

٢) أصدر ديوان شعر باسم أنات حائرة وموضوعه رثاء زوجته التى ماتت فى ريعان شبابها وكانت بنت عمه - ونشأ كلاهما على حب عميق منذ نعومة أظفارهما ، ويعد هذا الديوان فريد من نوعه فى الشعر العربى فى العصر الحديث . يعد المراثى الشعرية للأديب الشاعر عبد الرحمن صدقى التى وضعها بعد وفاة زوجته .

٣) ديوانه الشعرى الكبير :

ويشمل أشهر قصائده وقد تم طبعه بعد انتقاله إلى دار الخلود .

ثانيا : البحوث والكلمات والقصائد التى قدمها ولها اتصال بنشاط المجمع اللغوى :

١- كلمه عن سلفه " فى عضوية المجمع " أنو ليثمان فى حفل استقباله بالمجمع

(دورة ٢٦ جـ ١١ للمجلس - العدد ٩٤ من مجلة المجمع)

٢- المسرح الشعري : بحث القاه فى المجمع

(د ٢٧ ج ٧ للمؤتمر : البحوث والمحاضرات)

٣- كلمه فى استقبال الدكتور محمود توفيق الحفناوى

(د ٢٩ ج ١٦ للمجلس - المجلة العدد ١٧)

٤- لغة الشعر : كلمة ألقاها في مؤتمر المجمع ببغداد

(د ٣٢ ج ٦) المؤتمر بغداد

٥- الفصحى والعامية من زاوية جديدة

(د ٣٢ ج ٩ المؤتمر الثالث)

٦- قصيدة فى تأبين عضو المجمع الأستاذ عباس محود العقاد

(د ٣٠ ج ٢٧ للمجلس - المجلة عدد ١٩)

٧- قصيدة فى تأبين رئيس المجمع الأستاذ أحمد لطفى السيد

(د ٢٩ ج ٢٧ للمجلس - المجلة العدد ١٨)

٨- تحية بغداد : قصيدة ألقاها فى الجلسة الإفتتاحية لمؤتمر بغداد (د ٣٢)

٩- قصيدة فى تأبين عضو المجمع الأستاذ محمد رضا الشبيبى

(د ٣٢ ج ٨ لمؤتمر القاهرة)

١٠- قصيدة فى تأبين عضو المجمع الشيخ محمد على النجار

(د ٣٢ ج ٢٣ للمجلس)

١١- قصيدة فى تأبين الأستاذ مصطفى نظيف عضو المجمع

(نشرت بالمجلة العدد ٢٨ فى نوفمبر سنة ١٩٧١)

١٢- قصيدة تحية لرسالة العلم (المجلة التى تصدرها جمعية خريجى كلية العلوم برئاسة الدكتور عبد الحليم منتصر مارس سنة ١٩٧٣)

١٣- كلمة أعدها لإستقبال الأستاذ مصطفى مرعى العضو بالمجمع اللغوى وألقاها بعد وفاته نيابة عنه الأستاذ ثروت أباظه فى ٥ من ديسمبر سنة ١٩٧٣ .

أسلوبه :

كانت موهبة عزيز أباظة ودرايته بمتن اللغة ، وذوقه المرهف وغيرته على الفصحى وحفاوته بها ، هي الدعائم الوطيدة التي قامت عليها خصائص أسلوبه . فهو حريص على التأنق في اختيار الكلمة ، مشغوف بالرصانه في نظم العبارة ، نفور من العامية والركاكة ومن الإسفاف ، حتى أنه ليتجافى عن الكلمة اذا ما أحس أنها فقدت رونقها لكثرة مالاكتها الألسن أو تداولتها الأقلام ، ولذلك فإن مستوى شعره وشعر كبار الشعراء من سابقيه ومعاصريه ، أعلى من المستوى العام للقراء ، وهذا طبعا لا يشين شعره أو ينقص من قدره ، لأن الأدب أو الفن أو العلم على اختلاف ضروبه وتعدد ألوانه لا ينبغي أن يكون في مستوى واحد من التداني أو التوسط أو العلاء . ذلك لأنه له درجات من الأقدار والمستويات بل أن لكل مستوى من هذه المستويات درجات متباعدات متفاوتات . وإنه لمن الشطط أن نكلف الشاعر العملاق ، التزام مستوى عام واحد ، لأننا بهذا الإلزام نقيد حريته ، ونحتجزه في نطاق ضيق لا يتعداه ويحول بينه وبين التحليق والإبتكار ، على ان استمساك عزيز أباظة بالفصحى وكلفه بالانتقاء ليس معناه كلفه بالأغراب بل معناها اتخاذ اللغة العربية ، متنا ونحوا وحرفا وسيلة للتعبير عن العاطفة أوالفكرة وتنحية العامية عن الأدب الرفيع ، حتى لا تقع العين ، في حديقة الشعر أو بستان النثر إلا على وردة متفتحة ، أو جلنار متوهجة أو أفحوانة مشرقة .

العقيدة الإسلامية فى شعره :

كان عزيز أباظة عميق الايمان بالله ، وقبل وفاته بعامين ، طلبت منه مؤسسة السينما أن ينظم أهم أحداث السيرة النبوية فى شعر غنائى كى تغنيه السيدة أم كلثوم فى فيلم غنائى ، تظهر فيه صور الأحداث صامته يواكبها صوت أم كلثوم بالغناء دون أن تظهر على الشاشة ، ولكنه لم يقتنع بإمكان تحقيق هذا المشروع من الناحية الفنية . ثم انتهز الفرصة ليكتب السيرة النبوية شعرا غنائيا ، طبعها فى كتاب بعنوان " من إشرافات السيرة الزكية " يعتبر عملا فنيا رائعا ، وهو أيضا يردد فى مسرحياته إيمانه العميق بأركان الإسلام وتعاليمه وآدابه من ذلك أن الله سبحانه وتعالى علام الغيوب ومدير الكون ومانح القوى والقدر ، علمه سابق وقضاؤه واقع ، نجد هذا فى قول " سنجر للأمير فى مسرحية شجرة الدر

مولاى لايزعجك ما بلغت من xxx نبأ فإن الغيب سر مضمر

قل للمقدر للعباد حظوظهم xxx الله فوقك قادر ومقتدر

ونجد إيمانه بالبعث فى قوله فى مسرحية : " أوراق الخريف "

قولى لها سأظل حافظ عهدها xxx حتى تجمعنا الحياة ثانية

وكثيرا ما حلق فى جو عال من الروحانية ، اذ صور مواقف الخشية من الله والاستغفار من الذنب قال على لسان " وداد " فى مسرحية " أوراق الخريف "

يارب هل أنت راضى xxx أو غاضب من مجيبى

يارب إنك عدل xxx ورحمة من قريب

فهل ضللت سبيلى xxx وهل غوى أسلوبى

ما كنت رب مراء xxx بل أنت رب قلوب

أما الحكمة فى شعره ، فإنها تشيع فى معظم قصائده ، ولكنه لم يكتف بهذا بل أفرد لشعر الحكمة ديوانا مستقلا ، وهو يشمل الجزء الرابع من ديوانه ، الذى حمل أمانة إعداده الأستاذ

الأديب المرحوم أنور أحمد وفى عامه الأخير من حياته بدأ ينظم شعرا خواطره فى شئون الحياة ومبادىء الأخلاق والسياسة والحكم والمجتمع ، حتى ملأ كراسة ضخمة ، أطلق عليها " تأملات " تحتوى على أكثر من مائتى مقطوعة .

العروبة فى شعره

والعروبة فى شعره مظاهر جهر بها مرات على لسانه أو أدارها على ألسنة الشخصيات فى المسرحيات تتمثل فى ما يأتى :

أولا : ١) قصائد تعكس انفعالاته النفسية والروحية ، حين زياراته للآثار العربية فى اسبانيا ، كما عبر عن ذلك فى قصيدته (وقفة على قرطبة) ، حين زارها وطوف بأرجائها وتلبث عند معالمها العربية وأطال الوقوف في مسجدها وقبالة مئذنته ، وخيل اليه أن قلبها لا يزال يعتصره الالم ، وأن حسرتها على عصرها العربى الذهبى ثائره لم تخمد.

وجاء فى هذه القصيدة :

يا جارة المسجد الباكي ومئذنة xxx الله كان يناجي من مشارفها

ماذا دهاها فأمست وهى ناهدة xxx فى غير ما الفته من معاطفها

وقفت في طلل الزهراء مختشعا xxx والنفس لهف لمعات من عواصفها

أرنو فيرتد طرفى راعشا وجلا xxx كهائب اللجة الكبرى وخائفها

طوفت بالطلل الأسوان أسأله xxx أين الخلافة فى حضن خلائفها

أين ابن بجدتها شعت حضارته xxx سنا على سالف الدنيا وآنفها

الباذل العلم فى أعلام جامعة xxx فى حيثما دب ساع فى تنائفها

ثم تبدو الحسرة فى قوله :

لم يترك الدهر من راووق [1] أندلس xxx الا شفافة راح عن عوارفها

---

(١) راووق : إناء أو دنّ خَمْر .

لهفى على حسنها الذاوى وزهرتها ××× وخاليات الحوافى من رفارفها

وقلت : أين حضارات ومعرفة ××× أظل هذا الورى موشى وارفها

وأين هدى تهدى من صحائفها ××× وأين نور تجلى من مصاحفها

ثانيا : دعا إلى وحدة العرب وحرص عليها ، ونفرهم من الفرقة والإنقسام والتخاذل ، ففى مسرحية " الغروب " أدار حوارا بين محمد بن سعد الزغل شقيق السلطان أبى الحسن وبين إبن السراج وعائشة وموسى بن أبى الغسان ، فصور أسى الزغل من الفتن المشتعلة بين العرب وبغضة لتأريثها ، واستنكار الجنوح إلى مثيريه على الولايات العربية المجاورة ، فى الوقت الذى يجب فيه على العرب أن يتآزروا كالبنيان المرصوص ، ليردوا هجمات الفرنجة ، فيصونوا حصن العروبة ويعتزوا عزة الاسلام .

ويبدو ذلك فى الأبيات الآتية :

عرضتم لضخم الأمر لم تتذكروا ××× عواقب قد تبدو لكم وتغيب

أتأريث أضغان وإيقاظ فتنة ××× تدك قوانا والعدو رقوب

إذا لم نقف صفا هلكنا وأطبقت ××× قواطع تفرى ملكنا وينوب

فلا تطمسوا الاسلام إن شروقه ××× سيغشاه مما تزعمون غروب

ثالثا : أشاد بوحدة الدم ووحدة الدين والوجدان المشترك فى توثيق العلائق بين العرب وإن تعددت أقاليمهم وتناءت ديارهم ، فصور هذا فى مسرحية " غروب الاندلس " على لسان الأميرة عائشة زوجة السلطان أبى الحسن فى حديث بينها وبين السلطان الغورى حينما جاءت من الأندلس إلى مصر لتستنجد به على الفرنجة :

حييت يا ملك الملوك ولم تزل ××× أعلاهم وأعزهم سلطانا

وبقيت للأمم الشقيقة موئلا ××× فى أدها ومناصرا معوانا

قد آن أمضى إلى وطنى وإن ××× كانت دياركم لنا أوطانا

الدين قربى والعروبة لحمة ××× ولقد أقوى الأصرات أسانا

تلك الوشائج وحدت ما بيننا ××× وإن اختلفنا راية ومكانا

رابعا : المقابلة بين الشعر العربى والشعر الاوربى

تجلت عروبة الشاعر عزيز أباظة غير ما ذكر ، فى معرض آخر هو المقابلة بين الشعر العربى والشعر الغربى ، فقد وضع بحثا منذ أكثر من عشرين عاما ، وازن فيه موازنة سريعة بين الأدب العربى والأدب الغربى ، ولم يظهر هذا البحث إلاّ بعد وفاته .

وأهم ما ورد فى هذا البحث ، أن الشاعر العربى يؤثر الإيجاز الجامع لأطراف الفكر أو الشعور ، وضرب الأمثلة على ذلك بإيراد أبيات من الشعر العربى والشعر الإنجليزى ، يتحدث فى فكرة مشتركة واحدة . وقارن بينهما من حيث الإيجاز والأطناب .

وقال أيضا : بأن الشاعر العربى سبق إلى الإشادة بالحرية والديمقراطية والإشتراكية والتعاون والسلام وأورد أبياتا تثير هذه المعانى .

ما أثرى به الأدب العربى المعاصر

الشعر المسرحى

أثبت عزيز أباظة بمسرحياته التسع ما أثبته شوقى من قبل بمسرحياته أن الشعر العربى قدير على الوفاء بما تقتضيه المسرحية من عرض للأحداث ، و تصوير للنفسيات ، و حوار على ألسنة الذكور و الإناث و الكبار و الصغار ، و تعبير عن أخلاق الأخيار و الأشرار و الأقوياء والضعفاء و الفرحى و المحزونين و السعداء والأشقياء.

وبهذا أبطل ما لاكته الألسنه وسطرته الأقلام ،أن الشعرالعربى كَزٌّ عَسِرٌ[1] لا يطاوع الشاعر المسرحى وأن الخيال العربى ضحل لا يستطيع أن يخلق ولا أن يحلل ويركب ويبتدع الأحداث والأشخاص وأن البلاغة العربية ضيقة تعتمد على الإيجاز ولا تعرف التفصيل والتوضيح

---

(١) كَزٌّ عَسِرٌ : يقصد أن ثمة مزاعم بعدم قدرة الشعر العربى التوافق مع المسرح .

والأطناب . والمسرحية الشعرية إنتاج زاخر يضم عشرات الألوان ففيها عشرات القصائد والمقطعات وفيها ألوان شتى من الموضوعات كالوصف والحرب والحماسة والحكمة والغزل ، وفيها ضروب من التكلم والخطاب والحوار والجدل ، وبه شعر ينطق به واحد ، وشعر تنطق به جماعة وشعر يعبر عن أفراد أو عن أمة وهى من أوزان شتى وقواف عدة ومن هنا تجيء صعوبتها على الشاعر وتجيء دلالتها على مقدرة الشاعر .

ومع ذلك فقد ظهر نقاد من الحاملين على الشعر المسرحى ، دعوا إلى إيثار النثر بدعوى التزام الواقع وبدأ فى بعض الأحيان أن الغلبة لدعاة النثر وإنتصار الواقع بخاصة بعد أن راجت قصص تشيكوف وإبسن وأضرابها حتى أن الشاعر الكبير إليوت ، وهو من أنصار الشعر المسرحي - كاد يداخله اليأس من أن يسترد الشعر مجده المسرحى فقال :

" يظهر أن عالمنا المعاصر حافل بالفوضى ، وأن المجتمع الذى نعيش فيه تعوزه المقاييس الدقيقة ، فصارت وظيفة الشاعر المسرحي شاقة أو مستحيلة "

وكانت لهذه الدعوى أو لهذا اليأس صدى فى مصر والعالم العربى . فقال الدكتور طه حسين " إن الشعر لم يعد صالحا للمسرح " .

وسرعان ما نتأت إلى جانب ذلك دعوى أخرى أشد خطراً وهى الدعوة إلى إتخاذ اللغة العامية لغة المسرح بدعوى الحرص على محاكاة الطبيعة ومجاراة الواقع .

ومن الوفاء لذكرى الشاعر عزيز أباظة أن أنقل هنا بعض ما رد به على هذه الدعوى :

قال فى مقدمة مسرحيته شهريار :

إن الشعر يحفظ الإتزان بين الواقعية والشكل الخالص ، وبين العرض الحرفى والتجديد ، إنه يحقق الهدف الفنى الرائع ، فرسالته فى كريم أعرافها تواطىء لنا سبيل الفهم لهذه الحياة وإدراك قيمة جمالها .

وقال أيضا : قال أنصار الواقعية فيما قالوا : وما التراكيب الفصيحة ، وما الأسلوب الشريف ؟ والكلام بغيرهما أبين ، والفهم أدنى وأيسر ؟

ولقد تطورت المسرحية الشعرية عند عزيز أباظة تطورا جذريا ، فبعد أن كان الشعر أهم مايعنى به أحمد شوقى فى المسرحية ، وجدناه يمنح البناء المسرحى اهتماما يكاد يتساوى مع اهتمامه بالشعر ، ثم جاء عبد الرحمن الشرقاوى فاعتمد على اللفظ العربى وعلى التفعيلة الواحدة فأصبح الشعر أكثر طواعية له وتبعه فى ذلك صلاح عبد الصبور فأصبحت المسرحية الشعرية أكثر أطمئنانا من المسرحية النثرية التى وضع أسسها توفيق الحكيم ولم تجد من يسير فى الطريق الذى أنشأه إلاّ على أحمد باكثير وألفريد فرج .



دسوقى أباظة باشا
١٨٨٩ - ١٩٥٣

ولد فى عام ١٨٨٩ ببلدة غزالة من أعمال مديرية الشرقية لأبوين كريمين ، والده المغفور له ابراهيم بك أباظه سيدا فى قومه وجيرته ، امتاز بالصلاح والتقوى ، وبرغم ما تمتع به من ثراء طائل ولكن ذلك لم يفتنه عن التمسك بالفضيلة والمناقب السامية ، وكانت والدته الشركسية الأصل " تفردان " بالوقار ويشع من وجهها نور السماحة وصفاء النفس .

وقد نكبت هذه العائلة الكريمة بفقد أبنائها الذكور واحدا بعد واحد حتى بلغ من ثكلت تسعة من الذكور قبل أن يرزقا ولدهما دسوقى وكان حبهما عليه يملك مشاعرهما وكان إشفاقهما من أن يمسه أى سوء يستبد بقلبيهما ، حتى أدى ذلك بعدم سماحهما بابتعاده عن موطنهما بالريف لأجل تعليمه ، واكتفيا بتلقينه مبادىء القراءة والكتابة على أيدى مدرسين خصوصيين وقد نشأ الطفل نشأة ممتازة بتأثير البيئة الفريدة التى نشأ فيها ، ثم التحق بمدرسة الناصرية الإبتدائية وبعدها أتم دراسته الثانوية بالمدرسة الخديوية ، ثم التحق بمدرسة الحقوق وتخرج فيها سنة ١٩١٢ .

شغف بالأدب منذ صباه ، رسم به خطوط الحياة فى كل مناحيها ، صورها فى مقالات رائعة مهرها بالغزالى " كما أولع بالشعر فقصد القصيد ، وجال فى رياض الأدب فاقتطف منها الرائع النضير ، فصاغه فى عقد ثمين وذوق سليم .

وفى فجر الشباب الغَضْ ، أثناء تلقيه دراسته العالية كان من شباب الحزب الوطنى الذين اشتعلت فى قلوبهم جذوة الوطنية ، وجمعتهم ذكريات جهاد الزعيم الخالد مصطفى كامل ، فترجم عاطفته الوطنية إلى مقالات وطنية نشرت فى جريدتى اللواء والشعب من جرائد الحزب الوطنى .

ولما تخرج فى مدرسة الحقوق وعزم على الإنتظام فى سلك مهنة المحاماه ، بعد تسجيل

اسمه فى جدول المحامين أشفق عليه ذووه بصفة خاصة - عمه اسماعيل باشا أباظة - من عواقب السياسه على شاب متحمس مثله ، وأجبره على الإلتحاق بوظيفة مفتش ضبط بمحافظة القاهرة .

ولكنه بعد أن سلخ فى هذه الوظيفة عدة سنوات ، وجد أنه من المتعذر عليه أن يجمع بين الوظيفة وجهاده السياسى ، كما استدرك بوعيه الوطنى ، أنه من المستحيل عليه ان يشغل وظيفة حكومية ، والإحتلال البريطانى مسيطر عليها ويرتكب جرائمه الوحشية ضد مواطنيه الأبرياء ، لذلك استقال واشتغل مع رجال الوفد أثناء ثورة سنة ١٩١٩ وكانت له مواقف فذة سنأتى على ذكرها ، ولما تألف حزب الأحرار الدستوريين سنة ١٩٢٢ انضم اليه وعاطفته الوطنية على أشدها . رفعته مناقبه إلى مكان الثقة من نفوس زعماء الحزب وكان أثيرا عند المغفور لهم عدلى يكن باشا وعبد العزيز فهمى باشا ومحمد محمود باشا الذى اختاره مديرا لمكتبه حين ألف وزارته سنة ١٩٢٨ .

ومن مواقفه المشهورة التى تدل على مدى اعتزازه بذاته وثقته بنفسه أنه حين أجمعت الأحزاب السياسية متضامنة (الوفد المصرى - الأحرار الدستوريين - الخ ...) على مقاطعة الإنتخابات سنة ١٩٣١ خالف حزبه وانقطع عنه ، وخاض حركة الإنتخابات فى دائرته دون أى سند أو تعضيد ونجح فيها كما نجح فى كل معركة إنتخابية خاض غمارها ، على أن انقطاعه عن الحزب ومخالفته اياه ، لم يدفعاه إلى أن ينضم إلى حزب آخر ، بل ظل وكله البر بماضيه فى الحزب والوفاء لرئيسه ، حتى لقد عرض أحد النواب فى ذلك المجلس سياسة محمد باشا محمود منتقدا لها فأبى الوفاء على دسوقى أباظة إلاّ أن ينبرى لهذا النائب ويرد عليه مدافعا عن سياسته .

ولما نالت البلاد دستورها الأول سنة ١٩٢٣ عاد دسوقى أباظة باشا إلى جهاده فى صفوف الأحرار الدستوريين ، فكان ساعد محمد باشا محمود فى البرلمان وخارجه وكان من ذوى الكلمة المسموعة بين أعضاء الحزب ، وكان لا يكتفى بالدفاع عن رأيه ونضال خصومه داخل

مجلس النواب بينما كان يلجأ بقلمه بين الحين والآخر ، يدبج المقالات فى الصحف دفاعا عن رأيه

ويدلنا تاريخه النيابى ، وبصفة خاصة نجاحه فى كسب ثقة أبناء دائرته فى كل معركة انتخابية خاضها ، أنه كان النائب المثالى الذى يعتقد بحق أن التمثيل النيابى تكليف لا تشريف وأنه هدف وطنى لا مركز للحصول على المكاسب والمغانم . لذلك كان قومه مجتمعين على حبه وتقديره صغارا وكبارا ، أغنياء وفقراء فقد كان لهم أكثر مما كان لنفسه . إنه النائب الوطنى الذى جمع بين الوطنية والنزاهة ، وبين الكرم والسماحة . ولئن ضاق أبناء الدائرة أحيانا لفرط نزاهتها التى كانت تقف دون ما يرونه مشروعا من مصالحهم الاقليميه ؟؟؟

اضطلع أعباء الوزارات أطول مدة قدر عليها وزير منذ نهضة البلاد الوطنية ١٩١٩ حتى ثورة الجيش ١٩٥٢ . فقد ولى الوزارة مدة متصلة من ٨ / ١٠ / ١٩٤٤ حتى ٣ / ١١ / ١٩٤٩ ومع ما كان يضفيه هذا المنصب سلطانا وحظوة وجاه ، فان صحيفته ظلت نقية لم تَشُبْها شائبة .

انتقل إلى رحمة الله ١٩٥٣ فأقامت له دولة الأدب العديد من حفلات التأبين فى القاهرة والإسكندرية والشرقية والصعيد ، تكريما لذكراه ، وتنويها لمآثره على الشعر والأدب والسياسة والإجتماع . ولم تظفر شخصية مصرية أيا كان مركزها بمثل ما ظفرت به شخصيته من تقدير الهيئات الأدبية واعزازها لذكراه ، حتى أن ما قاله الشعراء المعاصرون له أربى على عشرة دواوين ، بل لبعض الشعراء ديوان كامل فى تعداد مناقبه وأمجاده !!

نشاطه الأدبى والسياسى فى مرحلة دراسته العالية :

١) كان من شباب الحزب الوطنى وكتابه ،بدأ فى الكتابة فى جرائد الحزب الوطنى وهى اللواء والشعب والعلم ، منذ أن كان طالبا بالحقوق ، وكانت مقالاته بتوقيع " الغزالى أباظة " نسبة إلى بلده " غزالة " ، ولقبت مقالاته إستحسانا من المواطنين حتى صار اسم " أباظة "

علما عليه . وامتازت هذه المقالات بالعمق الوطنى والسياسى (ملتزمة بخط الزعيم مصطفى كامل ومبادئه الخالدة) ، كما كانت جرائد الحزب الوطنى هى الجرائد الأثيرة بتقدير الغالبية العظمى من الشعب آنذاك .

٢) وكان من الأوفياء للزعيم الوطنى الخالد محمد فريد ، وحضر جلسة محاكمته فى قضية (مقدمته لديوان وطنيتى) للكاتب الوطنى على الغاياتى " وتأثر بهذه القضية ودوافعها ونتائجها ، وعبر عن ذلك فى مقالة " الكلمة الهائلة " التى نشرت فى جريدة العلم العدد الصادر فى ٣ فبراير ١٩١١ ، كتبها على أثر النطق بالحكم على الزعيم محمد فريد بالسجن لمدة ستة أشهر فى تهمة لا أساس لها من الحق ولا من الصحة.

٣) اشترك فى المظاهرة الكبرى التى قام بها طلبة مدرسة الحقوق فى ٩ / ١١ / ١٩٠٨ اعتراضا على عرض الجيش البريطانى فى ميدان عابدين لمناسبة عيد ميلاد ملك بريطانيا ، وكان من أهم الاعمال الإيجابية للشباب فى مقاومة الإحتلال وتكررت هذه المظاهرة فى ٩ / ١١ / ١٩٠٩ .

وكان لهذه المظاهرات دور كبير فى المحافل الوطنية وتردد صداها فى الصحف الاوربية .

٤) أصدر عام ١٩٠٨ كتابا بعنوان " حديقة الأدب " ضم فيه ما نظم من شعر ما كتبه من مقالات أدبية وسياسية ، ويعتبر هذا النشاط الأدبى مبكرا بالنسبة لمن هم فى سنه وطبقته .

٥) أقام عام ١٩٠٨ حفلا بفندق شبرد تكريما لأعضاء بعثة الجامعة المصرية الأولى إلى الخارج تكريما للعلم وطلابه - وهكذا ظهرت أريجية طالب ناشىء من الطبقة الممتازة فى البلاد

٦) حينما أنشىء نادى المدارس العليا بوحى من الزعيم مصطفى كامل كان من ممثلى مدرسه الحقوق فى عضويته ، كما أنه مثلهم فى الاحتفال بتأبين المرحوم / مصطفى كامل ورفع الستار عن صورته سنة ١٩٠٨ ، وألقى قصيدة من نظمه فى هذه المناسبة .

٧) كان يسافر إلى اوربا فى صيف كل عام ، ويلتقى بالأدباء والكتاب الفرنسيين ، ويحضر المؤتمرات السياسية ، وينشر المقالات الوطنية فى جريدة الطان " Le Temp " الفرنسية .

نشاطه السياسى بعد تخرجه :

لا يمكن الفصل بين نشاطه الأدبى والسياسى ، فهو أثناء قيامه بأعباء وظيفة مفتش الضبط بالجيزة هاله ما ارتكب الإنجليز من فظائع سنة ١٩١٩ فى مدن " البدرشين " و" العزيزية " و" نزلة الشويك " و" القنايات " فأخذ فى تحقيق هذه الحوادث فى محاضر رسمية ثم ترجمها إلى اللغتين الفرنسية والإنجليزية وطبعها ونشرها فى جرأة وشجاعة ، مما كان له أثره الخطير فى إلهاب الشعور الوطنى وكانت هذه المحاضر من أخطر الوثائق التى حارب بها الاحتلال الإنجليزى فى البلاد .

وأخذ الوطنيون يقرأون هذه المحاضر فى المحافل والندوات ، وفى المساجد بين الصلوات الجامعة وأيام الجمع فى الخطب ، ودراستها بعد الصلاة ... مما كان له نتائجه فى توعية الرأى العام ثم شهد بنفسه عدة مرات أمام المحاكم العسكرية ، مثبتا التهم التى وردت فى محاضر التحقيق وراحت السلطة العسكرية تضيق عليه الخناق ، فهاجمت بيته وفتشته سبع مرات فى القاهرة وفى الشرقية واستولت على أوراقه وحققت معه وقد وقف فى وجه السلطة العسكرية موقفا مشرفا فيه الجرأة والعزم والإقدام ...

ولما تألف الوفد المصرى أخذ يطبع تحقيقات الجيزة مرة أخرى ، ويعيد ترجمتها ليستعين بها الوفد المصرى فى دعايته ضد الإنجليز فى اوربا وبالفعل كان لها الأثر الكبير فى اوربا وأمريكا حينما ذهب اليها محمد محمود باشا للدعاية للقضية المصرية حتى استطاع ان يحول الرأى العام الأمريكى إلى جانب المصريين بينما كان يقر الإحتلال البريطانى والحماية من قبل .

وكان من أقطاب حزب الوفد المصرى ، حيث انه لما تألف الوفد المصرى وسجن الوطنى الكبير عبد الرحمن فهمى وكان سكرتير لجنة الوفد المركزية ، انتخب الأستاذين دسوقى ابراهيم أباظة وأمين الرافعى للعمل محله ، ولما كانت جريدة الأخبار تلتهم وقت أمين الرافعى فان دسوقى أباظة اضطلع بجميع أعمال سكرتارية اللجنة المركزية ، فكان يعقد الإجتماعات ويشرف

على إدارتها ويحرر المحاضر ويتولى جميع الأعمال الكبرى التى تتطلبها الحركة الوطنية وقد استقال من وظيفته لما وجدها عائقا له فى كفاحه الوطنى وضحى بها فى سبيل حرية بلاده ضاربا المثل الأعلى فى إنكار الذات والوطنية الايجابية .

وقبل استقالته كان عضوا بلجنة الموظفين العليا ممثلا لإقليم الجيزة وكانت خطوة جريئة منه لأن قيام جماعة الموظفين كبيرهم وصغيرهم بمشاركة الامة فى حركتها الوطنية نقطة تحول فى توجيه السياسة البريطانية ، حيث ان الإحتلال كان يعتمد كثيرا على خضوع طبقة الموظفين وامتثالها لسياسته فانتفاضتهم بصورة جماعية على السلطات رغم قيام الأحكام العرفية أمر له خطورته وله مغزاه .

وهكذا نجد لنشاط دسوقى أباظه باشا ثلاث دوائر :

اولا : أثناء تلقيه العلم فى المعاهد العليا حتى قبيل ثورة ١٩١٩ كان من جنود الحزب الوطنى

ثانيا : منذ ١٩١٩ حتى ١٩٢١ من أقطاب الوفد المصرى

ثالثا : من ١٩٢٢ حتى وفاته رحمه الله ١٩٥٣ من زعماء حزب الأحرار الدستوريين وجميع هذه المراحل مندمجة ومتكاملة ، شعارها خدمة الوطن وتحقيق أهداف البلاد الكبرى .

وقبل تأسيس حزب الأحرار الدستوريين لا ننسى ثلاث مواقف سياسية بارزة له وهى :

اولا : قبض عليه أثناء ثورة ١٩١٩ واتهمته السلطة العسكرية البريطانية بتهمة التحريض على الثورة . وحوكم عسكريا وتحمل بشجاعة وثبات وحده كل مسئولية طبع التقرير الخاص عن فظائع الجيش الإنجليزى ، وتوزيعه مستعذبا كل ألم فى سبيل خدمة وطنه .

ثانيا : دعاه المرحوم على فهمى كامل رئيس الحزب الوطنى بعد وفاة المرحوم محمد فريد بك سنة ١٩٢١ فى الاحتفال الكبير الذى أقيم فى كلية الزعيم مصطفى كامل فى الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٢١ للاحتفال بالذكرى الثالثة عشر لوفاة الزعيم الخالد مصطفى كامل والاحتفال بإقامة تمثال مصطفى كامل (بصفة مؤقته) فى رحبة كلية مصطفى كامل .

وقد سجل ذلك رسميا فى الكتاب الذى أصدره الحزب الوطنى عن ذلك الموضوع ، والمطبوع بتاريخ ١١ / ٢ / ١٩٢١ .

ثالثا : كان من أعضاء وفد المفاوضة برئاسة عدلى يكن باشا ، الذى سافر إلى انجلترا لمفاوضة الإنجليز ومكث حوالى نصف عام وعاد إلى مصر سنة ١٩٢١ .

وبعد عودته بقليل أعلن تصريح سنة ١٩٢٢ ثم تأسس حزب الأحرار الدستوريين فكان من مؤسسيه وانتخب عضوا فى مجلس إدارته وسكرتيرا له ، ثم كان النظام البرلمانى فرشح نفسه للمجلس النيابى عن دائرة " بردين " (١) فنجح فى جميع أدواره وكان من أكبر الأعضاء البارزين بمجلس النواب حتى أنه انتخب وكيلا للمجلس بأغلبية ساحقة سنة ١٩٢٤ رغم ان الحكومة رشحت اثنين من كبار المحامين ضده .

وفى سنة ١٩٣٦ تكونت الجبهة الوطنية (على أثر النهضة الوطنية سنة ١٩٣٥) من زعماء الأحزاب السياسية أنذاك ، ثم شكلت الجبهة لجنة سميت " لجنة الجبهة الوطنية " فأختاره الأحرار الدستوريين عضوا ممثلا لهم .

وفى سنة ١٩٣٨ أسفرت نتيجة انتخابات هيئة مجلس النواب عن اختياره وكيلا للمجلس ورأى لفيف من حضرات النواب والشيوخ الاحتفال بتكريمه ، فشهدت دار الاحرار الدستوريين مساء الإثنين موافق ١٢ / ١٢ / ١٩٣٨ ليلة فذة ، اجتمع فيها رهط كبير من زعماء الأحزاب والوزراء والشيوخ والنواب .

ثم ارتقى لمنصب الوزارة ، فعين وزيرا للشئون الإجتماعية سنة ١٩٤١ ، وللمواصلات سنة ١٩٤٤ ، وللاوقاف سنة ١٩٤٦ وللمواصلات ثم وزيراللخارجية بالنيابة ثم وزيرا للخارجية سنة ١٩٤٧ قال عنه محمد محود باشا رئيس حزب الأحرار :

---

(١) بردين : قرية فى مديرية الشرقية .

" كـان لدسـوقى أباظة مـواقف منذ بدء الحـركـة الوطنيـة ، مـواقف أدت إلى تركـه خـدمـة الحكومة وإلى استقالته لخدمة البلاد العامة وأطوارها المختلفة ، وإلى سعيه المتصل لكسب ثقة أبناء دائرته حـتى كـان نائبـهم فى البـرلمان مـنذ سنوات عـديده وكـان له فى البـرلمان مـثل هذه المواقف الموفقة اذ كان يقف دائما نصيرا لما يفتقده الحق . لا يحابى فيه ولا يداجى ولا يبتغى إلاّ أن ترتفع كلمة الحق ليكون لها أثرها بين زملائه النواب وليكون لها صداها فى الرأى العام .

وقال عنه العملاق الأديب عباس محمود العقاد :

" كان خبيرا بالحياة النيابية فهو من أقدمنا عهدا بالبرلمانات ، فإن كانت المعرفة التشريعية فهو من كبار العارفين بالقانون ، وان كانت الخبرة بالإدارة الحكومية فهو كان موظفا قبل أن يولد كثير من الموظفين الآن ، ونذكر قناعته ونزاهة نفسه وصائب رأيه وعزمه . كـان دسوقى أباظة رجلا شريفا يسعى لغاية شريفة بوسائل شريفة بل وكان سياسيا شريفا . "

آثاره فى مناصبه الوزارية :

وزارة الأوقاف :

رأى بثاقب فكره أن الوعظ والإرشاد المقصودين من الخطب المنبرية فى المساجد لا يتحققان إلاّ اذا كانت تلك الخطب وافية لما يقصد منها ، ولهذا وتقديرا منه لشأنها كان يسهم بنفسه فى تحضيرها فكان أول وزير ينفذ هذه الخطة .

وزارة الشئون الإجتماعية :

وضع تشريعا أن يكون زواج المعدمات ونزيلات الملاجىء - جميع تكاليفه - على حساب الدولة ، حماية لهذا الفريق الكبير من بنات الأمة من صروف الزمن ، ثم عالج أمر عدد كبير من

موظفى الوزارة التى تأخرت ترقياتهم ، فعمل على إنصافهم وإحقاق حقهم حتى ترتفع معنوياتهم ، وكانت أعماله فى الوزارة تتسم بالعطف على الصغير ورعاية الحرمات وجبر العثرات ، ورد اللهفات ، وفى جميع الوزارات التى شغلها لم تبارحه هذه الصفة فطالما أحسن إلى الناس وفتح أبوابه لذوى الحاجات يكلمهم فى هدوء المتواضع الرحيم .

وزارة المواصلات :

١) قام بتحسين ميناء الإسكندرية .

٢) أنشأ المدرسة البحرية التجارية لتخريج ضباط السفن .

٣) مصر الوظائف السياسية بالوزارة .

٤) وصل مصر بالسودان بالتليفون اللاسلكى .

٥) استردت الحكومة المصرية فى عهده خط سكة الحديد " العريش-رفح " من الإنجليز وقد ظلت تحت أيديهم يستخدمونها ويستغلونها خمسة عشر عاما ، رغم أنها كلفت مصر الملايين .

٦) لما كان من حق وزير المواصلات منح تصاريح مجانية للسفر على خطوط السكك الحديدية المصرية بالدرجة الأولى فإنه ألغى هذا الحق وآثر أن يستعمل فقط فى منح تصاريح بالدرجة الثالثة لطبقة صغار الكادحين والفقراء لأنهم أولى بالرعاية والمساعدة .

٧) كان لوزير المواصلات بحكم رئاسته لمجلس النقل المشترك مكافأة مقررة تضاف إلى مرتبه الأساسى ، فأصر على التنازل عنها لعدم رضائه عن فوضى المرتبات الإضافية ولتخفيف الأعباء عن الخزانة العامة .

وزارة الخارجية :

تولاها حينا بالإنابة وحينا آخر بالأصالة ، فى أوقات عصيبة ، أثناء عرض قضية مصر على مجلس الأمن ، فكان خير من قام بالعبء على الوجه الأكمل ، وكم كان يقيم المآدب فى داره

لرجال السلك السياسي والهيئات الدبلوماسية على حسابه الخاص ، دون أن يكبد الدولة شيئا

وحينما عرض عليه الأستاذ / يحى حقى أن يوقع بموافقة على بدل التمثيل المقرر له كوزير الخارجية تنازل عنه وقدره ٢٥٠٠ جنيه سنويا ، وعندما حذروه بأن ذلك سوف يعتبر تقليدا مقيدا للوزراء بعده ، أجابهم : هذه مسألة تقديرية ولغيرى ان يقبل او يرفض ما شاء ..

مواقفه السياسية المشرفة :

اولا : وقع على العريضة المشهورة التى رفعها زعماء المعارضة للملك فى مايو ١٩٥٠ وشارك فى المشورة حين وضعها ، وكانت العريضة نصحا للملك وترشيدا له ، للالتزام بالمبادىء الدستورية ورعاية مصالح شعبه ، وشجب المساوىء التى نجمت عن تدخل رجال الحاشية فى مصائر البلاد ومصالحها .

ثانيا : لم يستمع الملك إلى نصح الزعماء ، وحقد عليهم وانتظر منهم الإعتذار ولكنهم لم يعتذروا ، وتغيرت الوزارة فى ٢٧ يناير سنة ١٩٥٢ ، وتولى رئاستها على ماهر باشا وطلب ان يشترك رجال حزب الأحرار الدستوريين فى وزارته ، فأستشار الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، دسوقى أباظة باشا ، فى هذا الأمر ، فكان رأيه رفض الإشتراك فى الحكم طالما لم يستجب الملك لمطالب الزعماء الذين رفعوا إليه هذه العريضة ، كما أن الظروف التى دعت إلى رفع هذه العريضة لم تتغير ، وفى هذا نكوص على الأعقاب فى غير مقابل إلاّ كراسى الوزارة ، وهذا ما لم يرضه هو لكرامة حزبه ، فلما قيل له بعد ذلك ، أن الملك يطلب اعتذار من وقعوا العريضة عن عملهم ، ثارت ثائرته ، وقلما كان يثور وقال لمحمد حسين هيكل باشا :

" أرأيت ..... لقد كان يريد باشتراك الحزب فى الوزارة ، أن يعتبر هذا الإشتراك اعتذارا ، فلما لم نشترك ، صرح بما كانت تنطوى عليه نفسه ، والخير أن نُطَلِّقْ الحياة السياسية أو نقف الى جانب رأينا ."

ثالثا : موقفه فى صيانة الوحدة الوطنية بين عنصرى الأمة :

قال الدكتور نجيب اسكندر باشا فى حفل تأبينه :

أنه لما علم بقيام فتنة عنصرية فى مديرية الشرقية سنة ١٩٤٧ ، قام فورا إلى الزقازيق واقتطع الشر من جذوره ، وأحل السلام والوئام محل الفتنة والخصام ، مما دعاه المرحوم الأنبا متاؤوس مطران الشرقية والقدس إلى الإعتراف بفضله والتعبير عن عظيم تقديره وثنائه ، والإشادة بكفاءته ولباقته الفياضة ."

رابعا : **مواقف انسانية** : أعد فى قصره بالعباسية ، جناحا خاصا لإيواء الطلبة الجامعيين الفقراء من أبناء دائرته الانتخابية ، يقيمون فيها وذويهم حين زيارتهم لأبنائهم بالقاهرة ولعمرى إنها مأثرة نادرة لوزير مصرى فى جيله .

آثاره الأدبية

مقدمة :

كان دسوقى أباظة كاتبا ألمعيا ، ذا أسلوب بديع ، وطالما زينت جريدة " السياسة " صدرها بنقداته اللاذعة بتوقيع مستعار " الغزالى أباظة " ، ورغم أنه كان رجل سياسة ولكنه لم يكن حزبيا عند نفسه ولا عند الناس ، لأنه كان أديبا يجرى الأدب فى أصول نفسه الفياضة بالحب والتواضع والجود ، فكان صديقا للصحفيين على خلاف مآربهم ، حتى الذين كانت الإعتبارات الحزبية تدفعهم إلى مهاجمته .

وأهم آثاره الأدبية فيما يلى :

أولا : كان صاحب مدرسة أدبية حديثة ، ألف من أجلها جامعة أدباء العروبة سنة ١٩٤٦ والتى كان مركزها العام بالقاهرة ، وافتتح لها فرعا بالفيوم سنة ١٩٤٩ ، والزقازيق سنة ١٩٤٨

للعمل على إنهاض الحياة الأدبية فى مصر وتشجيع الناشئين على التقدم فى مضمار الأدب بتزويدهم بالخبرة ودفعهم إلى الإنتاج ، ومن هؤلاء الأدباء الذين تربوا على أدب " الغزالى أباظة " أحمد عبد المجيد الغزالى والعوضى الوكيل وغيرهما كثيرين .

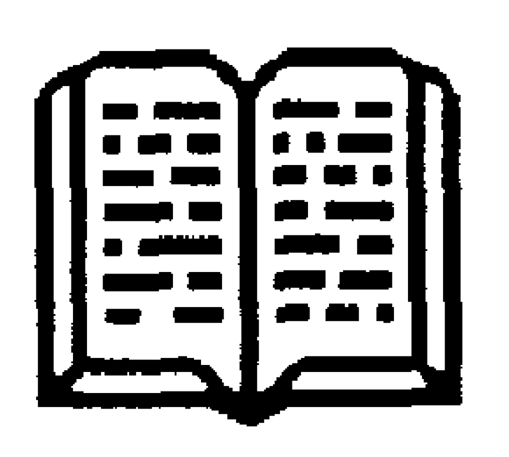
ثانيا : قام وحده بالدعوى إلى تخليد ذكرى شاعر النيل حافظ ابراهيم ، والإحتفال بها وكانت لجنة الإحتفال تتخذ من منزله مكانا مختارا ، وظلت اجتماعاتها تتوالى حتى كان الحفل لائقا لذكرى حافظ ابراهيم ، اجتمع له ممثلون من كل الأقطار العربية كما اشترك فى مناسبة أدبية بأكبر جهد مشكور ، كذلك فى ذكرى أمير الشعراء أحمد شوقى بك ، وكان صديقا لشاعر القطرين خليل مطران وقدم عنه دراسة وافيه وكانت داره محجه للشعراء المغمورين وصغار الكتاب ، يجدون عنده التشجيع والمساندة مما دفعهم على المثابرة ، وعجم عودهم الأدبى ، ونمو مواهبهم وملكاتهم الأدبية وليس أدل على ذلك من آخر مقال لدسوقى أباظة باشا فى مجلة الهلال بعنوان " الشاعر البقال " وهو عن شاعر مغمور، لا يعرفه إلا قلة من الاخوان، فلم تكن شخصيته لامعة فى المجتمع ، ومع ذلك أراد أن ينتشل هذا الشاعر فيكتب عنه مقالا ممتعا.

وبصفة عامة ، فقد شمل عطفه الأدباء فى حياتهم ، وأربى فشمل ذكراهم بالعطف بعد الممات ، فكم وسع الشاعرين " حافظ ابراهيم " ، وأحمد محرم وغيرهم فى عالم الذكرى .

ثالثا : أعاد للأدب ، عصر الرشيد ، وأقام له الندوات ، يجتمع فيها الشعراء والكتاب ، يكتبون ويخطبون ويتناشدون ، ويتنقلون بين أعطاف الوادى الرحيب ، حتى أحب سوق عكاظ وألبس الأدب حلة بهيجة ، تبلى الأيام ، وتبقى زاهية نضيرة .

رابعا : حقيقة أن ظروف دسوقى باشا ، ومشاغله الكثيرة ، لم تتح له طبع إنتاجه الأدبى الوافر ، لاسيما مقالاته المتناثرة فى شتى الصحف والمجلات ، منذ العقد الأول من هذا القرن ومع ذلك فقد أخرج فى سن مبكرة كتاب " حديقة الأدب " سنة ١٩٠٨ ، ضمنه ما كتبه وما نظمه فى تلك الفترة من حياته ، مما سبق الإشارة اليه فى موضع سابق .

وقد افتتن منذ نعومة أظفاره بالأدب ، حتى أنه أثناء سياحته بالخارج ، و" بصفة خاصة " " زيارته إلى القسطنطينية " فى شبابه المبكر ، لم تفتنه مغانى البسفور ، ولا الشط الذهبى ومغانيه ، ولكن تناول القلم ليكتب إلى صحف مصر انطباعاته عن الرحلة والظروف السياسية التى كانت تعانيها الدولة العثمانية ، وحروبها فى البلقان فى أوائل هذا القرن ، وقد عرفه الناس باسم " الغزالى أباظة " منذ أن كان طالبا ، كاتبا بارع الأسلوب ، مشوق الديباجة عميق الفكرة ، يدير المعانى السياسية فى عبارات قوية الأداء ، متينة النسيج ، تنطوى على الفكرة الجادة فى موطن الجد ، وتتقمص الفكرة الساخرة ، حين ينفع التهكم وتجدى السخرية .. وقد تأثر بهذه الأساليب المرنه التى ابتدعها " الغزالى أباظه " كثيرون من الكتاب ، فى جيله فى معالجة أعوص المشاكل السياسية .



ثــروت أبــاظــة
الأستاذ الأديب
١٩٢٧ -

هو أحد أقطاب القصة العربية فى مصر ، وأحد عمالقة الأدب ، جمع فى شخصه المواهب المتعددة التى امتازت بها الأسرة الأباظية العريقة ، بل هو المحصلة التى تمثل جميع ما أمتاز به الأباظيون فى الخطابة والشعر والفن الروائى والنبوغ الصحفى والتأليف الأدبى ، وهو الأديب الوحيد فى هذه المجموعة من أدباء الأسرة الأباظية الموجود على قيد الحياة بيننا (أمد الله فى عمره) ونفع به مصر والأقطار العربية والأدب العالمى جميعا .

وهو يحتل حاليا المناصب الآتية :

أولا : وكيل مجلس الشورى

ثانيا : عضو هيئة المجلس الأعلى للثقافة والفنون .

ثالثا : رئيس اتحاد الكتاب .

رابعا : سكرتير عام نادى القصة .

خامسا : عضو نادى القلم الدولى .

سادسا : مقرر لجنة بالمجالس القومية المتخصصة وعضو شعبة الآداب بها .

سابعا : رئيس تحرير القسم الأدبى بصحيفة الأهرام كبرى الصحف العربية فى الشرق العربى .

ثامنا : عضو المجلس الأعلى للإذاعة .

امتيازاته :

---

١) أول أديب مصرى يحصل على جائزة الدولة التشجيعية فى القصة عن روايتـه (هارب

من الأيام) فى سنة ١٩٥٩ مع وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى .

٢) نال جائزة الدولة التقديرية فى الأدب سنة ١٩٨٤ والتى تسلمها فى فبراير سنة ١٩٨٤ وألقى بالنيابة عن الفائزين فى فرع الآداب كلمته البليغة عن الحرية التى أصبحت مكفولة للفكر والإبداع فى عهد الرئيس محمد حسنى مبارك ، وتحدث أيضا عن دور اللغة العربية وآدابها فى توثيق أواصر العروبة ثم عرج على جوانب من همومنا الثقافية وعن غياب الدور القيادى للكتاب ، ونادى بتيسير طبعه ونشره ، وأن تعود للمكتبات دورها الذى لعبته تمكينا للمعرفة درءا للهبوط .

٣) كتب نحو ثلاثين مؤلفا أغلبها فى الرواية والقصة القصيرة .

٤) أغلب أعماله الإبداعية أعدت للسينما والتليفزيون والإذاعة .

٥) بدأ نشر إنتاجه الأدبى فى المجلات والصحف منذ كان فى السادسة عشر من عمره .

٦) بعد أن نال ليسانس الحقوق وعمل فى المحاماة فترة قصيرة ، تفرغ للنشاط الأدبى والصحافة .

نشأته :

ولد ثروت أباظة فى ٢٨ / ٦ / ١٩٢٧ ببلدة غزالة ، بمركز الزقازيق ، ونشأ فى بيئة أدبية ممتازة فوالده المرحوم دسوقى ابراهيم أباظة باشا شاعر وأديب ، وكان من الرعيل الأول من رجال الحزب الوطنى ، امتزجت بدمه أثارات الوطنية الملتهبة ، التى امتاز بها الزعيم الوطنى الخالد مصطفى كامل وتلاميذه (مما هو مبين فى تاريخ سيرته فى هذا الكتاب) وعمه المرحوم عزيز أباظة باشا من أعلام الشعر العربى الحديث والشعر المسرحى بخاصة ، ولا غرو فى أن يكتسب الفتى من بيئته الأدبية الممتازة ، العناصر الكفيلة بعجم عوده ، وحفز ملكاته وصقل مواهبه ، وبعد أن أتم دراسته الثانوية التحق بكلية الحقوق التى تخرج فيها عام ١٩٥٠ .

ومارس مهنة المحاماة فترة من الزمن ، ثم تفرغ لنشاطه الأدبى كلية .

اتجه أول ما اتجه فى نشاطه الأدبى إلى كتابة المقال الصحفى منذ أن كان طالبا ، ولعل المقال الأول الذى حظى بتقدير النقاد هو مقالة " حب المنطق " الذى نشر بمجلة الرسالة العدد ٧٩٧ فى ١١ / ١٠ / ١٩٤٨ ومنذ أن أتجه للأدب ، وثق علاقته بندوات الفكر والمساجلات الأدبية والثقافية ، التى كانت تعقد آنا فى بيت الأسرة ، وآنا آخر فى المجالس الأدبية فى الخارج ، وكان لذلك تأثيره فى تكوين ملكاته الأدبية ، وتعميق رؤياه الإبداعية .

ثم اتجه بعد ذلك إلى كتابة القصة والتمثيلية الإذاعية ، وبدأ اسمه يتردد فى محطة الإذاعة مؤلفا إذاعيا ، ثم اتجه إلى القصة الطويلة ، فكتب أول قصصه (ابن عمار) سنة ١٩٥٤ وكان ذلك بعد أن حثه الأديب الكبير محمود بك تيمور بولوج هذا المضمار من الأدب ، وقصة ابن عمار تعالج العلاقات الانسانية السياسية فى بلاط الملك الاندلسى المعتمد بن عباد ، ووزيره بن عمار ، ومما يذكر عن هذه القصة ، أن الأستاذ فتوح نشاطى المخرج المسرحى المعروف أو عز اليه أن يعرضها على المسرح ، وبالفعل قدمها للأستاذ الفنان المشهور يوسف وهبى الذى كان مديرا للفرقة القومية آنذاك ولكن لظروف خاصة لم تحظ قصة ابن عمار بتمثيلها على المسرح ولكن ذلك لم يثنه عن هدفه ، فأخرج للمسرح مسرحيتين ممتازتين هما :

أ - الحياة لنا ب - حياة الحياة

اشتغاله بالصحافة :

وقد بدأ اشتغاله بالصحافة المنظمة بجريدة المصرى الغراء (وذلك قبل الثورة) واختار عنوانا لعمود صحفى خاص به وهو " أضواء " كما أسهم فى تحرير جريدة المقطم بعامود صحفى أطلق عليه اسم " البرج الخشبى " يبعث من خلاله مقالاته إلى الجمهور ، ممتزجة بأهدافه والمبادىء التى تكمن فى طوايا نفسه ، وما يرجو تحقيقه من دواعى الإصلاح الأدبى

والإجتماعى ومقالاته تحوى كثيرا من الحلول للمشاكل الإجتماعية التى كان يعانى منها المجتمع المصرى فى عهده .

وهو حاليا رئيس القسم الأدبى بأكبر جريدة عربية فى الشرق وهى الأهرام ، وكان قبلها رئيسا لتحرير مجلة الإذاعة ، بعدما تمرس فى ألوان شتى من الكتابة الصحفية ، وعالج فنون عديدة منها فى شتى الصحف والمجلات . وتمتاز مقالاته التى يمتع بها قراء الأهرام بالعمق والتحليل الدقيق فى كل ما يعن له من مشاكل وموضوعات أدبية وسياسية وإجتماعية ودينية وثقافية .

كما ان له ديوان شعر لم يطبع حتى الآن ، كما أنه خطيب بارز ، طالما هز القلوب والأسماع بخطاباته العربية البليغة ، كما امتاز فى أدب المحاضرة ، يحاضر فى الجمعيات الأدبية والندوات والمؤتمرات التى تعقد فى كل مكان من أنحاء الوطن العربى . وكلما حط رحاله فى أوربا استضافته محطات الإذاعة بعواصمها ليدلى بأحاديثه الشيقة ومحاضراته عن النشاطات الأدبية فى العالم العربى وآرائه الأدبية الخاصة، ناشرا أعلام الأدب فى كل مكان .

قال عنه أحد الكتاب :

ظل ثروت أباظه ممسكا بالقلم ما يزيد عن ثلث قرن ، لا يكتب إلاّ ما يعتقد أنه الحق ، ولا يخط إلاّ ما يمليه عليه ضميره ، وشعوره الوطنى ، وما رأينا قلمه يوما ذل أو هوى ، اجتلابا لمنصب أو سعيا وراء جاه ، وإنما ظل مترفعا أبيا ، وعوقب عن هذا الترفع وعن هذا الأباء ، بأن ظل بعيدا عن المناصب ، لم تفتح له أبوابها فى جريدة أو مجلة فى الوقت الذى ملأ الساحة الأدبية والفنية وشغل الأذهان بما كتب وأبدع .

ومن خواطره هذه نحس أننا جالسون إلى موسيقار يعزف لنا ألحانا متنوعة ، بعضها فيه شفافية الصوفى ، ورقة الشاعر ، وبعضها فيه زئير المحارب وصليل الأسلحة ، ومرد هذا أن الكاتب الكبير إن رأى الحق أيده . وأطلق كلماته ترف رفيفا ساجيا يبهر ثم يسحر وإن رأى الباطل نهره وأرسل عليه ريحا صرصرا عاتية ، وهو فى تأييده للحق وتقييده للباطل ملتزم بما

تفرضه عليه خلائقه وضميره ووطنيته ولهذا كانت معاركه ضد الشيوعية فيها معانى المجالدة والقتال .

المؤثرات التى تفاعل بها ثروت أباظة :

يقول الأستاذ عبد العزيز شرف فى كتابه النماذج البشرية فى أدب ثروت أباظة عن هذه المؤثرات ما يأتى :

" ولا شك أن المناخ الذى أحاطه به والده منذ نشأته ، كان له تأثيره البالغ فى تنمية رؤياه الإبداعية ، فقد مهدت له بيئته وصقلته ودفعته وأدت إلى تكوين اتجاه إيجابى نحو الذات يتضح ذلك من التجاوب بين ثروت أباظة ونفسه فيما يكتبه ، وبينه وبين الطبيعة ، وبينه وبين ما يتلقى آثاره الأدبية ويتأملها .

هذا التجاوب ضرب من المشاركة الوجدانية وهو أيضا تجسيد لذلك الإتجاه الإيجابى نحو الذات ، الذى يحرك الفنان ثروت أباظة عندما يكتب كما انه يحرك نفس جمهوره المتلقى .

ولقد تأثر ثروت أباظة بالمناخ الأدبى داخل أسرته ، فى تكوين ثقافته ودفعه إلى الانكباب على الاطلاع منذ حداثته ، لذلك كان للمناخ الذى أحاطه به والده منذ نشأته ، تأثيره البالغ فى تنمية الملكة الأدبية عنده وهو يؤكد أيضا أن اتجاهه إلى الأدب كان يتربص به فى طوايا الطريق " لأنه ولد معه " ، فليست هناك قوة مهما كان شأنها ، تستطيع أن تصنع كاتبا ، ولا يملك هو فى تكوينه الذاتى معدات ان يكونه .. يستطيع المناخ أن يمهد ... أن يصقل .... لكنه غير قادر أن يخلق ما ليس موجودا .

الفن الروائى عند ثروت أباظه

يذهب التحليل الوظيفى للفن الروائى إلى تأكيد مسئولية الكاتب الإجتماعية ، ذلك لأن رسالة الفن تفرض على الفنان مكانا متميزا لمسئوليته الأخلاقية تجاه المجتمع . والفن الروائى يؤدى هذه الرسالة عن طريق تصوير التجارب الإنسانية فى تمام عمقها وسعتها وقوتها .

ومن دراسة الفن الروائى فى أدب الكاتب الكبير ثروت أباظة ، نصل إلى هذه النتيجة ، ولا نكون مبالغين حينما نقول أن أدبه يمثل أساسا من أسس التراث الجمالى للمجتمع المصرى المعاصر وكيانه الحضارى ، فالفن الروائى – فى أدبه – إنما ينبع من صميم الحياة ، تنحصر غايته فيها على النحو الذى يذكرنا بقول علماء الجمال :

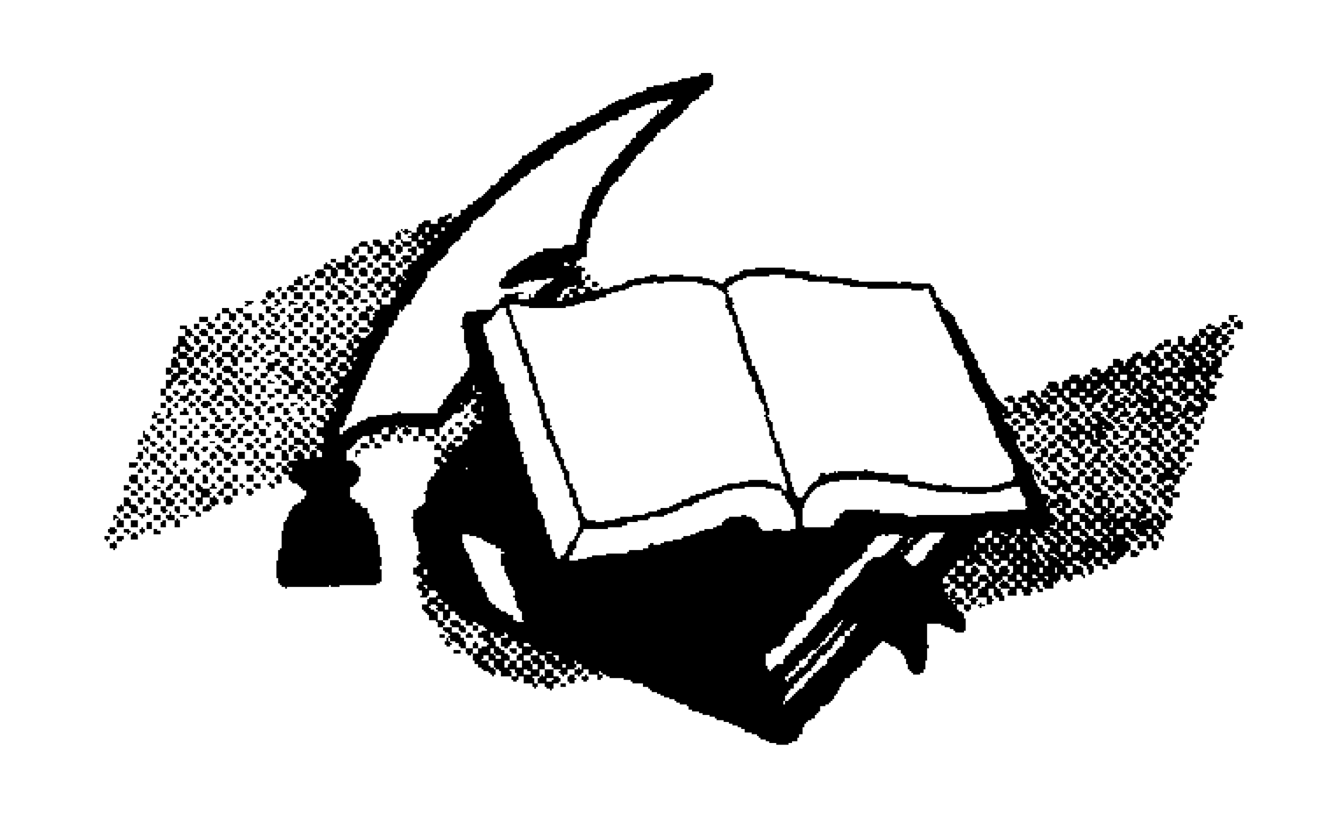
" الفن هو الحياة نفسها مركزة "

إن الكاتب عندما يتهيأ لكتابة عمله ، كأى صانع آخر يحاول أن يخلق صورة وحكاية لحياة الانسان على الارض ، ويحاول أن يجعل من قصته – اذا صح القول – نموذجا حيا للحياة كما يراها ويشعر بها ، فتتضح بها آراؤه – بما يختار ويصور من الشخصيات أو المواقف التى يضعهم فيها والكلمات التى يختارها للتعبير عن تلك المواقف ، وهو ما نلاحظه بوضوح فى أعمال ثروت أباظة وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ ، وان كان كل واحد من ثلاثتهم يمثل اتجاها فنيا ومدرسة متميزة فى الفن الروائى ، ولكنهم يشتركون فى الإطار العام من حيث التعبير عن الكيان الكلى للمجتمع بقيمه وغاياته ، ومثله العليا .

كما نتعرف فى أدب ثروت أباظة على الوظيفة الروحية للفن الروائى فى مواجهة المجتمع المعاصر الذى يقوم على تبادل المنافع المادية ، وقد طغت على أفراده الروح المنفعية ولكنه مع ذلك يؤدى هذه الوظيفة من خلال أسلوب فنى يبيح للشخصيات أن تعبر عن وجهة نظرها ، ربما تتعارض ولكنها تتكامل فى مواجهة الإتجاه المادى فى الحياة .

وهذه الوظيفة الروحية ، من أهم وظائف الفن الروائى التى يؤديها ثروت أباظة بصفة خاصة

بأسلوبه المتميز ، فى نقل التجارب الانسانية ، وتصويرها فى تمام عمقها وسعتها وهى التجارب التى تؤدى بدورها - وفقا للتحليل الوظيفى - إلى المساهمة فى ربط المشاعر بين الناس ، وخلق روح المشاركة الوجدانية بين الفرد والمجتمع ولذلك فإن المؤرخ الاجتماعى يستطيع أن يجد فى أدب ثروت أباظه مادة خصبة فى دراسة المجتمع المصرى المعاصر ، وما يرفضه من اتجاهات سلبية تضر بالكيان الاجتماعى العام .



فن القصة فى أدب ثروت أباظه
نظرة تحليلية

اولا : - إن حياة مصر خلال الثلاثين عاما الماضية قد جسدتها الشخصيات التى صورها فى أعماله التى صدرت خلال هذه السنوات ، والتى تصور التاريخ الاجتماعى للمجتمع المصرى أصدق تصوير ذلك أن ثروت اباظه ينقل الواقع المصرى ويترجمه فنا وأسلوبا على ذوق أدبى رائع متوسلا بوسائل فنه القصصى ، فى تصوير النماذج الانسانية العامة فى أدبه مستوحيا فى خلقها الواقع المصرى مستعينا بالتجارب التى عاناها هو أو لاحظها ، وهنا تندمج الشخصيات فى رؤياه الإبداعية ، بالمواقف الأدبية والانفعالية .

ثانيا : - الفن القصصى فى أدب ثروت أباظه يتميز بوحدة موضوعية تتيح لأجزاء القصة تحقيق الخبرة الشعورية ، حينما تندمج مع باقى خواص العمل الروائى ، بحيث يمكن القول بأن هناك علاقة متبادلة بين فن الرواية وفن التصوير .

ثالثا : - تمتاز رؤياه الإبداعية بسمات من الإخصاب الفكرى والوفرة الثقافية التعددية والإحساس بالمسئولية تجاه الحياة وتجاه الأجيال ، فضلا عن قدرة فائقة على التحليل النفسى لنماذجه البشرية الأمر الذى يجعل أعماله الإبداعية تتسم بالجمال والصدق .

رابعا : - يكشف الأدب القصصى لثروت أباظه عن قدرة لغوية فائقة ، ومعرفة كاملة باللغة العربية وجرسها وموسيقاها ، وأثر كل لفظ من ألفاظها على الأذن والنفس .

السلوك الانسانى فى أبطال قصص ثروت أباظه :

اولا : يعتمد السلوك الانسانى فى النماذج البشرية التى احتوتها قصصه ، على المفهوم القائل بأن السلوك هو عملية مواجهة للانسان فى المواقف المختلفة ، التى يتعين عليه اجتيازها

منذ طفولته حتى مماته . والانسان فى سلوكه طول حياته يحاول الأقلمة المستمرة بين غرائزه وانفعالاته من جهة والمحيط الخارجي الذى يتعامل معه سواء كان اجتماعيا او طبيعيا .

ثانيا : تتميز النماذج البشرية فى أدب ثروت أباظه (قصصه) بالمواجهة بين الذات التى تنبعث منها الطاقة فى شكل سلوك والوسط الذى تعيش فيه ، وهذه المواجهة تفترض رد فعل معين يأخذ صورة وقائع أو استجابات ، من خلالها تسعى الذات فى سبيل تحقيق رغباتها بأسلوب معين او لدرجة معينه . هذه الاستجابات هى التى تمثل قمة التطور الذاتي في السلوك البشرى .

ثالثا : السلوك الانساني عند نماذج ثروت أباظه هو نتيجة صراع الانسان بينه وبين نفسه وما يتمخض عن هذا الصراع هو لب هذا السلوك ومحوره .

رابعا : يعبر السلوك البشرى عند نماذج ثروت أباظه عن نفسه تعبيرا خارجيا ، وهو حريص على تصوير العوامل التى شكلت هذا السلوك وتحدد صورته وتوقيته .

اسلوبه التعبيرى ومميزاته :

انفرد ثروت أباظه بطريقة فى التعبير عن أفكار اجتماعية تتسم بالعمق والأصالة ولكن تخلو من ضروب الادعاء ، إلى حد جعل النقاد يتجاهلون مضمونها الخصيب تماما كما فعلوه مع تشيكوف .

وهم فى تصورهم أنه يتناول الموضوعات الأدبية الروتينية فى قصصه ، كالحب والوحدة التى يعانيها البشر ، ومشاكل الصراع فى الحياة والخير والشر الخ ..... ولكنهم لم يفطنوا إلى أن هذه الموضوعات التى طرقها ثروت أباظه تحجب تحتها تيارا خفيا ، جديدا كل الجد ة ، أصيلا كل الأصالة ، بحيث يمكننا أن نرى لأدبه فضيلة التسجيل المخلص لسمات عصره ، والحفاظ على أبرز تمثيل للأخلاق والتعبير عنها .

كما نجد فى أدب ثروت أباظه ان الأحداث والأفعال التى تفرضها العقدة على الشخصية مطابقة للشخصيات كما رسمها هو ، الأمر الذى يجعل عقدة قصصه تتم كنتيجة طبيعية للدوافع والحوافز الكافية في قلوب هذه الشخصيات وعقولها كما تصورتها هذه الشخصيات فهو حين يريد لكمال الطبال أن يقوم بأعمال العنف يكشف لنا أولا عن قدرة هذه الشخصية على ارتكاب أعمال العنف بحيث يشعر القارىء ان أعمال كمال الطبال أو عتريس تنسجم ومزاج كل شخصية منها وتطابق طبيعتها .

ويمكن القول أن النماذج البشرية تتميز بما يمكن التسميه " الصدق فى الشخصية " بمعنى انسجام الأفعال التى تؤديها الشخصية مع طبيعتها كما صورها لنا الكاتب .

التصوير الادبى للانحراف الاجتماعى فى قصصه :

يشمل التصوير الأدبى المناهج الآتية :

أ - منهج الانحراف الشخصى بشتي صوره وأنواعه .

ب - منهج الاختلال الاجتماعى .

ج - منهج الصراع بين القيم .

رئيس اتحاد الكتاب :

قام ثروت أباظه بجهد جبار ، فى سبيل انجاز هذا المشروع الضخم ، وهو إنشاء أول اتحاد للكتاب فى مصر ، يعمل على تمكين الكتاب فى مجالات الانتاج الفكرى فى الأداب ، من أداء رسالتهم فى بناء المجتمع الجديد وتحقيق الوحدة العربية الشاملة وفى الإسهام فى إقرار السلام العالمى وإثراء الحضارة العربية ، وكان الرئيس الثانى له بعد الاستاذ توفيق الحكيم .

ومن أهم أغراض هذا الاتحاد ما يلى :

١ – الحفاظ على اللغة العربية ورفع مستواها بين أبناء الوطن العربى .

٢ – العمل علي رفع مستوى الانتاج الفكرى فى الآداب .

٣ – العمل على تأكيد الانتماء العربي والمشاركة فى نشر الجيد من التراث العربى وإيضاح دور الرواد العرب فى بناء الحضارة الاسلامية .

٤ – الاسهام فى ترجمة الجيد من الانتاج الفكرى العربى ، الى اللغات الأجنبية ونقل وقائع الانتاج العالمى إلى اللغة العربية .

٥ – رعاية الأدباء من اعضاء الاتحاد والعمل على ترقية شئونهم الأدبية والمالية ودفعهم فى مضمار الانتاج لبذل أقصى جهودهم وإبداع مواهبهم وتنميتها والمعاونه فى نشر مؤلفاتهم فى الداخل والخارج .

٦ – تشجيع الكتاب الشبان على إبراز مواهبهم ومساعدتهم على نشر إنتاجهم وترويجه .

٧ – العمل على التعريف بإنتاج الكاتب فى الداخل والخارج .

٨ – الدفاع عن حقوق المؤلفين فى الجهات الحكومية والأهلية .

٩ – تقوية روابط الزمالة بين الأعضاء والربط بين الكتاب المغتربين من العرب وبين الوطن الأم وعقد المؤتمرات والحلقات والندوات في مجالات الأدب .

١٠ – اقتراح تطوير اللوائح والتشريعات التى تخدم مهنة الكتابة .

١١ – التعاون مع الجمعيات والروابط العامة فى ميادين الآداب كل فى مجاله لتحقيق هذه الاهداف وتنسيق جهودها فى هذا السبيل .

مؤلفات الأستاذ ثروت أباظة

فى الرواية :

١- إبن عمار ١٩٥٤

٢- هارب من الأيام ١٩٥٦

٣- قصر على النيل ١٩٥٨

٤- ثم تشرق الشمس ١٩٥٩

٥- لقاء هناك ١٩٦٠

٦- الضباب ١٩٦٤

٧- شيء من الخوف ١٩٦٦

٨- أمواج بلا شاطىء ١٩٧١

٩- جذور فى الهواء ١٩٧٥

١٠- أوقات خادعة ١٩٧٥

١١- خائنة الأعين ١٩٧٥

١٢- نفوس من ذهب ونحاس ١٩٧٩

١٣- خيوط من السماء ١٩٨١

١٤- طائر فى العنق ١٩٨٢

١٥- أحلام فى الظهيرة ١٩٨٣

١٦- لؤلؤ وأصداف ١٩٨٤

١٧- النهر لا يحترق ١٩٨٦

عدا روايات أخرى صدرت بعد ذلك .

المسرحيات :

١- الحياة لنا سنة ١٩٥٥

٢- حيات الحياة ١٩٦٧

المجموعات القصصية :

١- الأيام الخضراء ١٩٥٥
٢- ذكريات بعيدة ١٩٦٣
٣- هذه اللعبة ١٩٦٧
٤- حين يميل الميزان ١٩٧٠
٥- لأنه يحبها ١٩٧٧
٦- السباحة فى الرمال ١٩٧٨
٧- نوع من الحب ١٩٧٥
٨- وبقى شىء ١٩٧٩
٩- من أقاصيص العرب ١٩٦٩

البحوث الأدبية :

١- السرد القصصى للقرآن
٢- القصة فى الشعر العربى
٣- الشباب والحرية
٤- شعاع من طه حسنين
٥- خواطر ثروت أباظه

الكتب المترجمة :

١- فى مغيب القمر لشتاينبيك
٢- عذراء اللورين لماكسويل أندرسون
٣- دورة اللولب لهنرى جيمس

الاسرة الرافعية

١- الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعى بك

٢- الأستـاذ الكبير امين الرافعى بـك

٣- الأستاذ الكبير مصطفى صادق الرافعى

يشتهر أفراد الأسرة الرافعية بالتقوى والورع والتمسك بمبادىء الشريعة الغراء ، ولا غرو فى ذلك قد كان والد عبد الرحمن الرافعى بك والشيخ عبد اللطيف الرافعي الذى تقلب في وظائف القضاء الشرعى بالبلاد الى أن وصل إلى منصب مفتى مدينة الاسكندرية ، ولعله كان رئيس نائب محكمتها الشرعية الكلية لأن الإفتاء من مهام رواد المحاكم .

وتولى جميع أفراد الأسرة الرافعية وظائف القضاء الشرعي فى البلاد منذ وصول جدهم الاكبر الشيخ عبد القادر الرافعى من طرابلس الشام الى مصر وقام بالتدريس في الجامع الأزهر وتولى مشيخة رواق الشوام بعد وفاة أخيه الشيخ محمد الرافعى ثم أسند إليه الخديوي عباس حلمى منصب الإفتاء بعد وفاة الامام الشيخ محمد عبده ولكنه مات فى اليوم الثالث من تعيينه .

هذه الأسرة الكريمة نبيلة المحتد ، العريقة فى أصول الدين أنجبت ثلاثة من كبار الأدباء ، اختص عبد الرحمن بالادب والسياسة والتاريخ الوطنى ، وأمين بالصحافة السياسية وتفرغ مصطفى صادق الرافعى للأدب والزود عن العربية .

وينتهى نسب الأسرة إلى عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء الراشدين رضى الله عنه (١) .

---

(١) كتاب " منسيون ومشهورون - فتحى رضوان - مطبعة أخبار اليوم .

عبد الرحمن الرافعى
١٨٨٩ - ١٩٦٦

مفكر من روائع المفكرين ، وسياسى خاض غمار السياسة عن شعور وطنى قوى ، وأغراض مثالية شريفة ، ومحام ناجح لم يكن حسابا على المهنه بل كانت المهنه حسابا عليه . فوهبها حياته وشبابه وترك فيها جميل المآثر ، والتقاليد لينسج على منواله من شاء بعده من أجيال المحامين . فمن اقتفى اثره وسار على غراره ، وصل الذروة فى النهج السوى الذى يلتزم به أفاضل المحامين .

وكاتب لامع طالما حليت صفحات الجرائد والمجلات بمقالاته السياسية والقانونية والوطنية .

ومؤرخ عملاق ترك موسوعة تاريخية أصبحت منهلا للواردين ومرجعا للباحثين . حصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٦٢ بوصفه المؤرخ الأول للحركة القومية .

ولد عام ١٨٨٩ بحى القلعة بالقاهرة وأتم دراسته الابتدائية والثانوية بالاسكندرية ودخل مدرسة الحقوق ، وكان أثناء دراسته يتردد على الزعيم الخالد مصطفي كامل باشا ويستمع بإصغاء كامل لخطابته وقد اقترب منه جدا حتى أن الزعيم / مصطفى كامل لما لمسه في مريده من إخلاص اعتزم على إرساله إلى فرنسا فى بعثة - صحفية - ليتخصص فى فن الصحافة وذلك بعد تخرجه ، ولكن المنية عاجلته في العاشر من فبراير ١٩٠٨ أى قبل تخرج الرافعى من مدرسة الحقوق ببضع شهور . عقب تخرجه عمل بالصحافة ثم تحول بعد ذلك إلى المحاماه . وافتتح مكتبا له بالزقازيق ثم - بالمنصورة - ثم انتقل إلى القاهرة فى مكتب المرحوم محمد زكى على محامى الحزب الوطنى النابغ ، حينما عين مستشارا بالحكومة - وظل فى هذا المكتب حتى أخريات أيامه ، حيث أرغمه الداء العضال أن يركن إلى البيت ويصفى أعماله القضائية وذلك فى غضون عام ١٩٦٣ - ثم انتقل إلى رحمة الله عام ١٩٦٦ .

نشاطه السياسى :

كان من تلاميذ الزعيمين الخالدين مصطفى كامل ومحمد فريد واشتعل بلهيب الوطنية وكان وفيا للمبادىء التى تلقاها عنهما وسجل الحركة القومية فى موسوعة ظهر الجزء الأول منها عام ١٩٢٩ وذلك حينما كان يفكر فى إصدار كتاب عن الزعيم مصطفى كامل ولكنه وجد أن الأمر فى التاريخ لمصطفي كامل لا يستقيم الا بتقصى شعلة الحركة الوطنية منذ ظهورها الأول فى مقاومة الحملة الفرنسية – ولذلك نجد الموسوعة تتابع الحركة الوطنية منذ ذلك العهد حتى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

اشترك فى ثورة ١٩١٩ واصطدم بالملك السابق فؤاد عند اصداره كتابه عن الخديوى اسماعيل وفيه كثير من النقد ، فمنع الملك نشر هذا الكتاب كما اصطدم بالملك السابق فاروق حينما أصدر كتابه عن أحمد عرابى ولم يظهر فى السوق الا بعد الثورة .

تولى منصب نقيب المحامين فى الخمسينيات ، فكان من النقباء المثاليين خدم النقابة وخدم زملاءه المحامين .

ودعته حلبات العلم والفقه القانونى ليحاضر فلبى دعوتها غير كاره . وناقش النوابغ من طلاب الحقوق فى بحوثهم القانونية المقدمة لنوال الماجستير . فكان خير مناقش ، وأفاد وأجاد ، وناقش وتابع فكان رأيه الحصيف وتوجيهه الذكى نبراسا وملهما للجان التحكيم ، كما شاهدته قاعات معهد العلوم السياسية (فى أول إنشائه) محاضرا نابغا وأستاذا أصوليا استنار على وهج علمه وعبقريته الكثير من الطلاب الذين وفدوا الي هذا المعهد للتزود بأسلحة العلوم السياسية والدبلوماسية للعمل فى محيط العمل السياسي والتمثيل الدبلوماسى .

ولكن صاحب هذا العلم المدرار والقلم الخصيب لم يقتصر نشاطه على المحاماه وتدوين المرافعات وبحث القضايا بل جاب فى ميدان آخر واسع نادرا ما تجوب فيه أقلام المحامين و ذلك هو ميدان التاريخ ، وبالذات تاريخ مصر القومى الذى ألمحنا عنه سابقا . وبعد أن فرغ من

كتابة هذا التاريخ حتى العشرة الأولى بعد حكم الثورة ١٩٥٢ ارتد نظره إلى الخلف إلى تاريخ مصر القديم يتقصي الشعور الوطني منذ أحقاب التاريخ المتناهية فى القدم ، ولكن المنية لم تمهله فقد غادرها إلى رحاب الله وقلمه لم يجف مداده وهو فى مضمار البحث والتنقيب .

مواقف عامة فى حياته :

١- اتصاله الوثيق بالزعيم الوطني محمد فريد - واقترابه منه كثيرا ، فسافر معه الى روما سنة ١٩١١ ، لحضور مؤتمر السلام وزارا معا فرنسا والمانيا والنمسا ، وتراسلا حينما أوقع محمد فريد بك بنفسه عقوبة النفى الاختيارى سنة ١٩١٢ - وبقى منفيا سنتين حتي اندلعت الحرب العالمية الأولي فى أغسطس ١٩١٤ - فأصبح النفى إجباريا وظل محمد فريد فى - أوربا - حتى وافاه الأجل المحتوم فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٩ - فى غربته الموحشة فى برلين .

ومحمد فريد - وهوفى واقع الأمر - مؤسس مدرسة العمل السرى ضد الاحتلال البريطانى ، فكان عبد الرحمن الرافعى بحكم صلته الوثيقة به وتأثره الشديد بشخصيته وأسلوبه فى العمل الوطنى أحد أركان هذه المدرسة التى ضمت أيضا شفيق منصور وأحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى وحسن كامل الشيشيني ، وغيرهم .

ولذلك لما شبت ثورة ١٩١٩ لعب عبد الرحمن الرافعى دورا هاما فى تأجيج نارها وتوزيع منشوراتها والاشتراك فى حلقات وخلايا الاغتيال السياسي الذى وجه إلى البريطانيين وأعوانهم

وقد قدر المحامون دوره الخطير فى الثورة فلما اجتمع مجلس نقابتهم برئاسة المحامى أحمد لطفى وكيل الحزب الوطنى فى ١١ / ٣ / ١٩١٩ ضم إليه عبد الرحمن الرافعى مع غيره - وأصدر قرارا بإضراب المحامين لمدة اسبوع ، وكان هذا أول إضراب فى الثورة ، فقد تلاه إضراب المحامين الشرعيين ثم إضراب عمال العنابر فى ١٥ مارس ثم أعقبت ذلك مظاهرة السيدات فى ١٦ مارس - ولما حدثت مظاهرة المنصورة فى ١٨ / ٣ / ١٩١٩ ، تلك المظاهرة

الدامية التى أطلق الرصاص فيها على المتظاهرين وقتل تسعة عشر منهم ، وكان عبد الرحمن الرافعي بك آنذاك في القاهرة ، نما إليه أن قائد القوة العسكرية البريطانية فى تلك المنطقة أنذر سكان المدينة بأنه إذا حدثت مظاهرة أخرى فإنه سيلقى ممسئوليتها على أربعة منهم عينهم بأسمائهم وهم : محمود بك نصير - الدكتور محمود سامي - الاستاذ عبد الوهاب البرعى ، الاستاذ / عبد الرحمن الرافعي ، وانه سيأمر بضربهم بالرصاص .

وكان ذلك حافزا للرافعى على السفر إلى المنصورة لتعهد الروح العامة فيها رغم ما فى ذلك من خطورة على حياته بعد هذا الإنذار الخطير .

٢- قطب المعارضة النيابية عام ١٩٢٤ :

دخل الرافعى مجلس النواب بعد نجاحه بأغلبية ١٧٢ صوتا عن دائرة المنصورة فـفتح مع زميله عبد اللطيف الصوفانى صفحة ذات أهمية كبرى فى حياتنا البرلمانية - وقد نهض هذان الوطنيان بعبء المعارضة النيابية الرشيدة والقائمة على أسس دستورية أصيلة فى أول مجلس نواب دستورى مصرى ينتخب فى القرن العشرين وكانت أغلبيته الساحقة وفدية .

وقد نجحا فى الاضطلاع بمهمة المعارضة الشريفة أيما نجاح فراحت هذه المرحلة من الحياة النيابية في بلادنا مثلا رائعا فى المعارضة التى توجه الحكومة ولا تحاول إحراجها لإسقاطها .

وتتحدث بروح المواطن المحب لبلاده الذى يبصر بالأخطاء دون أن يمد بصره إلى مغنم ولا ربح . والحق أن الصوفانى والرافعى لم يكن يمكن أن تساورهما مطامع من أى نوع فقد كان عدد نواب الحزب الوطنى فى هذا المجلس أربعة - وأقلية بهذا القدر من الضآلة لا يمكن أن تطمع فى تأليف الوزارة ولا الوثوب إلى الحكم .

ولما قتل السير (لى ستاك) سردار الجيش المصرى فى ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ - ووجهت

الحكومة البريطانية إنذارا إلى الحكومة المصرية ثم قدم رئيس الوزراء دولة سعد زغلول باشا بعد ذلك استقالته .

وفى ٢٤ ديسمبر ١٩٢٤ حل البرلمان المصرى وبقى معطلا حتى قام ائتلاف بين الوفديين والدستوريين عام ١٩٢٦ . وجرت انتخابات فى ظل هذا الائتلاف ، لم يرشح عبد الرحمن الرافعى نفسه فيها ولا فى الانتخابات التى جرت فى ظل دستور ١٩٣٠ الذى أعده اسماعيل صدقى باشا - كما لم يرشح نفسه فى انتخابات ١٩٣٦ إلى أن أخذ مكانه فى مجلس الشيوخ عام ١٩٣٩ - حيث بقى عضوا فيه الى سنة ١٩٥١ .

ويمكن أن يقال إجمالا أن أن عبد الرحمن الرافعى بك لم يعد عنصرا هاما من عناصر الحياة السياسية فى مصر منذ حل البرلمان الأول فى ١٩٢٤ وأنه انصرف إلى عمله الاكبر وهو سلسلة تاريخ مصر القومى .

٣- عبد الرحمن الرافعى المؤلف والأديب القومى :

أصبح اسم الرافعى وسلسلة تاريخ مصر القومى قرينين - فقد طغى هذا العمل الأدبى الكبير على كل ما عداه من جوانب نشاطه وإنتاجه . فالناس إذا ذكر اسم عبد الرحمن الرافعى لا يذكرون المحامى الذى أصبح نقيبا للمحامين ، ولا البرلمانى الذى نهض مع الصوفانى يحمل علم المعارضة فى أول برلمان لمصر الحديثة ، ولا الشيخ الذى أخذ مكانه فى مجلس الشيوخ إثنى عشر عاما ولا الوطنى الذى تتلمذ على مصطفى وفريد ، وسار على دربهما وأصبح زعيما من زعماء دعوتهما ، ولا الوزير الذى شغل منصب الوزارة فى وزارة من وزارات الانتقال عام ١٩٤٩ ولا عضو لجنة الدستور عام ١٩٥٤ ، ولا عضو المجلس الأعلى للآداب والفنون

بل إن الناس لا تذكر له كتبه الثلاثة الأولى الاول (حقوق الشعب) الذى ظهر عام ١٩١٢ وكان هدفه التوعية السياسية والثانى (نقابات التعاون الزراعية) الذى ظهر عام ١٩١٤ وكان

هدفه التوعية التعاونية . والثالث (الجمعيات الوطنية) الذى ظهر عام ١٩٢٢ - مع أن هذه الكتب أعمال وطنية أدبية وآثار سياسية ودستورية تضفى على عبد الرحمن الرافعى صفة الرائد السياسى والزعيم الوطنى الذى يبشر بالمبادىء .

وقبل الكلام عن سلسلة التاريخ القومى ، نلم بعجالة عن مؤلفاته السابقة .

كتاب حقوق الشعب :

كتب الرافعى هذا الكتاب بايحاء من الزعيم الوطنى محمد فريد - وتلبية لدعوته فى التأليف القومى لرفع مستوى الشعب فى الثقافة السياسية - ولقد لخص موضوع الكتاب على الغلاف بالقول المأثور (تبتدىء القوة حيث ينتهى الضعف)

ويعد هذا الكتاب أسبق الكتب السياسية فى مصر المعاصرة - فقد سبق إلى الظهور كتاب (جان جاك روسو) ورواية زينب للدكتور محمد حسين هيكل ، إذ ظهر أولهما سنة ١٩١٣ والثانى ١٩١٤ .

وكتاب (حقوق الشعب) هو فى حقيقة الامر رسالة قال عبد الرحمن أنه يوجهها إلى فئتين من الأمة كانا دائما جنود الحرية في كل البلاد : رجال الغد وجمهور الشعب .

وقال :

" جئت أخاطب إخوانى الشبان رجال الغد ، الذين أعد نفسى واحدا منهم واعتقد أن عليهم واجبا كبيرا مدينون به نحو الله ونحو الامة وهو واجب العمل لتحرير بلادنا ."

وقد أدار الحديث فى هذا الكتاب القيم حول المناقشات جرت فى إحدى قرى الريف بين مجموعة من طلبة المدارس العالية ومجموعة من أبناد الريف منهم العمدة والثرى المحافظ والشباب الأزهرى .

والقارىء لهذا الكتاب يستطيع أن يتبين فى يسر أنه لم يكن كتابا خطابيا يردد كلمات

الشعب وحقوقه فى صراخ أجوف وثرثرة فارغة بل أنه يعرض دروسا فى المشكلات الدستورية بعبارة سهلة بسيطة ، وهو ينثر فى هذا الحوار كل ما يحتاج إليه طالب علم عن القانون الدستورى من حقائق ونظريات والإشادة بالفلاح ، وتأكيد فكرة توثيق الصلة بينه وبين المثقفين تترقرق على صفحات الكتاب ومما يزيد شعور الانسان بالألم أن هذا الكتاب لم يكتب له الرواج فى حينه ولم يعد طبعه بعد ذلك .

كتاب الجمعيات الوطنية :

ظهرعام ١٩٢٢ ، ويعتبر الحلقة الثانية بعد كتاب حقوق الشعب لأنه - دراسة تفصيلية فى تاريخ الجمعيات التى وضعت دساتير فرنسا والولايات المتحدة وألمانيا . وتركيا الكمالية بعد ثورتها . وهو كتاب علم وسياسة لا تزال قراءته إلى الآن نافعة للمشتغلين بالسياسة والقانون الدستورى والتاريخ السياسى .

كتاب نقابات التعاون الزراعية :

تناول فيه نظام النقابات الزراعية وتاريخها وفوائدها وسرد فيها تاريخ التعاون فى مصر ونظامه ونقاباته ومنشآته .

سلسلة التاريخ القومى :

تتكون هذه السلسلة من ستة عشر جزء ، فهى عمل ضخم ، يستمد قيمته من تكامله وتسلسله . فقد احتل مكانه فى المكتبة المصرية والمكتبة العربية بأجزائه جميعا - فلم يعد أحد

يذكر جزءا بعينه من هذه السلسلة إلا عند الرجوع إلى هذا الجزء فى أمر أو واقعة . أما فيما عدا ذلك من أحوال فالسلسلة تذكر مجتمعة ، فلم يحدث أن ناقش أحد الكتاب جزءا من أجزائها ، ولم تظفر حلقة منها دون الأخرى بالثناء أو الاستهجان فهى لبنات متساوية ومتشابهة وقيمتها مستمدة من تساندها وتماسكها .

وقد قال عبد الرحمن الرافعى إنه شرع فى وضع هذه المجموعة سنة ١٩٢٦ أى بعد صدوركتابه تاريخ الجمعيات الوطنية بأربع سنوات . وقد بدأ فى تناول هذا المشروع بقصد وضع كتاب عن (مصطفى كامل) ولكنه رأى البحث فى مبدأ ظهور الحركة الوطنية والتطورات التى تعاقبت عليها . فأخذ يدرس الأدوار التى تقدمت عصر مصطفى كامل ليقف عند حد يصبح اعتباره مبدأ الحركة القومية ، فرجع الى الثورة العرابية فاذا به يرى أسبابها ومقدماتها ترجع إلى الحركة الفكرية والسياسية التى ظهرت فى عهد اسماعيل ، وأن هذه الحركة ما هى الا تطور للروح القومية التى ظهرت علي مسرح الحوادث السياسية منذ أواخر القرن الثامن عشر.

وبعد طول البحث والاستقصاء اعتبر عصر المقاومة الأهلية للحملة الفرنسية - هو نقطة البداية فى سلسلته ، ومن هنا تطورت الفكرة عنده من تاريخ مصطفي كامل إلى تاريخ لأدوار الحركة القومية جميعا ، واستخار الله - على حد تعبيره - وبدأ فى تنفيذه فى عام ١٩٢٦ بعد أن أرجأ التنفيذ سنة بعد سنة .

فخرج أول أجزائه فى آخر سنة ١٩٢٨ . وهو يتضمن ظهور الحركة القومية فى عصر المقاومة الشعبية التى اعترضت الحملة الفرنسية . وفى أواخر ١٩٢٩ ظهر الجزء الثانى ويشمل الفترة من إعادة الديوان فى عهد نابليون إلى جلاء الفرنسيين عن مصر ١٨٠١ ، ومن جلاء الفرنسيين حتى ارتقاء محمد على عرش مصر سنة ١٨٠٥ - وفى سنة ١٩٣٠ أصدر الحلقة الثالثة وهى تتناول تاريخ محمد على وفي سنة ١٩٣٢ ظهر كتاب عصر اسماعيل فى جزءين - وفى سنة ١٩٣٧ أخرج كتاب الثورة العرابية والاحتلال البريطاني - وفى ١٩٤٢ أصدر كتاب مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال - وقد اخر هذا الكتاب عن ترتيبه الزمنى اذ كان يجب

أن يسبق كتابيه عن مصطفى كامل الذى ظهر عام ١٩٣٩ وعن محمد فريد الذى ظهر عام ١٩٤١ - فقد ثقل عليه أن يؤخر صدور هذين الكتابين كل المدة الواقعة بين ١٩٢٦ - ١٩٣٩ - لا سيما وقد كان التاريخ لهما هو الباعث على إصدار المجموعة كلها . وفى عام ١٩٤٦ أخرج كتاب ثورة ١٩١٩ فى جزءين - وفى ١٩٤٧ ظهر الجزء الأول من كتاب " فى أعقاب الثورة المصرية " . - ثم ظهر الجزء الثانى في ١٩٤٩ والجزء الثالث فى عام ١٩٥١ - ثم أصدر جزءين عن مقدمات ثورة ١٩٥٢ - وعن الثورة ذاتها ظهر أولهما في ١٩٥٧ وظهر الثانى فى عام ١٩٥٩

ويقول الرافعى بعد أن فرغ من وضع كتابه بأجزائه الستة عشر إنى لم أقصد من الستة عشر مجلدا التى قضيت فى وضعها وإخراجها خمسة وعشرين سنة أن أؤرخ لمصر الحديثة فحسب ، بل قصدت إلى جانب ذلك أن أساهم بقسط متواضع فى رفع معنوية الشعب والنهوض بوعيه القومى وبمستواه الأخلاقى والوطنى .

ولا شك أنه وفق إلى ذلك فأوفى على الغاية مما يرضى نفس أى عامل اتجهت إرادته إلى تحقيق أمل استشرف إليه ، فما من شاب قرأ هذه السلسلة حتى أحس أن صورة بلادنا الوطنية فى مائة وخمسين عاما قد اكتملت أمامه وأنه يرى فيها آثار روح واحدة تتجسد الحركات والثورات والانتفاضات الواحدة بعد الأخرى على الرغم مما يبدو أحيانا من فترات الانقطاع والفتور .

وقد أكرمت البلاد عبد الرحمن الرافعى فى حياته وبعد مماته إذ منح السيد رئيس الجمهورية السابق أنور السادات وسام الجمهورية لاسمه بعد وفاته بخمسة عشر عاما ١٩٨١ فى الاحتفال بذكرى مرور مائة عام على تأسيس مدرسة الحقوق .

وهذا لعمرى خير دليل على عظمة هذه الشخصية الوطنية وأبلغ تكريم لذكراها .

أمين الرافعي بك
١٨٨٦- ١٩٢٧

أمين الرافعي قديس الصحافة و رائدها - المناضل بالقلم - صاحب المثل العليا التي استنها في صحافته لتكون نبراسا تنسج على منواله و تستضيء بهديه اجيال الصحافة من بعده .

ولد عام ١٨٨٦ في حي القلعة بالقاهرة و لما بلغ الرابعة الحقه والده بكتاب الشيخ جلال بشارع درب الحصر - لفترة من الوقت استطاع فيها الإلمام ببعض مبادئ القراءة و الكتابة و حفظ بعض أجزاء القرآن الكريم - ثم انتقل بعدها الي مدرسة الزقازيق الابتدائية - حيث عمل والده فترة من الوقت - ولما نقل والده الي الاسكندرية عام ١٨٩٨ انتقل إلى مدرسة رأس التين الابتدائية - ونال الشهادة الابتدائية عام ١٩٠١ فى نفس العام مع شقيقه عبد الرحمن وقد اطلع اثناء دراسته بالمرحلة الثانوية على جريدة اللواء واستطاع بتفتح مداركه وذكائه أن يتبين بوضوح مناهج الجرائد المشهورة فى عهده وهى اللواء والمؤيد والأهرام .

وقد تأثر أمين فى صباه بالأحوال التى وصلت اليها البلاد بعد الاحتلال ، والظروف القاسية المريرة التى كانت تحيط بالشعب . وعلى أثر تخرجه بالمدرسة الثانوية التحق بمدرسة الحقوق الخديوية عام ١٩٠٥ - وانضم فى الوقت نفسه إلى هيئة تحرير صحيفة اللواء باعتبارها صحيفته المفضلة التى تعبر بصدق عن أحلامه وآماله - ومضى فى دراسته كما يمضى الطلاب المتفوقون الحريصون دائما على الحصول على أعلى الدرجات - وكان فى الوقت نفسه حريصا على قراءة ما يقع تحت يده من كتب و صحف ومجلات ، وحريصا على حضور الندوات التى كانت تعقد فى دار اللواء والمؤيد والتى كان يتحث فيها الزعيم الخالد مصطفى كامل ومحمد فريد واحمد لطفى السيد - وعمر لطفى - ولم يكن الشباب وقتئذ يحضر هذه الندوات للاستماع فقط بل للمناقشة والمجادلة - وكان أمين الرافعى من طليعة اللجنة القيادية فى مدرسة الحقوق - والذى يُنسب لها الفضل فى الاضراب الذى حدث سنة ١٩٠٦ -

احتجاجا على بعض القرارات التى أصدرها المستر أرشيبالد ناظر المدرسة والتى فيها بعض الإجحاف بالطلبة . ولما انشىء نادى المدارس العليا انتخب أمين الرافعى عضوا فى مجلس إدارته فى أبريل ١٩٠٦ - وبعد تخرجه من مدرسة الحقوق انتخب سكرتيرا للنادى - وظل بهذا المنصب حتى عام ١٩١٤ - عندما أغلقت السلطة العسكرية البريطانية النادى وباعت أثاثه .

بواكير نشاطه الصحفى :

بدأ الرافعى نشاطه الصحفى بجريدة اللواء منذ أن كان طالبا بمدرسة الحقوق كما سبق ذكره وكان أول انتاجه الصحفى سلسلة من المقالات بلغ عددها سبعة عشر مقالة - ابتداء من عدد ٥ أغسطس ١٩٠٧ - وهى خلاصة دراسته العميقة عن زعيم إيطاليا (غار يبالدى) وكان اللواء ينشرها فى أبرز مكان - ولم يوقع الرافعى هذه المقالات بإسمه الصريح رغم الجهد المبذول فى إعدادها - اذ كان يوقعها بإسم حقوقى - أو حقوقى اسكندرى - وكلمة اسكندرى تشير الى الاسكندرية - حيث كان الرافعي يقيم في أجازاته الصيفية -

وكان الرافعى ينشر هذه المقالات بصورة منتظمة - ولو أنه يقطع السلسلة لنشر مقالة مختلفة تتناول أمرا طارئا كتهنئة للشعب الايطالى بعيد الحرية والاستقلال فى ٢٠ / ٩ / ١٩٠٧ - وكذلك ما كتبه عن النفى الادارى والحرية الشخصية فى ٢١ / ١٠ / ١٩٠٧ - وما نشره عن النفى والسلطة التشريعية في ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٠٧ - وفى هاتين المقالتين دفاع حار عن الحرية الشخصية ونقد لأولى الأمر الذين يقيدون الحريات الشخصية بقوانين جائرة ظالمة -

وحينما تخرج فى مدرسة الحقوق فى صيف عام ١٩٠٩ - لم يقبل التوظف فى الحكومة رغم أن الوظائف الحكومية تستهوى أفئدة الكثيرين من الشباب - وقرر الاشتغال بالصحافة الوطنية - (وكان هذا يعنى وقتئذ التضحية بالجهد - والمال) كما يعنى حياة الكفاف .

أمين الرافعي الصحفي الرسمي :

اشتغل بعد التخرج بالصحافة محررا في (اللواء) وفي جريدة (الشعب) بلا مرتب – حتى بعد أن صار رئيسا للتحرير بل كان كل الذي يتقاضاه كمحرر إثني عشر جنيها كبدل انتقال . وكل الذي كان يأخذه كرئيس تحرير لصحيفة الشعب – التي كانت أكثر الصحف انتشارا وأقواها نفوذا – عشرين جنيها فقط – ومنذ أن تخرج الرافعي واشتغل رسميا بالصحافة راح يكتب بإسمه الصريح لاول مرة (أمين الرافعي) ليسانسيه في الحقوق – وكان أول مقالاته التي حملت اسمه سلسلة مقالات عن نظام التعليم في مدرسة الحقوق نشرت في يونيو ويوليو سنة ١٩٠٩ – وفي هذه السلسلة مقارنة بين حالة مدرسة الحقوق في عهدها القديم قبل الاحتلال بحالتها بعد الاحتلال ، وكانت هذه المقالات مدعمة بالحجج والوثائق مما لفت الأنظار إليه ككاتب صادق ، وقد توالت الأحداث السياسية الكبرى في البلاد وكان من أكبرها [illegible] المحاولة الاستعمارية التي أريد منها مد امتياز قناة السويس أربعين سنة – زيادة [illegible] المحدد لانتهاء الامتياز – وكان الزعيم الوطني محمد فريد قد حصل على مذكرة [illegible] – بعد عرضه على الخديوي عباس حلمي وبطرس غالي باشا أثناء زيارتهما لندن [illegible] مع محمد فريد في الحملة الصحفية المكثفة والتي كان هدفها التوعية بمضار هذا [illegible] والعمل على إبطاله وتجنيد الرأي العام المصري لمعارضة المشروع وقد توجت [illegible] وجهود جميع الوطنيين العاملين معهما برفض الجمعية العمومية للمشروع في

مؤتمر الحزب الوطني ببروكسل في عام ١٩١٠

وقد استغل الاستعمار حادث اغتيال بطرس باشا رئيس النظار بالاتفاق مع – الخديوى عباس باشا حلمى لإثارة الفتنة الطائفية بين عنصرى الأمة – وذلك كما جاء بمذكرات قليني باشا فهمى ومذكرات جويدان هانم حرم الخديوى – فوقف أمين الرافعي موقفا حازما شديدا لكشف ما وراء هذه الفتنة . وكان الوطنيون بقيادة محمد فريد بك قد قرروا عقد مؤتمر وطنى بباريس – ولكن الحكومة الفرنسية مجاملة منها لانجلترا رفضت عقده فى فرنسا – فعقد فى بروكسل – وكان أمين الرافعي هو القائم بأعمال سكرتارية هذا المؤتمر – فهو الذى ينشر محاضر جلسات هذا المؤتمر ويبعث بها إلي جريدة العلم فى مصر مع المزيد من آرائه وتعليقاته والدروس التاريخية والوطنية التى كان يضمنها رسائله . وقد تحمل العبء الأكبر فى نشاط هذا المؤتمر وعاد أمين من المؤتمر إلى القاهرة – ليعمل جنبا إلى جنب مع زميل الكفاح أحمد وفيق فى جريدة الشعب .

الخطوط الرئيسية لنشاطه الصحفى من سنة ١٩٠٩ – ١٩١٤ :

حينما تخرج أمين الرافعى من مدرسة الحقوق عام ١٩٠٩ استمر يعمل في الصحافة حتى عام ١٩١٤ – حين أغلق بمحض ارادته صحيفة الشعب احتجاجا على إعلان الحماية وفيما يلى الخطوط الرئيسية لنشاطه فى هذه الفترة :

اولا : مناقشة تقارير المعتمد البريطاني فى مصر : (والتي كانت تصدر في منتصف كل عام) وتحوى أبرز معالم أحداث الفترة ، (من وجهة النظر الاستعمارية) . وكان من أجرأ من تناول هذه التقارير .

ثانيا : كان يناقش أحداث العالم الذى مضى – وكانت مناقشاته تتسم بالصراحة وهو يقول

للأمة مالها وما عليها فيما مرت بها من أحداث ويشيد بجهود العاملين من أبناء الشعب - ويحمل بكل ما يملك من قوة على خصوم الشعب .

ثالثا : كان يستغل تاريخ المناسبات الوطنية الهامة مثل يوم ١١ يوليو تاريخ ضرب الاسكندرية ، و١٤ سبتمبر ذكرى دخول القوات البريطانيا القاهرة الخ - لتعبئة الشعور الوطنى - وإثارة غضب الجماهير على الاحتلال .

رابعا : اهتم الرافعى اهتماما خاصا بانتخابات الجمعية التشريعية - بالرغم من مقاطعة الوطنيين لهذه الانتخابات - وكان من رأيه تشجيع العناصر الطيبة مهما تكن الاحزاب التى ينتمون اليها - وقد عارض فى ١٦ سبتمبر سنة ١٩١٣ اشتراط الثروة فى المرشحين - وقال إن هذه الشروط من بقايا الأنظمة القديمة التى تفشت فى القرن الثامن عشر - وقال فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٩١٣ بأنه لابد من وزارة مسئولة أمام مجلس نيابى صحيح وطالب بإنشاء حزب للمعارضة داخل الجمعية التشريعية - كما طالب بحرية الانتخابات - ووقف الرافعى بجانب سعد زغلول فى الانتخابات حينما رشح نفسه نائبا لرئيس الجمعية - وفى أزمة من يقوم بالرئاسة عند غياب الرئيس ، هل الوكيل المعين أم الوكيل المنتخب - فقد أيد رئاسة سعد زغلول باعتباره الوكيل المنتخب - أما الحكومة فكانت تريد الوكيل المعين عدلى يكن باشا .

خامسا : كان يهتم بالمسائل السياسية بجانب اهتمامه بالمشاكل التعليمية والاجتماعية .

سادسا : كان الرافعى من خيرة المعلقين العسكريين الذين ظهروا فى الصحافة المصرية فى العشرينات - فكان يحرر مقالاته - عن المعارك الحربية سواء في حروب البلقان أو بداية الحرب العالمية الأولى مدعمة بالوثائق والخرائط وآراء الخبراء العسكريين فى المعارك السابقة - وكانت الصحف المعادية للحركة الوطنية تحمل عليه - بسبب مقالاته عن الحرب وقد رد فى ١٩ / ١٠ / ١٩١٤ على المؤيد والإجيبشيان جازيت .

الرافعي في السجن :

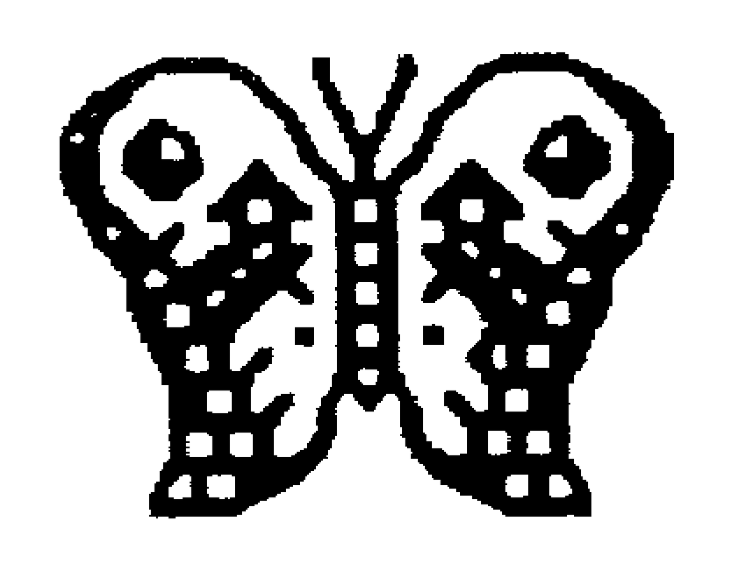
كان يستشفى كعادته في أوربا كل عام ، وفي مايو سنة ١٩١٤ فوجيء بنذر الحرب العالمية المتوقعة ، فأسرع إلى العودة إلى البلاد ، وانتقد إعلان الأحكام العرفية لأن مصر ليست مشتركة في هذه الحرب ، وانتقد تعطيل جلسات المجلس النيابي لأن الدول المتحاربة لم تعطل مجالسها النيابية ، واستدعى الرافعي بعد أيام من إعلان الأحكام العرفية لمقابلة المستشار الداخلي للمعتمد البريطاني في مصر ، الذى هدده لو انتقد ما سيحدث في مصر من انقلاب يتم في أثر إعلان الحماية ، كما هدده برأسه ورؤوس زملائه إذا حدث في البلاد أي حادث يشتم منه الثورة على الاحتلال البريطاني ولكن أمين الرافعي لم يكترث لما سمع ، وثار على المستشار وأكد له أنه سيعارض أي إجراء يحدث في البلاد على قدر استطاعته ، وأنه لا يمكن أن يكون أداة خيانة لبلده ، وكانت مصر (اسما) في بداية الحرب على الحياد إلى أن دخلت بريطانيا الحرب ضد المانيا فبدأت حكومة مصر ، في ٥ اغسطس سنة ١٩١٤ تنحاز اسما وفعلا ، وعندما دخلت تركيا الحرب ضد روسيا حليفة انجلترا – في أول نوفمبر سنة ١٩١٤ أعلن مكسويل قائد الجيوش البريطانية في مصر الأحكام العرفية في ٢ / ١١ / ١٩١٤ ووضع الرقابة على الصحف .

وكان واضحا منذ ذلك الوقت والخديو عباس حلمي الثاني في تركيا أنه لن يعود إلى مصر وأن أحدا من أفراد أسرته سيحل محله في حكم البلاد . وهو بالفعل ما تم ، فقد عين الأمير حسين كامل سلطانا على مصر . وكان معروفا أن قرار إعلان الحماية البريطانية على مصر لابد من نشره في الصحف عند صدوره بسبب وجود الأحكام العرفية ووجود الرقابة على الصحف . ولذلك قرر أمين الرافعي إغلاق دار الشعب حتى لا ينشر إعلان الحماية المشئوم والبلاغات التي تنشرها الحماية البريطانية .

وقد كان الرافعي هو أول صوت مصري احتج على إعلان الحماية البريطانية . ومن أوائل

المعتقلين فقد أودع فى البداية سجن الاستئناف بالقاهرة سنة ١٩١٥ ثم نقل إلى معتقل بدرب الجماميز في ٣٠ اغسطس سنة ١٩١٥ ، وفى سبتمبر سنة ١٩١٥ ، نقل إلى معتقل آخر فى بلدة طرة بجوار ليمان طره المشهور ، ومكث فى السجن مع أخيه عبد الرحمن الرافعى حتى ١٧ يونيو سنة ١٩١٦ حين أفرج عنهما ، وبعد خروج أمين من الاعتقال اشتغل عاملا بالمحاماه ولكنه وجد نفسه بحاجة الى الراحة من آلام الاعتقال وفى فترة الحرب بذلت معه محاولات عديدة لإصدار جريدة الشعب من جديد فرفض رفضا باتا .

على أنه وقد انقطع عن الصحافة تماما ولم يعد يعمل بالمحاماه فقد تفرغ لكتابة بعض المذكرات السياسية عن القضية المصرية تصلح لما بعد الحرب ، ولم يكتف بكتابتها باللغة العربية بل ترجمها الى اللغة الفرنسية وأعدها حتى قبل إعلان الهدنة كما اشترك فى عدد من الاجتماعات السياسية التى تمت فى صيف ١٩١٨ ، التى كانت تبحث فى مصير مصر بعد الحرب العالمية الأولى .



دوره فى ثورة سنة ١٩١٩

فى ٩ مارس سنة ١٩١٩ انفجرت براكين الثورة المصرية ، وثار الشعب كله على الاحتلال البريطانى بعد أن قامت السلطات باعتقال سعد زغلول وصحبه ونفيهم عن البلاد ....

وكان من رأى أمين الرافعى فى هذه الفترة إفساح المجال أمام كل من يريد خدمة بلاده . وكان سعد زغلول يعرف حق المعرفة أن شخصية أمين الرافعى من وجهة النظر الشعبية أهم وأضخم من كثير من الشخصيات التى أختيرت لعضوية الوفد . وكان يعرف عنه أيضا عنفه وروحه الثورية وتمسكه بالمبدأ الوطنى . لذلك لم يشأ ضمه إلى العضوية حتى لا يحدث انشقاق خطير فى الوفد بين القوى الثورية والقوى المعتدلة وحينما نفى سعد وزملاؤه ، كانت اللجنة المركزية للوفد بالقاهرة وسكرتيرها المساعد أمين الرافعى ، هو محور النشاط الثورى ومركزه .

يقول الأستاذ صادق عنبر عن أمين الرافعى :

بقى أمين يدير دفة الحركة الوطنية فى لجنة الوفد المركزية التى كان روحها وقوامها فكان يحرر قراراتها ونداءاتها ويدير حركاتها لمصلحة الوطن بإخلاص ونزاهة " وكان يتولى سكرتارية جلسات اللجنة وكتابة محاضرها ، كما يذكر الصحفيون الأجانب الذين زاروا مصر فى بداية ثورة ١٩١٩ مقدار مالقوا من معاونة من أمين الرافعى ، فى تقديم المعلومات والرد على الأسئلة الموجهة إليه منهم .

وفى الثانى والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٢٠ ، صدر العدد الأول من جريدة " الأخبار " التى أصدرتها شركة الصحافة الوطنية وهى شركة توصية بالأسهم وكان أمين الرافعى الشريك الموصى فيها ، وكتب فيه عن احتجاب جريدة " الشعب " منذ خمسة أعوام ، احتجاجا على اعلان الحماية ، ثم تحدث عن قيام البلاد بالمطالبة بحق وادى النيل فى الحرية وعن استئناف جهادها الشريف .

وفى مجموعة الوثائق الخاصة بثورة ١٩١٩ والتى نشرها وعلق عليها الدكتور / محمد أنيس

إشارات عديدة عن أمين الرافعي وجريدة الاخبار : وفي التقرير رقم (١٠) الذي كتبه سعد زغلول من باريس بتاريخ ٧ مارس سنة ١٩٢٠ جاء مايلي :

" سررنا أن أصدر حضرة أمين بك الرافعي جريدة الاخبار التي نرجو لها التوفيق والنجاح بهمة البك المومأ إليه وحسن درايته إلى أمل قوى فى أن تؤثر هذه الجريدة في الجمهور أثرا محمودا وأن يقضي بها على الأضاليل التى يبثها المهووسون في العقول .. وان تكونوا خيرا للغاية الشريفة التي نسعي اليها " .

وفى خطاب بآخر بتاريخ ١٨ / ٤ / ١٩٢٠ إلى عبد الرحمن فهمي يقول :

واذا كنت ترى فى ترتيب حملة خطابية إلى جانب الحملة الصحفية فأنت حر فى اختيار الوسائل التى تؤدى الى هذا الغرض ، وفى هذا المعنى تكتب بالطبع كل جريدة حسب مشربها وأرجو أن تكون جريدة الاخبار فى مقدمتها وأن تكون أول من يقود الرأى العام لأنها معتبرة جريدة الوفد المعبرة عن أفكاره وخططه وقلم محررها الفاضل أقدر الأقلام على التعبير فى هذه المقاصد .

ويكتب الرافعي فى الأخبار دراسات وافية عن المفاوضات وعن السياسة الانجليزية حيال مصر ويكتب أيضا عن سياسة التهديد بعد سياسة الخداع وعن تقوية " الاتحاد " وعن بعثة " أسوان " التى تكونت من بعض أعضاء البرلمان البريطاني من حزب العمال الذين استضافهم سعد زغلول لزيارة مصر أملا فى مناصرتهم للقضية المصرية ولكن نتيجة الزيارة أتت بالعكس ، وقد فضح أمين الرافعي سياسة حزب العمال قبل مجيء البعثة وفى أثناء تواجدها في مصر كما كتب عن مبدأ الضمانات وخطره على الاستقلال " وإلى متى تصادر الحريات " ثم يختلف أمين الرافعي مع الوفد المصرى حول تعديل أساس المفاوضات بين مصر وبريطانيا .

كان المتفق عليه فى دوائر الوفد ، عدم الدخول في مفاوضات رسمية مع بريطانيا دون النظر الى مطالب الشعب التى أبداها فى صورة تحفظات على مشروع ملنر ، ثم رأى العدول عن رأيه هذا ، فعارضه أمين الرافعي وأصر على تعديل أساس المفاوضات قبل الدخول فيها وطالب

باعتراف بريطانيا أساسا بالحقوق الرئيسية للبلاد فى الحرية والاستقلال ، وقد حاول سعد زغلول مرارا إقناع أمين الرافعى برأيه فلم يقتنع ، ثم حاول مرة أخرى اقناع أمين الرافعى بعدم إثارة موضوع تعديل الأساس الخاص بالمفاوضات فلم يقتنع .

وعندما انطلقت المظاهرات الدامية ضد الرافعى لم يتراجع بل كتب فى ٢٦ / ٤ / ١٩٢١ :

إن تلك المظاهرات الإرهابية تقنعنا فوق اقتناعنا الماضى بأن الالتجاء إلى القوة لتحويلنا عن خطتنا ليس له معنى إلا أن هذه الخطة سليمة وأن الحق فى جانبنا .

وقال أمين الرافعى ايضا فى ٢٣ / ٦ / ١٩٢١ :

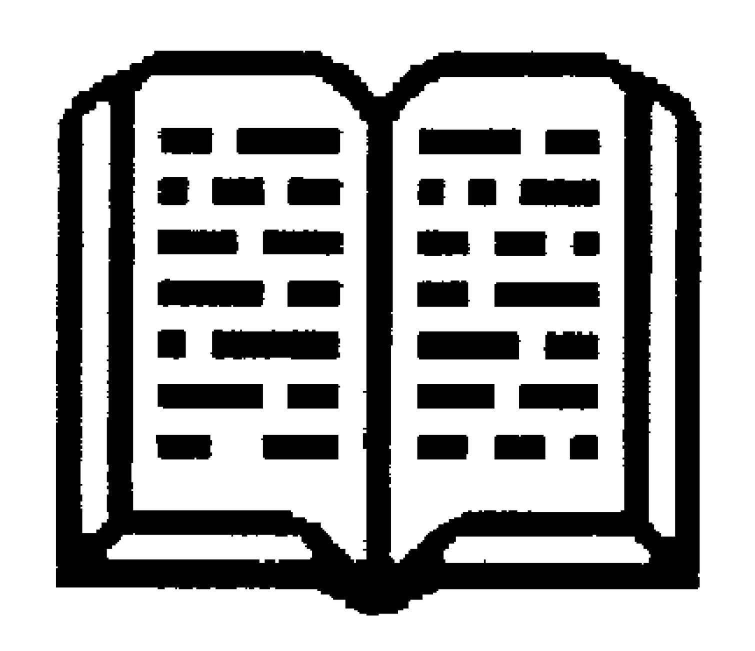
" كانت الأخبار ومديرها فى نظر معالى سعد باشا مثالا للوطنية الصادقة وكان الرئيس يتفضل من وقت لآخر بإعلان ذلك وامتداح خدمات هذه الجريدة ، فى تلغرافاته التى يبعث بها إلينا وفى كتبه الخاصة وفى تصريحاته المتعددة ، فما باله اليوم قد انتهج منهاجا آخر ، ومازال يتنقل من دور إلى دور حتى أراد بالامس أن ينال من وطنيتنا وهى كل ما نملك فى هذه الحياة بل هو الشىء الذى يعتقد سعد باشا أنها فوق منال الشكوك " .

ثم يُنفى سعد زغلول للمرة الثانية وينسى الرافعى كل ما كان بينه وبين سعد زغلول من خصومة ويجند نفسه للدفاع عن سعد زغلول وضرورة تمتعه بالحرية ، ويسمع أن سعد مريض ، فيكتب مقالات عديده مطالبا بالإفراج عنه والاهتمام الخاص بصحته ، وتجرى الانتخابات ويفوز سعد بالأغلبية الساحقة ، وفور ظهور النتيجة طالب الرافعى يحى ابراهيم باشا رئيس الوزراء بالاستقالة لتجىء وزارة حزب الأغلبية ، ويكتب الرافعى كثيرا عن أحلامه وآماله فى تلك الوزارة ثم يصدم بخطاب العرش ...

وظلت الخصومة بين سعد زغلول وأمين الرافعى (التى قامت باسباب خطبة العرش) قائمة إلى أن لقى سعد زغلول ربه فى ٢٣ اغسطس ١٩٢٧ أى قبل وفاة الرافعى بأربعة شهور . .

ورغم ما كان بينه وبين سعد زغلول من خصومة سياسة ، وإن كلا منهما يختلف عن الآخر ، والاختلاف يكمن فى ان أمين الرافعى من أبناء الحزب الوطنى أما سعد زغلول فهو

مؤسس حزب الوفد . ومع ذلك فحينما مرض أمين الرافعي وساءت أحواله المالية أرسل اليه سعد زغلول رسولا بقوله : " سل ما تريد ، إن حزب الوفد كله تحت أمرك ، ولكن أمين الرافعي يأبى أن يمد يده ولو كان العطاء من زعيم الأمة التي هو أحد كتابها الكبار .



دوره فى إنشاء نقابة الصحفيين

كان أمين الرافعى من أوائل الذين دعوا الى إنشاء نقابة الصحفيين ، وقد اشترك فى أول اجتماع نظم لهذا الغرض فى ١٩٠٩ ، بوصفه محررا باللواء ، ولم يكتب النجاح لهذه الدعوة بسبب تدخل المعتمد البريطانى ، ولكنه أعاد الكرة مرة أخرى حينما حمل لواء الدعوة الى إنشاء النقابة فى عام ١٩١٩ ، وكان على رأس الذين وجهوا الدعوة لإنشاء النقابة وهم :

داود بركات – سعيد علي – اسكندر رسلان – حافظ عوض ، جورج طنوس – امين الرافعي وكان أول نقيب للصحفيين هو جبرائيل تقلا ، وقد انتخب عامين متتالين على أن الحكومة لم تعترف بهذه النقابة وظلت المحاولات تبذل من جانب الصحفيين وفى مقدمتهم امين الرافعى لكى يكون للنقابة كيانها الرسمي ، غير أن الحكومات كانت دائما تقف لها بالمرصاد ، ثم سرى الضعف والتخاذل إلى النقابة حتى آخر عام ١٩٢٢ بسبب انشقاق البلاد الى سعديين وعدليين وتفتت القوى الوطنية إلى أن جاءت وزارة يحى ابراهيم وشرع فى اعداد سلسلة من القوانين الجائرة وفى مقدمتها قانون خاص بالصحافة وتعديل قانون العقوبات فيما يتعلق بالصحافة .

وأحس الصحفيون بالخطر الداهم ، فنجحت دعوة الرافعى الجديدة بتشكيل هيئة للدفاع عن الصحافة والصحفيين ، واجتمعت هذه اللجنة فى ٦ / ١٠ / ١٩٢٣ ، ٣٠ / ١٠ / ١٩٢٣ وقررت مطالبة الحكومة بعدم وضع قانون للصحافة الآن وانتظار عقد البرلمان ، فاذا أصرت الحكومة على سن هذا القانون الآن قبل انعقاد البرلمان ، فتطالب الهيئة بعرض المشروع أولا على الصحفيين للوقوف على ملاحظاتهم عليه والعمل بها . ثم قررت الهيئة تكليف أمين الرافعى بكتابة قرار بهذا المعنى وتوقيعه من جميع الحاضرين ورفعه إلى دولة رئيس الوزراء بواسطة أمين الرافعى والمسيو ليون كاسترو وحافظ عوض ، ولكن الأغراض الحزبية وقفت حجر عثرة فى طريق إنشاء نقابة الصحفيين ثم تكونت هيئة باسم (أسرة الصحافة)

وتحاول هذه الاسرة مرة أخرى فى ٢٦ مارس ١٩٢٦ إنشاء نقابة الصحفيين المصرية ويعد

الرافعي مشروع القانون الجديد ، وينشط العمل فى ضم أكبر عد فى عضوية هذه النقابة وتجتمع أول جمعية عمومية للنقابة فى ٢٥ / ٣ / ١٩٢٥ ، وينتخب مجلس إدارة النقابة ويقر القانون وتسير النقابة بخطى حثيثة وتدعوه فى نوفمبر ١٩٢٦ الجمعية العمومية للنظر فى مشروع "صندوق تعاون نقابة الصحافة العمومية " ومن أغراض هذا المشروع الإنفاق على أعضاء النقابة الذين تنزل بهم ضائقة مالية . وتدعو النقابة الجديدة إلى إضراب الصحف فى ١٦ يوليو ١٩٢٥ وتبلغ كل التنظيمات الصحفية فى العالم بهذا الإضراب الذى نجح نجاحا باهرا .

والجدير بالذكر أن نقابة الصحفيين هذه كانت من المؤسسين لاتحاد الصحافة العالمى فى ٣ يوليو ١٩٢٦ وكان الدكتور محمد حسين هيكل هو ممثل الصحافة المصرية فى أول اجتماع لهذا الاتحاد .

الرافعى وتمثال نهضة مصر

رغم أن القضية المصرية كانت فى بؤرة تفكيره ، والشغل الشاغل لعقله باستمرار ، لكن بجانب ذلك فقد كانت له اهتمامات عديدة بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية والدينية ، وكان له دور بارز فى التنظيمات النقابية كما كان له دور بارز فى اخراج مشروع تمثال نهضة مصر ووضعه فى ميدان باب الحديد بالقاهرة (قبل نقله الى موضعه الحالى بالجيزة)

يقول الاستاذ / بدر الدين أبو غازى وزير الثقافة السابق ومؤرخ حياة الفنان " مختار " صانع التمثال ، وابن شقيقه فى نفس الوقت :

أولى صلات مصر بالتمثال جاء من جريدة الأخبار التى كان يصدرها أمين الرافعى ومن خلال البحث من أربع مقالات نشرتها الجرديدة المذكورة للاستاذ مجد الدين حفنى الذى كان يدرس بباريس ، جاء التعريف الأول بالتمثال وإلى أهمية العناية بالفنون وضرورة إنشاء المتاحف وإلى ضرورة اقتناء تمثال مختار بمعرفة البلديات ووضعه فى ميدان عظيم من كل بلد .. وكان

الوفد المصرى برئاسة الزعيم سعد باشا زغلول قد سافر لباريس للدعوة للقضية المصرية فتعرف أعضاء الوفد علي مختار ووقفوا على جهوده وشهدوا تمثاله قبل أن يعرضه ، فلما نشر مجد الدين حفني ناصف مقالاته أعقبه الدكتور حافظ عفيفي عضو الوفد المصرى آنذاك فكتب إلى أمين الرافعي مقترحا قيام جريدة الأخبار بالدعوة لاكتتاب عام لإقامة تمثال مختار في أحد ميادين العاصمة ، فرحب أمين الرافعي بالفكرة ، ونشر في اليوم التالى نداء الاكتتاب تحت عنوان " نهضة مصر دعوة إلى الأمة المصرية " .

وساند الفكرة من أعضاء الوفد المصري المرحومان ويصا بك واصف وواصف غالي باشا ونشر الأول مقالا مسهبا تحت عنوان محمود مختار والنهضة الفنية فى مصر ، ونشر الثانى مقالا تحت عنوان " واجبنا نحو مختار " .

وانهالت التبرعات من كل أرجاد الوادي ، ومختلف طبقات الشعب وجموع صغار العمال والباعة الجائلين وتلاميذ المدارس ، يبعثون برسائل تفيض حماسة ومعها قروش بسيطة ، هى كل مدخراتهم ، كما وصل هذا التيار إلى الفلاحين فى القرى فأخذت التبرعات تصل من جوف القرى والكفور إلى جريدة الاخبار وهكذا ارتفع مشروع إقامة التمثال إلى قداسة الفكرة الوطنية وتحقق بذلك الاتصال بين الفن والحركة القومية .

واضطلع أمين الرافعي بعبء متابعة تنفيذ إقامة التمثال في ميدان باب الحديد " متصلا برؤساء الوزراء والمختصين بوزارة الأشغال أنا بالخطابات وأنا بالاتصال الشخصى وهم على التوالى : عدلى يكن باشا ، عبد الخالق ثروت باشا ، سعد زغلول باشا ، أحمد زيور باشا ، حاثا إياهم على تعضيد المشروع بالعون المادى والأدبى وتيسير سبل التنفيذ ، وإزالة المعوقات التى تعترضه .

وفى عهد وزارة سعد زغلول باشا قرر البرلمان فتح اعتماد بمبلغ ١٢ ألف جنيه لإتمام التمثال ، وظل المشروع يتلكأ طوال وزارة أحمد زيور باشا ، ولم يتحرك إلا فى عهد الوزارة الائتلافية التى اهتمت بالمشروع من جديد عام ١٩٢٦ ، ووافق البرلمان على تخصيص ثمانية

آلاف جنيه لإتمام التمثال وتعاقدت الوزارة مع مختار فى اغسطس ١٩٢٧ على إنجاز إقامة التمثال خلال ثلاثة عشر شهرا . ولم يشهد الرافعى حفل إزاحة الستار عن التمثال (الذى جاهد طويلا من أجل إقامته فى هذا المكان) الذى أقيم فى ٢٠ يناير ١٩٢٨ أى بعد وفاته ببضعة أشهر .

وقال أحمد شوقى بك أمير الشعراء فى رثائه :

يا أمين الحقوق أديت حتى لم	xxx	تخن مصر فى الحقوق فتيلا
ولو استطعت زدت مصر من	xxx	الحق على نيلها المبارك نيلا
تنشد الناس فى القضية	xxx	لحنا كالحوارى رتل الإنجيلا
ماتبالى مضيت وحدك تحمى	xxx	حوزة الحق أم مضيت قبيلا

وقد منحت الدولة فى عهد الرئيس الراحل أنور السادات لاسمة نيشان النيل أثناء الاحتفال بيوم الصحفيين عام ١٩٨١ تقديرا وتكريما لذكراه .

وقال حافظ ابراهيم فى رثائه :

أمين فارقتنا حين حاجتنا إلى	xxx	فتى لا يرى للمال سلطانا
أيلبس الخز من لانت مهزته	xxx	وأنت تخرج من دنيانا عريانا
إن القناعة كنز كنت حارسه	xxx	ترى القوت يا قوتا ومرجانا
فما سعيت لغير المجد تكسبه	xxx	ولا رفضت لغير الحق إذعانا

مواقف هامة فى حياة أمين الرافعى :

١- موقفه من العرش :

لم تتوقف معاركه مع السراى واستنكاره تدخل الملك في الحكم وإملاء نفوذه على الحكومة ، ودفاعه المتواصل دون ملل أو فتور عن المبدأ الدستورى المعروف " الملك يملك ولا يحكم " وقد

انتقد الملك فؤاد فى كثير من تصرفاته ولا سيما فى بعض مواد دستور ١٩٢٣ والتى تمس حرية الصحافة كما انتقد ضخامة المخصصات الملكية وهى عبء كبير علي ميزانية الدولة وانتقد زيارته لأوربا دون اصطحاب رئيس الوزراء معه .

كما انتقد البيروقراطية المغالية المتمثلة فى شخص حسن نشأت باشا رئيس الديوان الملكى وقد تنفست البلاد الصعداء حين أزاحه اللورد لويد من السراي ، ولو لم يكن هذا هو الطريق السوى لإقالة رئيس الديوان الملكى المستبد بالوزراء ، العابث بحقوق الشعب .

٢- صاحب الفضل الدستورى :

حينما عطلت الحكومة البرلمان المنتخب دستوريا سنة ١٩٢٥ ، رأى أمين الرافعى أن البرلمان لابد أن يجتمع من تلقاء نفسه فى اليوم الحادى والعشرين من شهر نوفمبر تنفيذا لحكم الدستور ، واستند فى رأيه إلى المادة ٩٦ منه " يدعو الملك البرلمان إلى عقد جلساته العادية قبل السبت الثالث من شهر نوفمبر ، فإذا لم يدع الى ذلك يجتمع المجلس بحكم القانون فى اليوم المذكور . وكتب عده مقالات يدعو فيها إلي وجوب عقد البرلمان فى الميعاد المذكور ، ولما حالت الحكومة دون اجتماع النواب والشيوخ فى مجلس النواب ، اجتمع البرلمان فى فندق الكونتننتال ونجح الاجتماع وانتخب فى هذا الاجتماع سعد زغلول رئيسا لمجلس النواب .

٤- دفاعه عن المجاهدين العرب :

هو صاحب الرأى القائل بحق المجاهدين العرب الهاربين ، في اللجوء الى مصر ، رغم أنف دولة الاحتلال وكان ذلك فى إبان مجده وسطوته .

٥- تمسكه بمبدأ الجلاء :

تكاد كل كتاباته وصحفه التى أصدرها وقفا على مبدأ الجلاء والمطالبة بالدستور وانتقاد الحكومة والاستعمار فى كل تصرف من شأنه أن ينافى مبادىء الحرية وقضيتها وحقوق الشعب .

مصطفى صادق الرافعى
١٨٨٠ - ١٩٣٧

ولد الكاتب الشاعر مصطفى صادق الرافعى عام ١٨٨٠ فى قرية بهتيم من أعمال مديرية القليوبية . وينتمي نسبه الى الاسرة الرافعية - التى تقيم فى (طرابلس الشام) ، وكان الجد الاكبر للاسرة الشيخ عبد القادر الرافعى من أعيان طرابلس - وقد توفى سنة ١٨١٤ - وأول من نزح الى القاهرة من أفراد هذه الأسرة الشيخ محمد طاهر الرافعى عام ١٨٢٧ - معينا من قبل الحكومة العثمانية . قاضيا للمذهب الحنفى بمصر .

ثم توالب هجرة الكثير من أفراد هذه العائلة الكريمة إلى مصر

- يشتغلون قضاة في مختلف المحاكم الشرعية . أو معلمين للمذهب الحنفي - أما والد المترجم - هو الشيخ عبد الرازق الرافعي إبن الشيخ سعيد الرافعي - وكان يشغل منصب رئيس المحكمة الشرعية بطنطا - حيث أقام بها فى أخريات حياته الوظيفية إلى أن وافاه الأجل ودفن بها . أما والدته - فهي إبنة الشيخ الطوخي الحلبي - صاحب المؤسسة التجارية الخاصة ببيع السلع السورية بمصر . وكان يقيم بقرية بهتيم

- وقد بنى بها منزلا كبيرا واقتنى ضيعة ، وجاءت الأم من طنطا إلى بيت أبيها عام ١٨٨٠ - لتلد مصطفى فى يوم من أيام شهر يناير عام ١٨٨٠ .

-ثم كرت راجعة بوليدها إلى طنطا - وقد رضع الطفل لبن أمه حب اللغة العربية من والده . وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة . ولما بلغ الثانية عشر - سنة ١٨٩٢ أدخل المدرسة الإبتدائية بدمنهور وقضى بها عاما ، ثم إنتقل إلى مدرسة المنصورة الإبتدائية حين نقل والده قاضيا بمحكمتها .

- وفى عام ١٨٩٧ نال الشهادة الإبتدائية صبيا فى السابعة عشر ؟

مزودا بحصيلة لا بأس بها من اللغة العربية . وقليلاً من اللغة الفرنسية - وقد مرض فى

صباه بالحمى التيفودية ، فتركت أثارها الخطيرة فى صوته - وحاسة سمعه سوا ، حتى ذهبت حاسة السمع به نهائيا - وهو على أعتاب العقد الثالث من عمره - وبقى طيلة حياته لا يسمع من يخاطبه بل يتخاطب مع الآخرين عن طريق الكتابة .

ورغم توقفه عن الدراسة بعد المرحلة الإبتدائية إلا أنه أكب على الدرس والإطلاع فى مكتبة والده - الحافلة بصنوف الكتب والمجلدات ما بين أدب وفقه - ثم فى مكتبته الخاصة بعد ذلك - وظل طيلة عمره محتفيا بالكتاب - مدمنا على القراءة فى البيت والقطار - فى المقهى والمنتزه ، والمأثور عنه إتقانه القرآن الكريم حفظا وتلاوة وإنكبابه على دراسة كتاب نهج البلاغة لعلى بن أبى طالب ، وكتاب الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني والكامل لابن المبرد - ودواوين الشعراء القدامى والمحدثين .

وظائفه العامة :

اشتغل كاتبا بمحكمة طلخا الشرعية عام ١٨٩٩ وكان مرتبه أربعة جنيهات شهريا وتعرف بطلخا بالشاعر العراقى عبد المحسن الكاظمى الذى هاجر الى مصر فى الثلاثين من عمره . ونشأت بينهما صداقة وطيدة - ثم انتقل بعد بضع سنوات الى محكمة ايتاى البارود الشرعية - فمكث بها فترة ثم انتقل الى طنطا حيث عمل بمحكمتها الشرعية . ثم المحكمة الاهلية - وكان عمله فى المحكمة تقدير رسوم القضايا وبقى فى هذا العمل حتى وافاه الاجل فى ١٠ مايو سنة ١٩٣٧ بعد عمل متواصل فى المحاكم مدته ٣٨ سنة بلغ مرتبه الأخير ٢٨ جنيها كما وصلت ترقياته الادارية الى الدرجة السادسة .

وقد تزوج فى سنة ١٩٠٤ من شقيقة صديقه عبد الرحمن البرقوقى صاحب مجلة البيان الأدبية بالقاهرة . وكان نظيره ، محتفلا بالأدب وأهله ومن مريدى الامام محمد عبده ومن المقربين اليه . وقد عرف فى حياته المصلحية فى الحكومة بعدم التقيد بالمواعيد الرسمية وطالما تعرض بأسباب

ذلك الى مؤاخذات الرؤساء كما لم تصرفه الوظيفة عن الاشتغال بالأدب كتابة وقراءة !! – وتأليف المؤلفات وبيعها ونشرها ! ، والتحرير في الصحف والمجلات الأدبية كالضياء – الثريا – البيان – المقتطف – المضمار – الصاعقة – الجريدة – ونشر قصائده بها – وقد اشتهر بعدة مقالات مسلسلة فى النقد الأدبى بمجلة العصور – وكذلك بمعاركه الأدبية ضد كبار الكتاب أمثال عباس محمود العقاد – طه حسين – سلامه موسى – عبد القادر المازنى الخ .

وقد صدر كتاب الديوان تأليف الاستاذين العقاد والمازنى – وفيه نقد شديد لمصطفى صادق الرافعي وأحمد شوقي والمنفلوطى وآخرين .

إنتاجه الأدبى :

في الشعر : ـ ديوان الرافعى فى ثلاثة أجزاء :

فى النثر :

١- كتاب المساكين وفيه تنويه بمبادىء العدالة الاجتماعية فى الاسلام .

٢- كتاب رسائل الاحزان سنة ١٩٢٤ – فى فلسفة الحب والجمال وهو من وحى الكاتبة الخالدة مى .

٣- كتاب أوراق الورد سنة ١٩٣٤ أهداه الى الآنسة مارى مدرسة الموسيقى بلبنان .

٤- السحاب الأحمر : فى فلسفة الحب والجمال من وحى مى سنة ١٩٢٤ .

٥- حديث القمر : كتبه فى مصيفه بلبنان سنة ١٩١٢ .

٦- تاريخ الادب العربى : فى ثلاثة أجزاء سنة ١٩١١ – ونال عنه جائزة الجامعة الاهلية .

٧- وحى القلم (فى جزئيه) وقد جمع فيه المقالات المنشورة فى الصحف ومن المؤلفات العميقة التي امتازت بالعمق وروعة العرض وقوة الاسلوب كتاباه :

٨- اعجاز القرآن ١٩١٢

٩- تحت راية القرآن

١٠- على السفود : مجموعة مقالات نقدية ردا على كتاب الديوان

وسوف يرد في السطور التالية تعريف بامتياز كل مؤلف من هذه المؤلفات - وما ينطوى عليه من أهمية سواء في الشكل الفني أو المضمون .

أثر الرافعى فى اللغة العربية :

اولا : دفاعه عن اللغة العربية الفصحى :

لو أن الاستاذ / مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله - قد بعث اليوم من مرقده ورأى بعض صحفنا وكتابنا وما ينشر فيها من الاساليب الركيكة ، والعبارات السقيمة والبيان الزائف . لهاله ما يرى ولبكى على الأدب العربى الذى درسه حق دراسة ، ثم جرى على قلمه البليغ آيات بينات ، وقد قضى حياته في خدمة اللغة العربية وبلاغتها ، وكان ديدنه في حياته إحاطة الأدب العربي من أن يتدسس الدخيل اليه ، أو تطغى العجمة عليه ، وما كان يحزنه شيء في هذه الحياة مثل أن يرى ما تتعثر فيه أقلام الكتاب من زلات وما يقعون فيه من أوهام وأغلاط . وكانت تدركه نا ر الغيرة إذا حاول أحد أن يقترب من حمى اللغة العربية . أو يريد أن ينالها بسوء .

ثانيا : رده على الدعوة باحلال العامية محل اللغة الفصحى :

وإن ننسى فلا ننسى موقفه الرائع ، من تلك الدعوة التى نجحت فى مستهل هذا القرن ، وتولتها عصبة من كبار كتابنا وعلى رأسهم الاستاذ / أحمد لطفى السيد - وكانت هذه الدعوة ترمى إلى أن تستبدل باللغة العربية الفصحى لغة عامية - تتخذ من احدى اللهجات المصرية - واطلقوا على هذه الدعوة يومئذ (بالمذهب الجديد) ليسحبوا بها عقول العامة وأشباههم من المتعلمين . ورغم أنه كان في البلاد يومئذ معاهدة كبيرة لدراسة اللغة العربية وآدابها يعمل فيها اساتذة كبار ، فإننا لم نر أحدا يتقدم الصفوف ليدرأ عن اللغة العربية ما يراد بها ، وكادت

هذه الدعوة الخبيثة تبلغ مبلغها لولا أن انبرى لها مصطفى صادق الرافعى منازلا أصحاب هذه الدعوى جميعا على قوتهم وبعد نفوذهم وهو المقتحم الوحيد الفريد فى هذا الميدان . حتي قضى عليها فى مهدها . لقد أنفق الرافعى عمره مجاهدا فى سبيل حفظ اللغة العربية وبلاغتها والعمل على حمايتها ورفع شأنها وعدم التبذل فى أساليبها ، حتى تظل قائمة على أصولها التي وضعها العرب ومن جاء بعدهم ، وكان لا يترخص فى ذلك ولا يتسهل حتى سموه بحق (حارس لغة القرآن)

ثالثا : مكانته فى مضمار البلاغة العربية :

كان الرافعى الامام الاكبر فى الادب والقمة فى البلاغة ، ولما مات خلى مكانه ولم يأت بعده من يملأ هذا المكان ، فلقد أوتى من قوة البلاغة ما تميز به عن سائر معاصريه . بل لا نكون مغالين إذا قلنا أن هذه القوة البيانية لم تتسع لأحد بعد الجاحظ . ولقد اعترف المرحوم الدكتور زكى مبارك بعظمة الرافعى فى مضمارالبلاغة العربية وقوة البيان . وقال فى صراحة :

(ما جزعت على وفاة الاستاذ / مصطفى صادق الرافعى كما جزعت عليها اليوم - فلو كان الرافعى حيا ورأى أحمد أمين يقول فى ماضى الادب العربى ما يقول - لأصلاه نار العذاب - وصيره أضحوكة بين أهل الشرق والغرب)

مصطفي صادق الرافعى والنقد الأدبى :

أخرج الدكتور / أحمد ضيف مبعوث الجامعة المصرية القديمة كتابا بعنوان (مقدمة لدراسة بلاغة العرب) . وقد فتح الدكتور بهذا الكتاب الباب على مصراعيه لخريجي الجامعة المصرية والأدباء لكى يعرفوا حقائق النقد الأدبى فى القرن التاسع العشر وأوائل القرن العشرين . عند الكتاب الغربيين ، وبعدها تواردت الآراء الحديثة في النقد الادبى . ومن هذه الآراد أن تكون القصيدة وحدة مترابطة ، وصارت الزعامة فى هذا اللون من النقد للأساتذه

الثلاثة عبد الرحمن شكرى وعباس محمود العقاد والمازني - الذين اتسموا بهذه السمة الحديثة وقالوا شعرا على الطريقة الحديثة ، أما العقاد والمازنى فنصبا المعارك لأنصار الطريقة القديمة وألفا (كتاب الديوان) فى الأدب والنقد . وتناولا المنقودين أحمد شوقى وحافظ ابراهيم والرافعى وأضرابهم بأسلحة حداد ومما قاله العقاد في هذا الكتاب :

(القصيدة ليست خواطر مبعثرة تتجمع فى إطار موسيقى ، إنما على عمل تام الخلق والتكوين تتناسق جزئياته ومعانيه ، وتترابط الخواطر الوجدانية - والفكرية ترابطا دقيقا .)

كان لابد من إيراد هذه المقدمة قبل أن نتكلم عن رأى الرافعى فى النقد الأدبى ، لقد وضع قواعد النقد الادبى مستوحيا قراءاته ودراساته وأساليبه وخياله وعلمه ، وحين كان يعرض النقد الادبى إنما كان يصف نفسه وأن قواعده من ابتكاره . إلا أنها متصلة اتصالا وثيقا بالنقد الادبى في أمهات كتب العرب فيقول : - ولا أعلم مايراد بقولهم (آداب اللغة العربية) الا أن يكون إحاطة الأديب بفصيح العربية وتمكنه من استعمالها فى تنزيل الكلام .

ومعرفة الاعراب والابنية . والتصاريف وبعد النظر فى معانى البلاغة وأساليب الفصاحة والاقتدار عليها نظما ونثرا - ثم معرفة الرجال ومراتبهم وطبقات كلامهم وآثارهم .) ويشترط الرافعى فى الناقد للشعر أن يكون شاعرا والناقد للنثر أن يكون ناثرا - ويقول :

وليس يمكن أن يأتى له هذا الذوق إلا من ابداع صناعتى الشعر والنثر . ويشترط فى الناقد أن يعرف العلوم العربية وآدابها وأن يكون شاعرا كاتبا قوى المعارضة دقيق الحسن ثاقب الذهن مستوى الرأى بصيرا بمذاهب الأدب . متمكنا من فلسفة النقد مبرزا فى ذلك كله .

وإذا كانت هذه أوصاف الناقد كما انطبعت فى نفس الرافعى ، لا جرم لا يرضى عن شعراء هذا الزمان وكتابه - لأنهم ضعاف فى البيان وأساليبه ، بعيدون عن ذوق اللغة حتى حسبوا أن كل كلام أدى الى المعنى فهو كلام ، ولا عليهم من لغة وصناعة الأدب والبيان وحقيقته ، ثم تراهم يجرون ذلك كله على اختلاف أغراضه نمطا جديدا فى تسهيل اللغة حتى كأن هذه اللغة لا تنوع فى ألفاظها وأجراس ألفاظها مع أن هذا النوع من أحسن محاسنها وأخص

خصائصها - ومن رأيه فى كيف يكون النقد يقول :

ليس النقد أن تأتى بألفاظ فى مدح الكاتب والكتاب بل أن تبدأ ببيان قيمة الكتاب وما فيه من خطأ وصواب - بعد ذلك تصف الكاتب بما ينتجه البحث حيث لا ينخدع القراء

ويقول الاستاذ / كمال نشأت فى كتابه مصطفى صادق الرافعى :

كتب الرافعى فى النقد وإن كان أغلب ما كتبه فى هذا الباب مساجلات أدخل في باب المعارك القلمية منها فى باب النقد ومعناه العامى - إن اقتصار الرافعى - على ثقافة العربية قد حدد لونه النقدى فهو إذا تعرض لنقد الشعر مثلا نظر اليه كما نظر الناقد العباسى - يتسقط الأخطاء النحوية واللغوية - ويتتبع الفكرة ليرى أنها مبتكرة أو مسروقة ، وهو شرط هام فى طريق النقد ومرحلة من مراحله ، ولكن النقد فى عصرنا هذا قد تطور تطورا كبيرا - فقد دخلته علوم كثيرة ووضعت له أسس وكونت فيه مدارس ، وهو بهذا المفهوم بعيد عن الرافعى وأضرابه - ويمضى مصطفى صادق الرافعى على هذه القاعدة التى استنها فى نقد العقاد فى كتابه على السفود) . متتبعا ما يراه فى نظره خطأ فى اللغة أو النحو أو العروض . دون غوص إلى أبعاد العمل الأدبى .

أسلوب الرافعى :

الاسلوب هو الشخص (١) فى كل شىء ، وأنه نابع من تكوينه . كان المبتدئون فى الأدب يتمرنون أولا فى قول الشعر حتى يستقيم لهم فى الوزن والقافيه كالرافعى فى أول أمره ، وهم فى أثناء ذلك يرتبون أفكارهم وينقحون قصائدهم ويحرصون على التخيل والابتكار المعانى والاساليب فلا يزالون فى القصيدة يغيرون فيها ويدلون حتى يستقيم لهم عامود الشعر .

---

(١) كما يقول لورد بافون : " The Style is the Man "

فلما عدل الرافعي عن الشعر الى النثر ، صارت مقالاته ورسائله كأنها شعر منثور – وظل على ذلك أمدا طويلا فلما اتصل بمجلة الرسالة يكتب لها كل أسبوع – كان لابد أن يسرع فى الكتابة إلى حد ما – وتتأثر ألفاظه ومعانيه واختيار موضوعاته بما يناسب ذوق القراء . ويقول مصطفى صادق الرافعى واصفا الاسلوب المثالى الذى يحبه .. (إن مدار العبارات كلها على التخيل وتصوير الحقائق بألوان خيالية لتكون أوقع في النفوس – ومن هنا كان الذين لا معرفة لهم بفنون المجاز ولا ميل لهم إلى الشعر لا يميلون الى كتابتى ، ولا يفهمونها حق الفهم ، مع أن المجاز هو حلية كل لغة وخاصة العربية ، ولا أعد الكاتب كاتبا حتى يبرع فيه – هو الذى جعلنى اكثر فيه ، مع أنه متعب جدا – ولكننى أرمى الى تربية ملكات القراء وإعطائهم أمثلة التصوير .) ويجمع النقاد أن الرافعى يمثل فى نثره أسلوب العصر العباسى ولا غرو فى ذلك فأول ما حرص الرافعى على قراءته كتاب ابن المقفع فى أوائل العصر العباسى مثل (كليلة ودمنة) – الأدب الصغير والكبير – والتيمية) وهذه الكتب تجمع بين أسلوب العرب القدماء وأسلوب نهضة الأدب فى ابتداء عصر الحضارة العباسية .

وكان الرافعى يقرأ دواوين شعراء العصر العباسى ، يقرأها وينقدها إذ كان خبيرا بالادب العميق شعرا ونثرا . واتخذ الجاحظ فى كتبه أستاذا له – فأخذ عنه الكثير وقلده فى كثير مما أعجبه في نثره ، وطرح ما لم يعجبه بعد أن نقده – وقدمه على العلماء الأدباء فى العصر العباسى أو كما قال ابن العميد (كتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانيا) . ثم فى العصر العباسى الثانى قرأ كتب البلاغة العربية وارتوى منها واكب على دراسة كتاب (المثل السائر لأدب الكاتب والشاعر) لابن الأثير فى نقد الشعر ، وكتاب (العمدة) لابن رشيق القيروانى ، وكتاب (الصناعتين) لابى هلال العسكرى ثم يحيط نفسه بكتب اللغة وتاريخها ويذكر من أمهات كتب الادب (العقد الفريد لابن عبد ربه) ويتيمة الدهر للثعالبى والحماسة لابى تمام الطائى –

ويقول الاستاذ / حارث طه الراوى بعنوان (مصطفى صادق الرافعى جاحظ القرن

العشرين) .

" بينه وبين الجاحظ شبه في الاسلوب من حيث البلاغة العربية العالية وشبه في المزاج من حيث التفنن فى السخرية والمرح وشبه فى الالمام الواسع لعلوم العربية ، وشبه فى الغيرة المشبوبة على كل ما هو عربي وإسلامى من تراث خالد ."

ويقول الاستاذ / محمد عبد الغنى حسن فى أسلوب الرافعي :

" لقد تحرر الرافعي فى نثره من كل صناعة لفظية أو حلية زخرفية أو محسن بديعى ، ولكنه فى محافظته على الانطلاق والتفلت من أسر الالفاظ وقيود العبارة قد وقع فى أسر ازدحام المعانى وتعميقها حتى قاده ذلك الى نوع من التعقيد والغموض فى أسلوبه لا يخفى على قارئه ، وقد أعانته معرفته الوثيقة بالعربية ، والبيان العربى على إشراق التعبير ."

ويقول الدكتور كمال نشأت فى كتابه " والرافعي كاتبا " :

" حقق الرافعي ذاته ككاتب فى لون معين من الأدب شعرا ونثرا ، وهو أديب أميل إلى روح التراث فى وسائل صياغته وطريقة تعبيره بل فى معجمه اللفظى وزخارفه البيانية .

كان الرافعي كاتبا إسلاميا يدافع عن الاسلام والعروبة والتقاليد الشرقية بدافعه الغيور المتحمس وهو نفسه يقول :

" يخيل إلى دائما إننى رسول لغوى بعثت للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه "

وإنك لتجد أثر ثقافته الدينية فى أدبه واضحا فى الوقت الذى لا تستطيع أن تجد أثرا لاطلاعه على المترجمات ، وإنك لواجد اقتباسات قرآنية من مثل قوله :

" وأذا الأرض قد ثارت بأهلها كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف ..... الخ .

شعر الرافعي

اما عن الرافعي شاعرا فإن أول ما ظهر له كان " ديوان الرافعي " في ثلاثة أجزاء . ويقول الدكتور حسن عماد عميد كلية اللغة العربية بالأزهر سابقا (إن شعر الرافعي يمتاز بعمق الفكرة وفلسفة التعبير وطريق القدماء في الشعر ومع ذلك فهو يضيف إلى ذلك المعنى الرقيق والتعبير الفلسفي) .

شاعر الملك

اتصل مصطفى صادق الرافعي بأحمد نجيب باشا ناظر الخاصة الملكية ، وعهد إليه الأخير أن يمدح الملك فؤاد في المناسبات ، ولم تكن هذه القصائد الرافعية بالتي تغرى القراء بالإقبال عليها وكان الرافعي يفخر بصلته بالقصر وأنه يمدح الملك ، رغم أن التقاليد آنذاك كانت تقضي أن من يتصل أى اتصال بالقصر أو يكون موظفا فيه ، أن يكون كتوما فلا يتكلم سرا ولا جهرا عن عمله أو عن أى شيء يخص القصر الملكي بل يحرم عليه أن يجالس الناس في المقاهي .

ولكن الرافعي لم يكن يبالي بذلك ولا يمسك صدره سرا ، ولا يدري أن أنفاسه معدودة عليه .. ثم تعين زكي الابراشي باشا ناظرا للخاصة الملكية بعد أحمد نجيب باشا وكان مشغولا بالاقتصاد في مصروفات الخاصة الملكية لكلفه باقتناء الأطيان الجيدة لولي العهد فاروق " وتقدرون فتضحك الاقدار " فكان نصيب المتصلين بالقصر محدودا من المال ، ولم تمضِ سنة على قيام الرافعي بمدح الملك في المناسبات حتى كتب الرافعي لصديقه أبي ريه (في ٧ مايو ١٩٢٧) " أنت ترى أن الله تعالى أبى إلا أن يكون الكتاب إعجاز القرآن الذي طبع على نفقة الملك - خالصا لوجهه الكريم - ، فله الحمد على هذه البشرى يزيد بها الثواب ، وإن نقصت المنفعة جملة ."

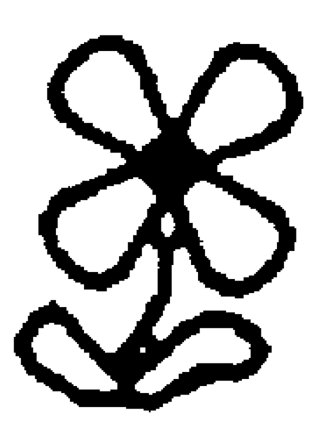
ثم فى رسالة أخرى ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٨ يقول :

" كان كتاب الاعجاز " يقرر فى السنة الماضية " أى المدارس " ثم رفضوه بعد ظهور قصيدة عيد الجلوس ببضعة أيام لما فيها ... وفى الأخبار أمس قصيدتى الأخيرة " (أى فى مدح الملك وقد نحوت فيها نحوا وطنيا جديدا كان السبب فى امتناع المقطم عن نشرها وفى رسالة أخرى فى (١٧ مارس سنة ١٩٢٨) يقول :

" لقد مهدت لانسحابى (أى من مدح الملك) وسأفرغ لأعمالى إن شاء الله ، ويكفينا ما أعطينا وما أخذنا . هذا الكتابُ " الاعجاز " ضحيناه يا أبا رية من شهر ضغطتنا أزمة مالية ولاتزال مختلة القلاع والمطارات ."

هذا هو شاعر الملك قلق بظروفه المالية ، وقلق من نفس العمل الذى ندب له وهو مدح الملك . وكان يجب ألا يجتمع الانتساب للمُلك والضيق المالى . ولم يحظ الرافعى برضا القصر الملكى إلا سنة واحدة هى سنة ١٩٢٦ وفى سنة ١٩٢٧ حدثت المشاده بينه وبين الابراشى باشا وإن ظل يمدح الملك فى المناسبات حتي سنة ١٩٣١ . وشعره يبتعد شيئا فشيئا عن الأغراض التى يجب أن يقول فيها الشعر .

أما السبب المباشر للقطيعة النهائية هو نقده لقصيدة فى مدح الملك نظمها الأستاذ عبد الله عفيفى المحرر العربى بديوان الملك منافسه الجديد ، ونشرت القصيدتان جنبا إلى جنب في جريدة واحدة ، وبذلك أمكن للابراشى أن ينال منه ويبعده نهائيا عن مهمته .



كتاب على السفود

يشمل هذا الكتاب ، جملة مقالات نشرها الرافعى فى مجلة " العصور " لصاحبها الاستاذ اسماعيل مظهر ، وهى فى موضوعها تشتمل على موضوعات نقدية ، لمن ينقد الرافعى أدبهم سواء كان شعرا أم نثرا ، أو ردا على من كانوا ينتقدون أدبه ومؤلفاته . وبصفة خاصة الأستاذ الكبيرعباس محمود العقاد ، ويقول الأستاذ اسماعيل مظهر في المقدمة التى كتبها فى صدر كتاب " على السفود "

" وعسى أن يكون السفود مدرسة تهذيب لمن أخذتهم كبرياء الوهم ، ومثال يحتذيه الذين يريدون أن يحرروا بالنقد عقولهم من عبادة الأشخاص ، ووثنية الصحافة في عهدها البائد "

ظهر هذا الكتاب فى العشرينيات ، يحوى مقالات كتبت بأسلوب عنيف فى نقد العقاد ردا على الحملة الشعواء التى حملها العقاد والمازني عليه في كتابهما " الديوان في الادب والنقد " سنة ١٩٢١) وقد وضع الكاتبان بعض أدباء مصر الكبار فى أتون محرق وهم أحمد شوقي وحافظ ابراهيم والمنفلوطى والرافعى .

وكان كتاب على السفود انعكاسا لأزمات حرجة تسبب فيها العقاد والرافعى منها تسبب العقاد فى إبعاد الرافعى عن صالون الأديبة الكبيره " مى زيادة " الذى كان يتردد عليها من آن لآخر صفوة أدباء مصر وكتابها وزعمائها المرموقين ، ومعنى هذا انتقاصا له ، وأنه لا يليق وجود الرافعى فى مجلس (مى) لأنه لا يشاكل زوارها فى آرائهم فى الحياة وفي المجتمع وفى حرية المرأة وسفورها . والحقيقة أن الرافعى الذى لا يسمع ، ما جاء إلى صالون مى ليشاركهم فى هذه الأحاديث . وأن ينسجم معهم أولا ينسجم ، ذلك لم يكن يخطر له على بال . بل جاء لينظر إلى وجه " مى " الجميل ويتمتع بلطفها وأناقتها وفصاحتها ، ليستوحى رقتها وجاذبيتها ثم يعود إلى طنطا بلده ، ويصوغ كل ذلك رسالة حب وغرام يبدع فيها ما شاء ، من وصل وصد ورضا وعتاب ، ويسخر كل ما كنزته اللغة العربية وآدابها من قوة البلاغة ورشاقة التعبير والتفنن

فى معانى الحب وفلسفته وما أسرع أن يرسل اليها ما كتبه بالبريد فتقرأه وتعرضه على جلسائها ليروا رأيهم فى قيمته الأدبية إنه يؤلف فيها رسائل فى الموضوع الذى قصده فيظهر على رسائله أثر الغضب والغيظ وخيبة الأمل ويسميها " رسائل الأحزان " وبعد طبعها يهديها إليها ، ثم يؤلف في هذا المعنى أيضا " السحاب الأحمر " في نفس العام وهو ١٩٢٤ ثم يري أن الرسالة لم تتم بعد ، ولابد أن تهدأ نفسه ويكتب " رسائل الحب للحب ولكن مع التفكير في " مى " التى هى رسول روحانى يكتب بإيحائه ويظل يفكر ويفكر ويكتب ست سنوات ويخرج بكتاب " أوراق الورد " أوائل سنة ١٩٣١ وما يقال فيما صنعه العقاد للتفريق بين " الرافعى " و" مى " كتبه الأستاذ طاهر الطناحي ، ثم جمع هذا وغيره كتابا بعد وفاته باسم " أطياف من حياة مي "

وقد ثار العقاد ثورة كبيرة على الرافعى فى إحدي المقابلات معه فى دار " المقتطف " حينما سأله رأيه فى كتابه " إعجاز القرآن " كأن بينهما ثأر ولم يكن ذلك الا بأسباب كتاب الزعيم الخالد سعد زغلول ، الذى زعم الرافعى أنه قرظ به ذلك الكتاب وقال عنه (إنه تنزيل من التنزيل) واتهام العقاد له بأنه زور هذا الكتاب ونسبه كذبا إلى سعد زغلول . واعتقد الرافعى أن ذلك قد يكون غيرة من العقاد أن يقول سعد فى كتابه هذا القول البليغ .

ولكن بعض الكتاب يرجح بأن ثورة العقاد على كتاب " إعجاز القرآن للرافعى ، هى انعكاس لثورة الرافعي على طه حسين فى مقالاته اللاذعة فى جريدة " كوكب الشرق " عن كتاب (فى الشعر الجاهلي) وأقام الدنيا وأقعدها بمقالاته ، وحرض الحكومة والنواب فاتفقت الحكومة والمجلس بعد نقاش طويل وأزمة وزارية على إبعاد كتاب طه حسين عن الجامعة ومصادرته في المكاتب وجمع نسخه وإخفائها حتى لا تباع .

وقد خرج العقاد عن رأى حزبه " الوفد " فى الحملة على طه حسين ، لأنه كان يرى أن حرية الرأى يجب أن تكون مكفولة للبحث العلمي ، ولو تعرض الكاتب للدين ، كالرأى السياسى سواء لسواء ، فلا غرابة أن يقابل العقاد الرافعى هذه المقابلة السيئة فى دار " المقتطف " وقد

كتب العقاد على أثر هذه المشادة ينتقد كتاب إعجاز القرآن للرافعي فى مجلة البلاغ الاسبوعي فى مقال طويل جاء فيه :

" لقد قرأت اعجاز القرآن وخرجت منه على رأى واحد ، على أن الكتاب معرض يعرض فيه الرافعي مبلغ اجتهاده في تقبل عبارات البدو ، وتأثره بالسلف ، ولهذا يحسن أن يقرأ ويقتنى ، أما أنه مبحث في بيان وإعجاز القرآن ، ولاسيما اذا كان القارىء من غير المسلمين ، وتلك نية للرافعي يثاب عليها كما يثاب بالنيات .

اجتمعت هذه الأسباب كلها لتشعل نار الخصومة بينهما ، فألف الرافعى كتابه العنيف " على السفود "

كتاب " تاريخ آداب العرب "

يعد من أهم ما قدم للمكتبة العربية في هذا المجال ، بما فيه من القيمة الادبية والتاريخية واللغوية والفنية ، التى يأخذ بعضها برقاب بعض فى معرض الرد . وكان لهذا الكتاب حظ كبير من تقدير النقاد والكتاب . حيث كتب الاستاذ أحمد لطفي السيد مقالا عن الجزء الاول منه قال فيه :

(قرأنا هذا الجزء فأما نحوه فعليه طابع الباكورة فى بابه ، يدل على أن المؤلف قد مَلَكَ موضوعا ملكا تاما ، وأخذَ بعد ذلك يتصرف فيه تصرفا حسنا وليس من السهل أن يجتمع له الاغراض التى بسطها فى هذا الجزء إلاّ بعد درس طويل وتعب ممل)

وكان الجزء الثانى من تاريخ آداب العرب خاصا باعجاز القرآن

أما الجزء الثالث من تاريخ آداب العرب فقد صدر بعد وفاته بثلاثة أعوام بمقدمة للاستاذ محمد سعيد العريان حيث تناول فيه تاريخ الشعر العربى وأولوياته ومذاهبه والفنون المستحدثة فيه وما إلى ذلك .

الرافعى جاحظ القرن العشرين

مصطفي صادق الرافعي جاحظ القرن العشرين ، صاحب القلم الذى لم يتكرر فى لغتنا العربية ، والمعارك الفكرية التى ذخرت بها حياتنا الثقافية فى الثلث الاول من هذا القرن .

الكاتب الانسان الذى تتبدى انسانيته بين السطور كأنها نغمة تجاوب أختها .

المفكر المعاصر الذى شارك الأوائل بفكره ونزع إليهم بحنينه ، أديب العرب والاسلام الذى كافح وجاهد من أجل سيادة العربية على أرضها فكان صادقا فى قوله :

" أنا رسول بعثت للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه "

أنه أحد التيارات الأصيلة التى كان لابد منها لإحداث التوازن المطلوب بين الآداب الأصيلة والأخرى الدخيلة . صاحب الارادة القوية التى هزمت حرمانه من حاسة السمع مؤلف كتاب " إعجاز القرآن " الذى وصفه زعيم الامه سعد زغلول باشا بأنه :

" تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم "

هذا القلم الجبار الذى سطر للعربية كتابا متميزا فى حاجة الى من يتصفحه بعين مخلصة وأخرى واعية ، هو فى حاجة أولا الى النظرة الموضوعية التى تعترف بماله وما عليه ، فتعطية حقه وتأخذ منه ما يزيد على حقه . وهذه النظرة تتطلب دراسة آثاره الادبية بوضعها فى اطارها الحقيقى . بعيدا عن التأثر بخصوماته الكثيرة ، ومسترشدة بما كتبه عنه أصدقاؤه وتلاميذه ، وفى مقدمتهم الاساتذه سعيد العريان ومحمود أبو ريه وحسنين حسن مخلوف أو ما سجله نقاده ومؤرخوه من الباحثين والدارسين وفى مقدمتهم الدكتور مصطفى نعمان البدرى ونعمات أحمد فؤاد وكمال نشأت . فهذه وتلك تحظى بشرف الريادة وسمة الجدية .

كان الرافعى (رحمه الله) من كتاب العربية الذين جروا على منهج عربى مبين تفكيرا وأسلوبا ، وهو حلقة من حلقات تطور الأدب العربى الحديث تمثل التيار التقليدى فى نصاعته وبيانه .

ثانيا:

آثار المعارك الادبية التى خاضها مع العقاد وطه حسين تمثل هذه المعارك محنه بالنسبة له ان لم تكن لعنة ، حين فرض عليه نوع من التقييم الاعلامى . فلم ينل حقه كغيره من الرواد (من الدراسة والبحث) كما يبدو ان خصومة الرافعي للأديبين الكبيرين أصابته بالأذى والجحود ، حيث كان البعض يهاجمونه إرضاء لهما فى حياتهما . ويتجاهلونه أو ينتقدونه احياء لذكرهما بعد وفاتهما .

فيذهب تلاميذ العقاد ودارسوه للتقليل من شأن الرافعي كما صنعت الدكتورة نعمات أحمد فؤاد ورد عليها كل من الاستاذ مخلوف فى كتابه " الرافعى حياته وأدبه " .

والدكتور نشأت فى كتابه " الرافعى " مما جعل الدكتور البدرى يسمح لنفسه - إزاء هذا الهجوم المتواصل على الرافعي لصالح العقاد أو طه حسين - من النيل منهما قائلا : " ويترك منازليه أشلاء بين الشعر الجاهلي والسفود ، ويلقيهم على الصحافة السياسية صعاليك للأحزاب " ويصفهما بأنهما أرادا الشهرة على حساب الرافعي " .

ومن الاسباب الأخرى التى أدت بدورها الى تجاهله أو نقده :

اولا : إتهامه بالتعقيد في الاسلوب ، و أن جوانب من أسلوبنا تقودنا من غموض الى الابهام ، والحق ان الرافعى فى حاجة الى كثير من الانصاف ، لعله ينطبق عليه القول " إن الناس أعداء ما جهلوا "

فالذى يجهل اسلوب القرآن الكريم وبيانه الحكيم لا يستسيغ اسلوب الرافعى ، والذى يتجاهل بقصد أو بدون قصد جوانب البلاغة العربية الاصيلة سوف يجد صعوبة فى فهم الادب الرافعي وفكره ، والذى يفتقر الى الالمام بقواعد العربية ومفرداتها يشق عليه متابعة الرافعي .

ثانيا : اتهام الرافعي بتقليد اسلوب الكاتب العباسى " الجاحظ " .

صحيح أن هناك أوجه للشبه بين الكاتبين الكبيرين ، شبه فى الاسلوب من البلاغة العربية العالية ، وشبه فى المزاج من حيث التفنن فى السخرية ، وشبه آخر فى الالمام الواسع بعلوم

العربية ، الى جانب ذلك الشبه الكبير بينهما فى الغيرة المشبوبة على كل ما هو عربى واسلامى إلا أن هذه الأوجه لا تجعل القارىء غير منصف فيحكم على الرافعى بأنه نسخة طبق الاصل من الكاتب العباسى .

ذلك لان كاتبنا المعاصر لو كان قد أقدم على هذه المحاكاه ، لما اصبح ادبه وفكره مدرسة قائمة بذاتها ، ولما كانت كتاباته تختلف في عموميتها وتفصيلاتها عن كتابات الجاحظ .

ثالثا : اتهام الرافعى بأنه لا يعترف بحقيقة الفصل بين الادب والدين . حتى أنه نبه إلى فساد منهج بيكون الذى يميز الادب عن الدين ، ولعل ذلك راجع الى أن الرافعى كان يتأثر بأسلوب القرآن ، رغبة منه فى احياء الجملة القرآنية التى هى أساس اللغة العربية ومادتها الأصيلة . ومن هنا نراه يحرص على ذلك حتى فى تركيب عباراته (كما أحصى دون اهتمام) الدكتور كمال نشأت حين أورد فى كتابه " الرافعي " بعض الاقتباسات القرآنية والاستاذ مخلوف حين أشار الى استخدام الرافعى لمنهج التوليد القرآنى .

رابعا : اعتزازه برأيه الى درجة كانت تفرض عليه أحكاما متطرفة . وهو أمر متصل بظروف نشأته وفى مقدمتها إشارة والده له وهو طفل صغير بأنه يجاهد فى سبيل الله . وهذه الاشارة مست من قلبه مكانا خاليا ، وهنا أصبح الجهاد هدفا واسلوبا ، فهو يرى أن الدفاع عن الاسلام جهادا ، والدفاع عن اللسان العربى جهادا والدفاع عن فضائل الحضارة الاسلامية جهادا ، والدفاع عما يراه حقا فى الادب جهادا . وقد كلفه هذا الاحساس عنفا وتطرفا فى الهجوم على خصومه . فالى الرافعى يقع الوزر فى الاتهامات التى كالها للدكتور طه حسين فى كتاب " على السفود " .

****

وبعد فنحن حقا أمام كاتب ضخم ينبغى أن نتنبه الى قيمته حتى تعرف الاجيال الشابه أعلام فكرنا العربى .

****

توفى لرحمة الله عام ١٩٣٩ وقد أربى على الستين عام ، ووصل فى ترقياته الحكومية الى الدرجة الخامسة الكتابية ، وكان آخر منصب له رئيس السكرتارية بمحكمة طنطا الشرعية .

المراجع

١ - مذاكراتى لعبدالرحمن الرافعى
٢ - مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية لعبد الرحمن الرافعى
٣ - إمين الرافعى تأليف صبرى أبوالمجد
٤ - مصطفى صادق الرافعى تأليف أحمد شعيب
٥ - محمد تيمور تأليف محمود بك تيمور
٦ - الأسرة التيمورية والأدب العربى تأليف لوسى يعقوب
٧ - مشهورون ومنسيون تأليف فتحى رضوان (كتاب اليوم)
٨ - مجلة المصور فى ٢٣ / ٢ / [illegible]
٩ - مجلة المصور فى ٢ / [illegible] / ١٩٧٩
١٠ - مجلة المصور فى ٩ / ٣ / ١٩٧٩
١١ - مجلة المصور فى ١٦ / ٣ / ١٩٧٩
١٢ - العائلة التيمورية لمحمد عبدالغنى حسن
١٣ - مجلة الثقافة عدد مارس ١٩٧٥
١٤ - كتاب فى ذكرى دسوقى إبراهيم أباظة باشا
١٥ - كوثر النفوس وسفر الخالدين - ملحم إبراهيم البستانى ١٩٥١

للمؤلف

١ - أم المماليك - إصدار دار العرب للبستانى ١٩٨٩
٢ - الثائر العظيم صدر ١٩٥٨ - حاز على جائزة وزارة التربية والتعليم
٣ - عبدالله النديم خطيب الثورة العرابية - حاز على جائزة مجمع اللغة العربية
٤ - مصطفى كامل - أضواء حديثة على حياته - إصدار دار الهلال ١٩٨١
٥ - اسماعيل صبرى باشا - شيخ الشعراء - إصدار الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٥

ثبت الكتاب

للناشر كلمة

لعبت هذه الأسرات الأدبية فى مصر والعالم العربى وغير العربى دوراً هاماً فى مد التراث العربى إلى الناس اينما كانوا أو تواجدوا وقد كانت اللغة العربية هى الشريان الموصل بين الكاتب وقرائه ..

هناك أسرات عربية كثيرة تستحق أن تأخذ مكانها فى هذا الكتاب . نرجو أن تتاح الفرصة للمؤلف للبحث والغوص فى محيطاتها كما يبحث الغواصون عن اللؤلؤ فى قاع البحار .. جدير بنا أن نكمل رسالتنا فى إلقاء المزيد من الضوء على هذه الأسرات الأدبية . والله الموفق ..

صلاح الدين البستانى
دار العرب للبستانى

